

لاری رای

العولمة والحياة اليومية

ترجمة : الشريف خاطر



منذ بدايات عام 1999 اقتحمت العولمة، على نطاق واسع في فروع المعرفة، ساحة النقاش الأكاديمي العام. فقد ظل معنى ومغزى العولمة غير واضحين، هل هي نتاج مزيج من التطور الاجتماعي-الاقتصادي، أم انبثاق تطور من خلال ذاته؟ كيف يتسنى لنا أن نقيم النقاش بين "المتفائلين" في مقابل "المتشائمين" و"النقاد"، وبين المتشككين، و"الراديكاليين" المتطرفين؟ كيف يتسنى لنظرية العولمة أن ترتبط بنظريات مبكرة عند نقطة التقاء واحدة والأنظمة العالمية؟ هل علم الاجتماع لديه من التنظير وأدوات الإدراك لتحليل العولمة، أم إنه في حاجة إلى مناهج جديدة؟

يوجه لاري راى الدارسين بمهارة من خلال الموضوعات المتنوعة بمحاضراته عن العولمة، ويستشهد لتفسيرها بمراجع متخصصة تتضمن الدولة، والولاية والمدن العالمية، والمجتمعات الواقعية، ومتخفية الحدود القومية والتنمية.

العولمة والحياة اليومية

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2670
- العولمة والحياة اليومية
- لارى راى
- الشريف خاطر
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2017

هذه ترجمة كتاب:

Globalization and Everyday Life

By: Larry Ray

Copyright © 2007 by Larry Ray

Arabic Translation © 2017, National Center for Translation

Authorized translation from the English language edition published
by Routledge, a member of the Taylor & Francis Group

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة
شارع الجبلية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

العولمة والحياة اليومية

تأليف : لاري راي

ترجمة : الشريف خاطر



2017

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

راى ، لارى.
العولمة والحياة اليومية / تأليف: لارى راى؛
ترجمة: الشريف خاطر.
ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٧م
٣٢٨ ص، ٢٤ سم
١ - الاجتماع ، علم
٢ - العولمة
(أ) خاطر، الشريف (مترجم).
(ب) العنوان
٣٠١

رقم الإيداع: ١٧٠٣٠ / ٢٠١٤
الترقيم الدولي 8 - 825 - 718 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي، وتعريفه بها. والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

.....	قائمة بالأشكال والجداول	7
7	تصدير، محررى السلسلة	13
13	تمهيد	17
17	شكر وعرفان	19
19	قائمة المختصرات	21
21	مقدمة: ما العولمة؟	39
39	الفصل الأول: ما الجديد عن العولمة؟	79
79	الفصل الثانى: العولمة وعلم الاجتماع	117
117	الفصل الثالث: ما بعد الدولة القومية؟	155
155	الفصل الرابع: واقعية السلوك الاجتماعى	201
201	الفصل الخامس: عدم المساواة العالمية والحياة اليومية	245
245	الفصل السادس: الإرهاب والمخاطر العالمية	283
283	نتائج	293
293	الهوامش	305
305	الببليوجرافيا	

جداول :

- ٢-١ الحداثة الأولى والحداثة الثانية ٨٩
- ٤-١ مخطط لتطور الاتصال الإنساني ١٦٥
- ٤-٢ استخدام الإنترنت (شبكة المعلومات الدولية) ٢٠٠٤م ١٦٩
- ٥-١ أسعار السلع أولية المختارة ما بين عامي ١٩٨٠ و ٢٠٠١م ٢٢٨

تصدير محررى السلسلة

تحدد سلسلة "علم الاجتماع الجديد" ملامحها من خلال التغيرات الاجتماعية الهائلة التى تجتاح العالم فى الوقت الراهن. العولمة، أنماط جديدة لتكنولوجيا المعلومات، وتقنية التصنيع للحرب والإرهاب، وخصخصة الموارد العامة وهيمنة القيم الاستهلاكية. كل هذه التطورات تتطوى على تغير رئيسى فى الأساليب التى يعيش بها الناس فى حياتهم الاجتماعية والشخصية هذه الأيام. إضافة إلى أن مثل هذه التطورات تحدث تأثيراً على المهام التى يضطلع بها علم الاجتماع، والعلوم الاجتماعية بشكل عام. بيد أنه بصفة أساسية فإن الطرق التى تؤثر بها التحولات المؤسسية العالمية على طبيعة ومضمون علم الاجتماع لم تطرح للمناقشة سوى فى الكتابات الأكثر تقدماً وتخصصاً فى هذا العلم. ومن ثم، تحمسنا لتقديم هذه السلسلة لتعريف الطلاب - وجمهور القراء الذين ينشدون التوافق مع الظروف العملية التى يجابهونها فى شتى مناحى حياتهم اليومية - بالطرق المتنوعة التى يعكس بها علم الاجتماع الأوضاع والمحاور المتغيرة التى يحويها عالمنا المتجه نحو العولمة.

قد تكون الدعوى الرئيسة لهذه السلسلة هى أن علم الاجتماع يرتبط ارتباطاً أساسياً بالاهتمامات العملية والأخلاقية التى نصادفها فى الحياة اليومية. ومن ثم، يسعى كتاب هذه السلسلة لتناول موضوعات مختلفة، بدءاً من الجسد إلى العولمة، ومن الهوية الذاتية إلى الاستهلاك - إلى بيان الطرق المتناقضة والمعقدة لنثبت أن علم الاجتماع عنصر مهم وضرورى لا جدال فيه لحياتنا العامة والخاصة. قد يبدو هذا من جهة أمراً لا جدال فيه، وبناء على ذلك شدد كثير من المحللين الاجتماعيين الكلاسيكيين المرتبطين بالنظرية الاجتماعية الكلاسيكية - على الأساس العملى للمعرفة الإنسانية.

من أبرز هؤلاء المحللين إميل دوركايم Emile Durkheim وكارل ماركس Karl Marx وماكس ويبر Max Weber وسيجموند فرويد Sigmund Freud وجورج سيمميل George Simmel وغيرهم كثيرون. لكن ومع مزيد من التقدير للأساتذة والأكاديميين المحترفين في علم الاجتماع الأكاديمي في أواخر القرن العشرين، فإنهم انسحبوا وتراجعوا عن دراسة قضايا الحياة اليومية والقواعد الأخلاقية لعلم الاجتماع (للاطلاع على مناقشة رائعة حول العلاقات المتغيرة بين علم الاجتماع المهني والعمل، انظر كتاب تشارلز ليميرت Charles Lemert، علم الاجتماع بعد الأزمات، الطبعة الثانية، بولدر Boulder: باراديم Paradigm، ٢٠٠٤م). رغم ما أثاره هذا التراجع في الساحة الأخلاقية والعملية من قلق، فقد كان من إحدى التبعات الرئيسية للتغيرات العالمية الحديثة في مجال علم الاجتماع، وجدد التأكيد لإعادة التواصل مع أحداث الحياة اليومية والخبرات والقوى الاجتماعية القديمة والتداخل بين ما هو محلي وما هو عالمي في إفراز الممارسات الاجتماعية، والتأكيد على الأخلاقيات والمسؤولية الأخلاقية على المستوى الفردي والجمعي. تتابع سلسلة "علم الاجتماع الجديد" هذه الاهتمامات عبر سيل من الأفكار والموضوعات المتنوعة واطعة الممارسات الاجتماعية اليومية في السياق الأوسع للحياة في عالم يتجه نحو العولمة.

ومن المؤكد ولا جدال، أنه لا يوجد مكان اليوم إلا ونرى فيه آثار التغير الاجتماعي الكبير، الذي يعيد بناء حقل المعرفة للحياة اليومية وخبراتها. بالإضافة إلى الاهتمام الفكري بعلم الاجتماع بشكل أوضح مما نراه في عمليات العولمة المعاصرة. ففي فترة قصيرة للغاية، استطاع "الجنل الكبير حول العولمة" الهيمنة على النقاش السياسي العام والأكاديمي الدائر عن حالة العالم. لم يعد ممكناً نقادى الإشارة إلى العولمة بعد أن أصبحت إحدى العبارات الرنانة الرئيسية في عصرنا هذا. فهذا المصطلح يطالعنا يومياً في الصحف والمجلات التجارية وفي الإذاعة والتلفزيون والجامعات

والمجالات العامة فى مختلف مناطق دول الشتات بأوروبا. يقدم لارى راى Larry Ray فى كتابه (العولمة والحياة اليومية) عرضاً مثيراً للمراحل الزمنية العالمية والقوى الاجتماعية التى تقود عملية العولمة وأنماطها المعقدة والمتميزة فى آن واحد عن أنماط التفكير الشخصية والتشتت الثقافى والأزمات المختلفة - الاقتصادية - الاجتماعية والثقافية والسياسية - التى يواجهها هذا الكوكب من جراء تكثيف عمليات العولمة.

ليس بوسع المرء معالجة المشاكل الجوهرية فى العلوم الاجتماعية فى عصرنا هذا دون الانخراط فى حوار جاد مع وجهات النظر والقضايا العالمية، ومن المزايا الكبرى لهذا التقييم الموسوعى الذى يقدمه لارى راى Larry Ray للمناقشات حول العولمة لكى يفسر السبب الذى يجعل علم الاجتماع وثيق الصلة كسابق عهده دائماً للانخراط فى هذا الحوار فى العصر الراهن. بيان المسارات الكثيرة التى ينتهجها راى Ray لتحليل العولمة وتبعاتها وهيمنة فكرة المركزية الثامة التى تميز عمليات العولمة فيما يتعلق بإنتاج وإعادة إنتاج القوة البشرية، إضافة إلى تركيز التحليل على أهمية أن يتماشى علم الاجتماع مع عملية تنسيق العمل الاجتماعى على المستوى المحلى والعالمى. إلا أن السؤال الذى يظل قائماً يدور حول ماهية العمليات الاجتماعية التى تقود عملية العولمة؟ يعيد راى Ray النظر فى الجدل حول العولمة من خلال التقييم الحذر للنظريات الاجتماعية القائمة من جانب والربط بين هذه النظريات التى تتناول العولمة وبين بعض القضايا السياسية الأكثر إلحاحاً فى عصرنا هذا من جانب آخر. كما يشير راى Ray إلى أن مصطلح العولمة غالباً ما تستخدمه العلوم الاجتماعية بصورة يكتفها الغموض الشديد؛ يقول راى Ray إن الطبيعة المعقدة لهذه الظاهرة تمتنع عن تقديم أى تقييم يسير لها "يؤيد" أو "يعارض" الآثار السياسية والاجتماعية للعولمة. حين نفكر فى كيفية تأثير العولمة على الممارسات الاجتماعية والشخصية فى عصرنا الحالى وأثرها فى إعادة هيكلة المؤسسات

الاجتماعية، فمن المهم بمكان أن ندرك مدى التغير الذى اعترى التقديرات الاجتماعية فى السنوات الأخيرة. وعلى العموم يمكن القول: عندما بدأ المحللون الاجتماعيون لأول مرة الحديث عن الآثار العولمية للحدثة- من خلال المحاضرة التى ألقيتها وأثير فيها الجدل حول العولمة الأولى فى بواكير منتصف التسعينيات من القرن العشرين- انتاب كثيرا من علماء الاجتماع الشك والريبة. فالفكرة القائلة بأن المسار التاريخى للحدثة يمثل علامة بارزة لحركة شاملة نحو "عالم واحد"، رغم أن أنصار العولمة لم يعبروا عنها بهذا الشكل على الإطلاق واعتبرت بمثابة سقطة جسيمة ليس فقط من وجهة نظر الأكاديميين ولكن أيضاً من جانب محللى السياسة والسياسيين. لم يقتنع هؤلاء المتشككون بتلك الفكرة بل ودلّوا على خطئها بمؤشرات حركة الاستثمار والتجارة منذ أواخر القرن التاسع عشر للتشكيك فى فكرة أن الاعتمادية الاقتصادية القومية قد دخلت فى القرن العشرين فى مرحلة تاريخية غير مسبوقة. كما قال هؤلاء المتشككون: إن التوجه نحو الإقليمية- وليس العولمة- هو الذى حدد شكل الاقتصاد العالمى. أبعد آخرون فى أفكارهم وادعوا أنه بسبب النزوع الشديد للإقليمية الذى تبنّته تكتلات تجارية كالاتحاد الأوروبى وأمريكا الشمالية، أصبح اقتصاد العالم أقل- وليس أكثر- عالمية. كما اتفق غالبية المحللين على أن الدول القومية لم تفقد سيادتها تدريجياً، بل على النقيض اعتبرت عملية التوجه إلى التدويل بمثابة اعتماد أساسى للسيطرة المنظمة على الحكومات القومية.

عندما ظهرت العولمة الأولى التى أناقشها بحماس منذ عشر سنوات تقريباً، لم يستطع إلا القليلون أن يتكهنوا بالسرعة التى سيصبح عليها العالم "بلا حدود" وتوقع راي Ray (ببقظته المعهودة أن ما سوف يحدث بعد نهاية الحرب الباردة وما بعد الشيوعية وما صاحبها من إعادة ترسيم للحدود بين الشرق والغرب) سيكون دليلاً على نجاح تلك الأوجه المختلفة للأساليب السياسية للعولمة. ويرتبط هذا بدوره بنشوء العولمة الثانية- الاعتراف على

المستوى العام بأن العولمة لا ينبغي أن تكون معادلاً للأمركة أو التجانس بل على النقيض، فالعولمة نتاج للفاعليات الاجتماعية الثقافية للتهجين والتشتيت والارتحال والتمايز. من خلال هذه التطورات النظرية يمكن التمييز بين تحليل العولمة حالياً وتأثير النموذج "الاستعماري" الذي يقوم بتشكيل وقولبة الأشخاص والمجتمعات كما صورته النظريات الخاصة بالعولمة الأولى. وباستعراض أحدث أبحاث العلوم الاجتماعية عن العولمة، يؤكد راي Ray أهمية وجود أطر متعددة الأبعاد أكثر ثراء لمجابهة الحقائق والمخاوف ونذر الشر المتصلة بالعولمة المعاصرة - بدءاً من نشأة التطرف الديني وانتهاءً بالحرب على الإرهاب.

أنتوني إليوت Anthony Elliott

أديلايد، 2006 Adelaide

تمهيد

قال عالم الاجتماع سي. رايت ميلز C.Wright Mills، عندما تسبق خطى التغيير قدراتنا ونتعامل بشكل متوافق مع القيم الراسخة، نشعر بأن تلك الأساليب السابقة قد انهارت، في حين تكون الأساليب المستجدة غامضة من حيث السلوك الأخلاقي. ويرى ميلز أن ما نحن في حاجة إليه هو "الخيال الاجتماعي"، ألا وهو القدرة الذهنية، التي تساعدنا في استخدام تفكيرنا إضافة إلى الكم الضخم من المعلومات حتى نكتشف بوضوح جوهر الحياة اليومية- وإن متابعنا الشخصية ليست في الغالب شخصية، بل مشاكل عامة تؤثر في الكثير من الناس وربما المجتمع ككل. في أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين، طرحت خطى التغيير المرتبط بالعولمة تحديات جديدة لفهم الحياة اليومية وممارسة علم الاجتماع في حد ذاته. كثير من علماء الاجتماع يشعرون أيضاً بأن الأساليب القديمة لممارسة الحياة لم تعد فعالة في مواجهة التغيرات المترسخة في الحيز المكاني على المستوى التنظيمي والشخصي والاقتصادي والعلاقات السياسية. هذا الكتاب يكشف كلا من أساليب التغيرات التي أحدثتها العولمة، وردود الفعل لهذه التغيرات بين المهتمين بالدراسات الاجتماعية.

لم يتوقف الأمر عند موضوع واحد محدد - بل تناول الإرهاب الدولي، والديانات في العالم، والإعلام، والنزوع الوظيفي، والإنتاج، وشبكات الاستهلاك والرعاية الاجتماعية- التي لم تسبر غورها المناقشات عن العولمة. خلال الفترة الأخيرة من القرن العشرين تزايد التواصل بين أقطار العالم بواسطة وسائل اتصال سريعة، سهلت التدفق العالمي للأموال، والأفكار والبضائع، والناس، وأساليب الثقافة. فقد تحدثت العولمة الكثير من الأفكار الاجتماعية السائدة، عن طبيعة المكان والمحلية والتطورات الاجتماعية، إلا أنه لا يزال

هناك اتفاق محدود حول معناها وتأثيرها. فى عام (١٩٩٩م) خاصة وبعد سقوط حائط برلين انتشر الحماس للعولمة. لكن ذلك قوبل بتحدٍ خطير بعد صدمة ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)، وشعور جديد بعدم الثقة فى الإرهاب وعدم استقرار الاقتصاد. إلا أن الاتصالات الفائقة السرعة والضغط الزمانية والمكانية والتوصل العالمى إلى تكوين الشركات المتعددة الجنسيات لم تستطع بالضرورة خلق عالم متجانس، وبالأحرى ليس متناغماً، بل أكثر اختلافاً وصراعاً. تتسم العولمة كما هو واضح بإثارة الجدل والاختلاف، لكن هذا الكتاب لا يتخذ موقف المدافع أو الناقذ للعولمة- فهناك الكثير من المتاح للطرفين يمكن الاستفادة منه، وسوف أعرض لكل هذه الخلافات الكثيرة ومراوغات العولمة، وسأحكم لصالحها أو ضدها. إن نتائج العولمة ومعانيها، مثل الحال مع أشكال النشاط الاجتماعى، شديدة الاختلاف. جوهر الموضوع الذى نحن بصدد الكشف عنه هنا، هو كيف يعتمد المجتمع الإنسانى على القدرات العقلية لتنسيق الأفعال سواء كانت محلية أو فى المجال العالمى. وحتى الأشكال المبالغ فيها من النشاط الاجتماعى تعد إنجازاً للحياة اليومية ولعناصر المعرفة.

وبتبنى وجهة النظر هذه فإن هذا الكتاب جزئياً دفاع عن علم الاجتماع ضد أولئك الذين يزعمون أن العولمة صنعت كل أو معظم المفاهيم والنظريات الاجتماعية الموجودة من قبل. إن فهم التغير الاجتماعى هو ما يقوم به علم الاجتماع بالفعل، وأصبح بأى حال من الأحوال هو الأصل وسبب وجوده- حتى ندرك التغيرات التى ارتبطت بظهور الحداثة. وأقترح، وكما يفعل البعض، أنه إذا كان لنا أن نواجه التغيرات الاجتماعية المرتبطة بالعولمة، فلا بد أن نتخلى عن كل الأطر السابقة، ونكتب عن علم الاجتماع بشكل جديد يبدو مختلفاً. هذا الكتاب يقدم حوارات عن علم الاجتماع والحياة اليومية على أرضيته لتحليلات العولمة، ونحاول أن نبين كيف أن المناقشات حول العولمة من الممكن أن تجدد تفكيرنا عنها.

هدفى أن أقدم عرضاً سهل المنال لنظريات العولمة ومناقشة الطرق التى تم بها إنجاز العولمة بمساعدة البحوث الاجتماعية للحياة اليومية. ومن خلال هذا المجال المتسع، فإن الاختيارات الجديرة بالاعتبار ستكون ضرورية لتحقيق ما أصبو إليه من نقاش مترابط ووثيق الصلة بالعولمة والتحليلات الاجتماعية. هذه المناقشات ستتركز على المدى الذى قامت به النظريات الاجتماعية للعولمة، آخذة فى الاعتبار دور قواعد المفاهيم الاجتماعية وعلاقتها المتبادلة فى مسيرة بناء العولمة والحفاظ عليها. أحد الموضوعات فى هذا الكتاب ستكون عن العولمة وتطوراتها وآثارها المتباينة فى الحياة اليومية فى أجزاء مختلفة من العالم. وتقدم أمثلة مقارنة من العالم المتقدم مقابل تلك المتقدمة من الدول النامية. ومن المفارقات المتناقضة ارتفاع نسبة الدراسات عن العولمة، لدرجة أن النقاش عن علم الاجتماع أصبح بعيداً عن بؤرة الاهتمام من قبل رواد الثقافة الغربية وانمحت تقريباً. ربما يكون ذلك بسبب الاتساع المعرفى بمشاكل الفقر العالمية على سبيل المثال، أو عدم إدراك المناقشين كيفية ظهور هذه المشاكل وما العوامل التى تغذيها، وعمّ إذا كانت العولمة تزيد من تفاقمها أم تخفف منها؟ وقصر النظر هذا سيصبح إدراكاً أعمى للقوى السياسية والاجتماعية التى تتعامل مع الكرة الأرضية، والطرق التى يقوم بها المسؤولون، ونظام العمل فى محاولة لإحداث نتائج مختلف. هذا الكتاب يقدم تعريفاً للعولمة، يحافظ على هذه الأبعاد.

شكر وعرفان

هذا الكتاب نتاج العديد من المناقشات والمحاضرات عبر سنوات. وأنا أدين بالشكر والامتنان إلى "أنتوني إليوت" Anthony Elliott، لتشجيعه على كتابة هذا الكتاب، وللكتّيبين الذين قدموا لي المشورة، أو أي مساعدات أخرى في الموضوعات التي نوّقت. وهم: "فارشاد أراغي" Farshad Araghi، جو أسيل Joe Asila، بابري شاشا Babere Chacha، ميشيل هاردي Michaeli Hardey، كلاريسا هايورد Clarissa Hayward، ستيفن كوبرين Stephen Kobrin، جون مادلي John Madely، بربارا مسزتال Barbara Misztal، جان باهل Jan Pahl، ريتشارد ساكوا Richard Sakwa، ميرى سونج Miri Song، بريان تيرنر Bryan Turner، جون أري John Urry، أندي ويجرت Andy Weigert، إيان ويلكنسون Ian Wilkinson، وأخيراً خالص تقديري لإما Emma لمساندتي وتشجيعي عبر سنوات عديدة.

قائمة المختصرات

ASEAN	• رابطة جنوب شرق آسيا
BAT	• شركة التبغ البريطانية الأمريكية
BAT (K)	• الشركة البريطانية الأمريكية للتبغ في كينيا
CIS	• دول الكومنولث المستقلة
CMC	• الاتصال عبر الحاسب الآلي
CDRP	• المشاركة في الحد من الفوضى والجريمة
CRNM	• آلية التفاوض الإقليمية لمنطقة الكاريبي
DNS	• اسم نطاق النظام
ECJ	• محكمة العدل الأوروبية
EMU	• الاتحاد المالي والاقتصادي
EU	• الاتحاد الأوروبي
FAO	• منظمة الأغذية والزراعة
FDI	• الاستثمارات الأجنبية المباشرة
GDP	• إجمالي الناتج المحلي
GNP	• إجمالي الناتج القومي
ICT	• تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات
ILO	• منظمة العمل الدولية
IP	• مراسم الإنترنت
IMF	• صندوق النقد الدولي
INGOS	• المنظمات الدولية غير الحكومية

IPRS	• حقوق الملكية الفكرية
IRA	• الجيش الجمهوري الأيرلندي
KWS	• دولة الرخاء الاجتماعي الكينية
MTK	• شركة تبغ ماسترمايند
MUD	• منظمة بيئية
NAFTA	• المنطقة التجارية الحرة لأمريكا الشمالية
NATO	• منظمة حلف شمال الأطلسي
NGO'S	• المنظمات غير الحكومية
OECD	• منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي
R&D	• البحث والتنمية
SSA	• إدارة الأمن الاجتماعي
TNCS	• التعاون عبر القوميات
UN	• الأمم المتحدة
UNCTAD	• مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية
UNESCO	• اليونسكو
WELL	• موقع تكنولوجي
WHO	• منظمة الصحة العالمية
WIPO	• المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية
WTO	• المنظمة للتجارة العالمية
WTTC	• المجلس العالمي للسفر والسياحة

مقدمة

ما العولمة؟

توجد الآن كتابات كثيرة عن العولمة وعلى نطاق واسع من وجهات النظر - اجتماعية، واقتصادية، وثقافية، وسياسية وتكنولوجية. وقد تعرض هذا المصطلح للتعليقات اليومية والتحليلات - كما تواتر وجوده في كثير من المناقشات السياسية، والثقافية والاقتصادية: إن العولمة نموذج فريد لمفهوم أكاديمي انبثق من مجال الاقتصاد وعلم الاجتماع في أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، وحقق انتشاراً في التسعينيات، ذا تأثير عميق في الفكر المعاصر في مجالات عديدة مختلفة. وقد تخيل مارشال مكلوهان "Marshall McLuhan" (1992م) الذي صاغ مصطلح "نظرية العالمية" موقفاً تنتقل فيه المعلومات بالسرعة الإلكترونية، التي من الممكن أن تحل محل اللغة دون اتصال لغوي منطوق "في التو واللحظة" رغم أنه فزع من هذا المشهد. يتسم عالم العولمة بزيادة السرعة الفورية، حيث تستطيع وسائل الاتصال تمكين الناس في الأماكن المختلفة من التعرف على الأحداث في نفس الوقت. وهذا يخلق مجالاً من الترابط الاجتماعي تتحكم فيه سرعة الاتصالات، وتلغى الحدود بين القوميات على المستوى الثقافي والسياسي. ومع ذلك، فإن معنى ومغزى العولمة يظل بعيداً عن الوضوح. يرى أنتوني جيدنز "Anthony Giddens" (1990م) أن لب العولمة يتمثل في الخبرات البعيدة التي امتدت من خلال العلاقات الاجتماعية عبر الزمان والمكان، وحققت كماً انعكاسياً متزايداً. ويتحدث هارفي ومنتلمان "Harvey and Mittleman" عن "الضغوط" وتوحد الزمان والمكان في علم الاجتماع والسياسة والثقافة الحياتية (هارفي 1994:260). أما كاستل Castells (1997) فيتحدث عن القدرة الاقتصادية للعمل كوحدة

فى وقت حقيقى ومجال دائم. أما كوبرين (1998) "Kobrin" فىؤكد على زيادة النشاط الاقتصادى، من خلال اتحادات قومية وتدفق معلوماتى، أما جلبن (1987) Gilpin فىرى ذلك من خلال الاعتماد المتبادل فى الأنشطة الاقتصادية. وفى حين يعتبر هؤلاء الكتاب أن العولمة ذات صلة حديثة بالتنمية، يرى روبرتسون (1992) Robertson أن لها أسبقيات تاريخية من خلال بعثات التبشير المسيحية والإسلامية والماركسية فى تشكيل وعى عالمى ضاغط. ويؤكد مارتن ألبرو (1997) Martin Albrow على تأثير الممارسات القيمية والتكنولوجية العالمية المنتشرة على الناس. أما يورى (2003) Urry فىرى أن العولمة تحول العالم إلى نظام معقد ومشوش، أخفقت البحوث والنظريات الاجتماعية المبكرة فى علاجه. ربما لا تكون هذه الملامح متطابقة تمامًا بين الطرفين، لكن كليهما يظل أشبه بسلسلة من التوصيف النظرى، أكثر من كونها قواعد متماسكة للبحث فى آثار العولمة ومسارها.

فى مواجهة مع العديد من النظريات والتعريفات، بدأت العولمة تبدو أكثر شبهًا "بكلمة جوفاء طنانة"، أكثر منها مفهومًا تحليليًا، وأصبحت فى الحقيقة مجرد استعارة من الكثير للعديد من التغيرات الاجتماعية المعاصرة. ورغم ذلك، فهناك شيء ما يحدث يستحق التفكير أو التأمل أيضًا، رغم أننا فى حاجة لطرح العديد من التساؤلات: هل العولمة مزيج مركب من التطور الاجتماعى-الاقتصادى، أم انبثاق تطور من خلال ذاته؟ كيف يتسنى لنظرية العولمة أن ترتبط بالنظريات المبكرة للتوحيد والنظام العالمى؟ إن الكثير من الكتابات عن العولمة أصابها الإجهاد للغاية، لكثرة المناقشات التى أثبتت صعوبة الوصول إلى حل. فعلى سبيل المثال، فقد أعلن صراحة أن العولمة عنصر هدم للصور التقليدية للنظام الاجتماعى، ولم تبذل إلا جهود قليلة، لتتظير الأشكال الجديدة لعلم الاجتماع الذى بسزع نتيجة لظهور النظام العالمى. هذا الكتاب يتناول قضيتين مهمتين بصفة خاصة. أولاً: فعلى عكس

ما جاءت به النظريات المبكرة للتوحد، فإن العولمة تشير إلى زيادة التهجين والتماييز، وذلك من شأنه رسم صورة مائعة ومعقدة للعالم الاجتماعي. ثانيًا: العولمة نتاج بنية وتطورات ثقافية ومدركة وواضحة بطرق مختلفة في الاقتصاد، والسياسة والثقافة والمنظمات. وكلا الأمرين، حقق نتائج إلى حد كبير للحياة اليومية، التي سنتناولها بالتفصيل في هذا الكتاب في الفصلين الأول والثاني.

العولمة لها جذور عميقة في تاريخ العالم، وخاصة في خلق نظام المنظمات الدولية والهيئات التنظيمية بعد الحرب العالمية الثانية- تشمل الأمم المتحدة (UN)، والاتفاقية العالمية للتعريفات الجمركية والتجارة، حاليًا (المنظمة العالمية للتجارة WTO)، وصندوق النقد الدولي (IMF) والبنك الدولي^(١). أما العولمة الحديثة فهي نتاج التقاء المزيد من عوامل محددة التي أطلق عليها كيو (1996) Quah مصطلح "الاقتصاد منعدم الوزن" القائم على المزيد من المعلومات التجارية أكثر من اعتماده على البضائع^(٢)؛ ونهاية الحرب الباردة؛ وتطور وزيادة المعلومات في مجال الإعلام على مدى الأربع والعشرين ساعة، والتقنية الرقمية، وتبادل الطابات عبر شبكة الاتصالات العالمية لكل المناطق التجارية؛ والمناطق ذات الاستراتيجيات الجديدة المتحررة المهيمنة على الخصخصة والتسويق في عصر الرأسمالية المتقدمة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، والعالم النامي، وتخفيض أسعار النقل الدولية. كانت هناك خلفية صعبة لكل ذلك تمثلت في انكوارث الصناعية السوفييتية، التي كتبت عنها في مكان آخر بمشاركة أوثويت وري (Outhwaite and Ray 2005)- بعد نهاية الحرب الباردة التي كانت مرحلة النضج لمفهوم العولمة. وبعد عام ١٩٨٩م فقط، أصبح من الممكن أن نتصور على الأقل وجود عالم "بلا حدود"، حيث الناس والبضائع والأفكار والأفلام تتدفق، منذ أن سقط الحاجز الكبير بين الشرق والغرب. علاوة على ذلك فإن العالم بعد نوفمبر ١٩٨٩م، بدا كأنه شخص يزيد من سرعته، دون أن يتوقع

تحقق مشهد بهذه السرعة، لا يتوافق مع طبيعة التغيرات. كان الوضع المستقر المستمد من طبيعة المواجهات الطبقية بين أمريكا وروسيا ذا تأثير بطيء نسبياً في عملية التغيير ومتوقفاً - وله قواعده التكنولوجية، والفكرية، وأشكاله التنظيمية. وعلى النقيض، كان الوضع فى روسيا بعد سقوط الشيوعية لا يقل تأكيداً فقط، بل كان يتغير بخطوات سريعة. خلال هذا التطور، أسقطت العديد من قيود الحياة الاجتماعية، والكثير منها تم إغفاله. ومع سقوط النظام السوفيتي، سقط أيضاً الاعتقاد بأن الدولة تستطيع أن تدير وتسيطر على كل أمور المجتمع إلى الحد المعقول ولا يتعارض مع بقية الدول. تبع ذلك كوارث بسبب التحولات - وكان ذلك نهاية تجربة عظيمة فى القرن العشرين لخلق نوع جديد من المجتمع والبشر. هذا بالإضافة إلى الانهيار السريع للنظم الاشتراكية التى كانت محط أنظار العالم. وكان لسرعة البث التلفزيونى نصيب يوضع فى الاعتبار، فى سرعة سقوط هذه الأنظمة، وتفسير بث نماذج اجتماعية بديلة عن تلك التى كانت ترسخ للاشتراكية من خلال الأقمار الصناعية.

كان تأثير هذا الانهيار عالمياً، فقد ووجه العالم بتساؤلات جديدة بعد سقوط الشيوعية، عن الأمن والاستقرار والهجرة وما إلى ذلك. حققت نهاية الشيوعية نبوءة ماركس (١٨٤٨م) Marx فى البيان الشيوعى الذى كتبه (ماركس وإنجلز عام ١٩٦٧م) Marx and Engels بأن العالم كله سيدخل فى نطاق النظام الرأسمالى للإنتاج - لأن الشيوعية من المفترض حتماً أن تتبع سيطرة رأس المال العالمى، لا تسبقها.

أصبحت العولمة تتصدر بشكل رئيسى بعض المناقشات التنظيرية والفكرية فى أخريات القرن العشرين، والتى نتج عنها مجال واسع من الممارسات المعرفية بالإضافة إلى علم الاجتماع. لكنها كانت محاطة دائماً بالخلافات وعدم المصادقية إلى حد ما، فى علم الاجتماع على الأقل، فالحوار عن العولمة قد ينتج عنه نوع من الإجهاد مثلما حدث فى مناقشات ما بعد

الحداثة فى أواخر التسعينيات. إذ تظل الموضوعات أو القضايا الصعبة تتكرر فى الكتابات، دون أن تتقدم خطوة إلى الأمام، فى حين أن لب الحوارات والنقاش يحتاج إلى المزيد من الوضوح وعدم التشويش. فعلى سبيل المثال: هل العولمة انبثاق من خلال ذاتها؟ (وجهة نظر قدمها جيدنز Giddens عام 1990، ويورى Urry (عام 2002)، وعارضها روزنبرج Rosenberg عام (2000). أم هى نتاج مزيج مركب من علم الاجتماع، والاقتصاد والثقافة والتغيرات السياسية؟ هل هى حقيقة ترسم صورة جديدة للوضع الاجتماعي، أم هى ببساطة ممارسات مألوفة فرضت نفسها - من خلال لغة جديدة؟ ما الإنجاز الذى حققته العولمة وهو غير قابل للتحليل من قبل المفاهيم السابقة المتواترة الوجود، مثل التدويل والإمبريالية وما بعد الحداثة والاقتصاد "منعدم الوزن"، وما بعد الفوردية، والليبرالية الجديدة وهكذا؟ هل خلقت العولمة ثقافة عالمية للتجانس البصري، حيث يبدو كل مكان من ناحية المظهر "نفس الشيء" أم على النقيض، هل جلبت المزيد من التمايز بين المستفيدين من أنصار العولمة والخاسرين، على التوازي مع المهجنين للثقافات المحلية والعالمية؟ هل ينبغي الترحيب بالعولمة، إذا اعتبرناها ببساطة شيئاً حتمياً أو مناهضاً، وإذا كان الاختيار الأخير، فكيف يكون تأثير التيار المناهض لتحركات العولمة الاجتماعية؟ لو أن الأنظمة القضائية للدول الإقليمية (كما يقترح البعض) تم تقليصها "أو تفرغها" (مادام وظائفها انتقلت إلى "أعلى"، للمنظمات الدولية، أو إلى "أدنى" للهيئات الإقليمية) فما مدى فعالية أشكال التنظيم القانوني الدولي؟

القضيتان ذواتا أهمية خاصة، وسوف نتعرض لهما بتوسع فى هذا الكتاب. أولاً: نحن نعرف أن العولمة تتصف بزيادة السرعة والضغط المكاني والعلاقات الاجتماعية المؤقتة، والاتصالات التى تم تيسيرها بواسطة وسائل الاتصال الحديثة والنقل التكنولوجي. كل هذه الأنشطة (رغم أنها عملية ستنم مناقشتها فى الفصل الرابع) يجب أن تحدث مكاناً، لأنها تتطلب

بنية تحتية في الفضاء والأرض (برونز 21: Perrons 2004) ويصفها يورى (2002) Urry بأنها "متنقلة/ وثابتة" على ألا يكون هناك إفراط متزايد دون وجود نظم شاملة مطابقة للتراسل الفورى والثابت. ثانياً، هذا التطويق المحكم للتدفق العالمى يقتضى أن يكون هناك عناصر نشطة تحدد التفاعلات، والمقاصد والمعانى للأشكال الاجتماعية العالمية، وتمكن من حدوثها. غالباً ما كان علم الاجتماع يواجه بالازدواجية فى تنظيره للمجتمع. ويوصف بأنه نظام غريب أو بنية معارضة، إزاء تقييمه كإنجاز مستمر للموضوعات الإنسانية. نحن نعلم بأنه يجب أن يكون هناك وضوح فى كلا الأمرين، لأنه لن تكون هناك حياة اجتماعية دون بشر، على حين يمارس البشر حياتهم، كما قرر ماركس "فى ظل ظروف ليست من اختيارهم". هذه "الظروف" قد لا تشير فقط للوضع التاريخى الاجتماعى المكتسب ومستويات الإنتاج التتموية، (التي كانت محل اهتمام رئيسى لماركس) وكذلك أيضاً إلى الأوضاع الثقافية والأشكال الاجتماعية التى تفرز بعض الاستجابات إزاء الأوضاع الظاهرية الأكثر تطابقاً من غيرها.

مناقشات حول العولمة

هناك العديد من الآراء عن طبيعة وتأثير العولمة، إلا أن العولمة ليست شيئاً واحداً. فمن الممكن أن تكون دلالة اقتصادية، على سبيل المثال، لسيطرة الشركات العالمية خارج الحدود على رأس المال العالمى ومرونة الإنتاج ونظام التجميع ورفع مستوى المعلومات والخدمات الاقتصادية. فى إنجلترا كثير من الناس يعملون فى المطاعم الهندية أكثر من العاملين فى بناء السفن وصناعة الصلب واتحاد مناجم الفحم، وهناك ثلاثة أضعاف هؤلاء يعملون مستشارين للعلاقات العامة لمناجم الفحم (23: Foresight 2002). ورغم أن الإنتاج الصناعى أخذ فى الانتشار فى مناطق أخرى من العالم، خاصة فى الصين،

فإننا نتطلع فى الواقع إلى إعادة هيكلة وتعميم الإنتاج العالمى والعلاقات الاستهلاكية.^(٣) من الممكن أن تكون العولمة مفهوماً سياسياً- بمصطلحات المنظمات الدولية، ونمو الدول ذات الحكم الذاتى، وانتشار دول ما بعد الرعاية الاجتماعية، وتطور الحركات الاجتماعية العالمية. ومن الممكن أيضاً أن تكون العولمة ثقافية، بوصفها تعبيراً عن نمو ثقافى عالمى، وتدفق معلوماتى من خلال الإعلام والهجرة والهويات. شاهدنا طوال النصف الأخير من القرن العشرين ظهور إعلانات عالمية تحمل ملامح ثقافية ودلالات اقتصادية. من أبرز هذه الممارسات نجاحاً، الحملة الإعلانية العالمية لمشروب الكوكاكولا عام ١٩٧١م تحت شعار "كم أود أن أجعل العالم يغنى" نتج عنه صورة عالمية للمنتج ورفع الشركة إلى مستوى تنافسى عالٍ، بثلاثمئة إعلان فى مئتى دولة؛ وفى عام ٢٠٠٣م، كانت ولا تزال تقوم بهذا الإعلان. كما ظهرت ملامح مرتبطة بالسياق الثقافى للعولمة فى مجال السياحة- كصناعة، بما يقدر بـ ٧,٥٨ ترليون دولار عام ٢٠٠٥م، وتوظيف ٢١٢ مليون شخص وعشرة فى المئة من القوى العاملة العالمية حسب ما أعلنته (المنظمة الإقليمية الكاريبية للعمل ٢٠٠٥م. ونتيجة للحركة البشرية للكم الهائل من الناس كل عام حدث احتكار للصفقات السياحية وتسويق للثقافة التى أثرت على الثقافات المحلية والاقتصادية والصناعية. كل ذلك وعوامل أخرى للعولمة من الممكن أن يُنظر إليها، إما على أنها خلق فرص جديدة، أو خلق تهديدات. وقد كان لتحليل العولمة أثر كبير فى زيادة الوعي بالكوارث العالمية، مثل الكوارث الطبيعية والأوبئة العالمية (مثل الإيدز، والسارس، وأنفلونزا الطيور)^(٤)، والمخاوف من الجرائم الدولية، وضحايا حوادث المرور، والمخدرات، وتزايد الصراعات العرقية- القومية، وتهديدات الإرهاب.

على أى حال، ما دامت العولمة لم تكن كياناً واحداً، ولا هى بالشىء "الحسن" أو "السيئ"، لكنها مباحة للعديد من التقييمات، فهى ليست مجرد نوع من "الأمركة"- بسياساتها العالمية، والاقتصادية، ونفوذها الثقافى الواسع

الانتشار، إنما هي أشكال متعددة من الروابط العالمية المتداخلة، وتدفقات ذات تأثير في الاتجاه المعاكس (من الشرق إلى الغرب)، في الوقت التي توجد فيه تيارات متطورة عديدة في الولايات المتحدة (مثل الصراعات بين نظرية التطور العلماني وخطة أهل النخبة) التي لم تنتقل إلى العالم الخارجي. لذلك فإن العولمة لا تتطوى بالضرورة على التجانس الثقافي والاقتصادي رغم أنه يُدرج أحياناً ضمن مصطلحات التعدى على ممتلكات الآخرين والاستعمار. يتصور الكثيرون أن الاتحادات العالمية والتقنيات سوف تقضى أئوماتيكياً على العادات وأساليب الحياة المحلية، وهذا يتردد كثيراً وأصبح نقطة ضد المقاومة العالمية.

تتجه العولمة أساساً نحو التدفق عبر الحدود القومية (فيما يتعلق بالناس، والماز، والثقافات والبضائع إلى آخره) لكن تأثيرها سوف يكون دائماً في حيز أماكن محددة تقريباً، أماكن فعلية مزدهمة ويمكن الوصول إليها في أماكن خاصة. وقد حدد ساسن "Sassen" على سبيل المثال، كيف أن بعض المدن أصبحت مواقع مهمة تجسدت فيها العولمة وأصبحت حقيقة واقعة، نظراً لأن نظام الأسواق العالمية - حتى يتسنى أن تؤدي عملها بكفاءة - يجب أن تدعم بطاقم عمل متخصص من المتمركزين في كثير من المدن العالمية. في هذه المدن العالمية نجد تكثيفاً للوظائف القيادية تعمل كمواقع للإنتاج المالي، والأنشطة الصناعية الأخرى، وإمداد الأسواق، حيث تستطيع الشركات والحكومات شراء خدمات تمويلية. أصبحت هذه المدن مواقع استراتيجية لزيادة سرعة رأس المال وسرعة تدفق المعلومات، وفي نفس الوقت مواقع لزيادة استقطاب الاقتصاد-الاجتماعي. ولذا فقد ظهرت "أروقة" جديدة ومناطق حرة حول هذه المدن مرتبطة بها، تتمتع بمساحة متزايدة من الاستقلال عما يحيطها من مناطق. هذه المدن العالمية المزدهمة ترتبط بشبكات الاتصال التي ظهرت (ساسن 1996 A). أما شكل المدن القديمة، فقد أصبحت مجرد ذكرى وتحولت إلى مدن عالمية بسبب التجديدات

وإعادة تطوير القديم واستخدام أساليب حديثة في التعامل مع كل قديم، وسوف نتعرض لذلك من خلال مناقشة بين "أيوشوتز" Auschwitz وكراكاو Krakow كمواقع للذكرى ونعيد تقييم القديم في الفصل الثالث^(٤).

نظريات عن العولمة

هناك مجال متسع للتظير الاجتماعي عن العولمة. وما يلي تعريف لبعض هذه النظريات المهمة وسوف أعرضها باختصار: "عالم بلا حدود"، "أومائي" Ohmae؛ "من أجل من انطلقت العولمة بصفة خاصة بواسطة ثورة الاتصالات"، فريدمان Friedman، "مفهوم الزمن - وضغط المكان"، دافيد هارفي David Harvey، "النوع العالمي"، روبرتسون Robertson؛ "علم الاجتماع وما وراء المجتمعات"، يوري Urry، "التحولية"، هيلد Held وماكجرو McGrew.

مفهوم نظرية كنشي أومائي Kenichi Ohmae (١٩٩٤م) "عالم بلا حدود" يعرض باختصار الاعتقاد بأن العولمة تؤدي إلى تحسين أحوال البشر، فقد تصور أومائي (٢٠٠٢م) شبه قارة غير مرئية تضج بالحركة، ونقل فيها الروابط الأولية الآن بين الدول وبين الأقاليم، (دون أي سبب بين خمسة ملايين وعشرين مليوناً من البشر) قادرين على العمل بفعالية في الاقتصاد العالمي دون اتصالات وثيقة في هذه المناطق. ومع تزايد الشركات المتخطية للحدود القومية نجد أنها لا تعامل هذه البلدان ككيان واحد، رغم أن هذه الأقاليم تبذل جهوداً فعالة لزيادة الدخول في الاقتصاد العالمي. فعلى سبيل المثال، عندما قامت شركة "نسله" بالانتقال إلى اليابان، اختارت إقليم "كانساي" Kansai، الذي يقع في نطاق "أوساكا وكوبي" كموقع أفضل من طوكيو كمدخل إقليمي. فالمرونة التي تتسم بها العاصمة تخلق عالماً بلا حدود يستطيع رأس المال القيام بدوره تصيد أفضل المنتجات وأعلى عائدات

الاستثمار بغض النظر عن الموطن الأصلي. لقد تغيرت الشعوب الآسيوية ليس في مجال الأعمال فقط، بل في أسلوب التعامل على المستوى الشخصي، وتم رصد مكافآت متعددة للإنجازات الاقتصادية الجديدة، ليس بهدف تحقيق الثروة فقط، بل على أساس ما يأمله الفرد من اطمئنان لمستقبله عندما يتقاعد. هذه القارة "غير المنظورة" من الممكن أن يؤرخ لها بعام ١٩٨٥م، عندما أطلقت شركة ميكروسوفت نظام الويندوز ١.٠، بدأت قناة CNN في استخدام نظام Cisco، البوابة الأولى من طراز ٢٠٠٠ لأجهزة الكمبيوتر وتم تصديرها، في حين كانت هناك شركات مثل "صن ميكروسستمز" Sun Microsystems وشركة Dell في مرحلة التأسيس. في ذلك الوقت كانت التوقعات الاقتصادية متشائمة ورأت مجموعة قليلة أن تكوين هذه "القارة" تكوين جنيني غير مكتمل. أما الآن، وبطبيعة الحال، فهي ذات تأثير فعال في كل مجالات الأعمال. المناقشات التي دارت حول هذه القارة غير المنظورة (هي الأرضية التي تم خلقها بواسطة الشركات أكثر مما قامت به الحكومات) وهذا يبرز كيف يتحرك المال نحو العالمية.

وبنفس القدر من الحماس أعلن فريدمان (Friedman 2000:6-12) أن ثورة الاتصالات بشرت بعالم جديد "بدأ عام ١٩٨٩م" مع بداية ما بعد الحرب الباردة. بدأت بعدها سلسلة من التغيرات: في مناطق النفوذ السياسية، وصولاً إلى دمج الأسواق، تحت شعار "تعامل" بدلاً من أن "تساوم" الذي أصبح بمثابة اتفاق معروف في التعاون الدولي؛ من حالة نظام ثابت إلى نظام حر؛ ومن التصنيع إلى النظام الرقمي (الديجتال)، من التهديد بالإبادة النووية، إلى الإرهاب العالمي، باعتباره أكبر تهديد عالمي. في بداية القرن التاسع عشر نشأت العولمة من خلال انخفاض تكاليف النقل - خاصة السكك الحديدية والسفن التجارية - كنتيجة لزيادة سرعة الحركة التجارية والسفر. أما الآن فإن العولمة نشأت من خلال أسعار الاتصالات الرخيصة، والرقائق الإلكترونية microchips، والأقمار الاصطناعية، والألياف البصرية والإنترنت - التي

مكنت الشركات من إنشاء مواقع للإنتاج. والبحث والتسويق في دول مختلفة ودمجها معاً وكانها في مكان واحد. كانت تكلفة مكالمات تليفونية لمدة ثلاث دقائق بين لندن ونيويورك ثلاثمئة دولار عام ١٩٣٠م، أما (بأسعار ١٩٩٦م) فبدون تكلفة تقريباً بواسطة الإنترنت (فريدمان (2000:6-12).

أما بالنسبة إلى أنتوني جيدينز Anthony Giddens، فيرى أن العولمة تدرك أساساً من خلال مفهوم الزمن والبعد المكاني. وهذه سلسلة من الفعاليات المتعاقبة التي يتشكل بها الطابع المحلي من خلال أحداث مضت والعكس بالعكس، في الوقت الذي تتحرر فيه من قيود العلاقات الاجتماعية أو يتم إغفالها في المحليات. فربما البيوت القرويات في المجتمعات التقليدية على سبيل المثال، ينتجون معظم حاجياتهم الحياتية ويبيعون عشر إنتاجهم غالباً مقابل أخذ (بضائع، أو حيوانات أو خدمات) حيث كانت النقود ذات قيمة محدودة، والتبادل الاقتصادي كان بشكل فردي. وبحلول التحديث حل التبادل النقدي العالمي محل التبادل المحلي، الذي بسط المسألة، بدلاً من تلك الطريقة المعقدة، وساعد الدوائر العالمية ذات الأشكال المركبة للمعلومات والتقييم بسرعة مذهلة وأشكال رمزية. رسخ التبادل النقدي العلاقات الاجتماعية عبر الزمان والمكان، وزادت سرعته بوجود العولمة، وبالأسلوب نفسه ارتفعت الخبرات الثقافية، نتيجة للثورات العلمية التي أدت إلى زيادة المعلومات التقنية والتخصصات. وأطلق المتخصصون مصطلح "عالمية" على أشكال المعرفة العلمية، التي تساعد في ترسيخ العلاقات الاجتماعية على مدى واسع زمانياً ومكانياً. ونشأت علاقات اجتماعية بين المهنيين وعملاتهم في المجال الطبي الحديث، ارتكزت على الدعوة العلمية العالمية. عندما هيمنت الخبرة المعرفية عبر العالم أصبحت وجهات النظر المحلية قليلة القيمة، واعتمدت المجتمعات الحديثة على النظم ذات الخبرة. الثقة المتزايدة هي مفتاح العلاقات بين الفرد والنظم ذات الخبرة- فهي بمثابة "الغراء" الذي يربط المجتمعات الحديثة معاً. أما إذا انعدمت الثقة، فإن

التجربة الحياتية للأفراد تهتز ويسود شعور بعدم الأمان، يؤدي إلى انعدام الأمن في واقعهم الاجتماعي.

أما جيدنز (1999:19) فقد كان أقل حماسًا لا لبس فيه من فريدمان Friedman عن العولمة ما دام أنها "عالم ينطلق بسرعة خاطفة على الأقل في اللحظة الراهنة- نظام عالمي مدفوع بإرادة إنسانية جمعية لكنها انبثاق موضة فوضوية عشوائية انتشرت عبر العالم، في خلطة اقتصادية تكنولوجية وثقافية حتمتها الضرورات الملحة." يصف جيدنز Giddens (1990) النظام العالمي بأنه نتيجة لنقطة تقاطع لأربع تطورات- الرأسمالية (بمنطقها الاقتصادي)، إنشاء شبكة الطرق السريعة (النظام العالمي)، العسكرية (الأمن العالمي والتهديدات)، النظم الصناعية (تقسيم العمالة وأنماط الحياة). لكن جيدنز لم يذكر ما هي أهمية الاختلاف في هذه العناصر، و عما إذا كانت تتغير عبر التاريخ.

أما هارفي Harvey فيرى أن العولمة تطورات ثورية للغاية تطيح بالخواص المدركة للزمان والمكان ونضطر لتغيير تصورنا ، أحيانًا بشكل فطري تمامًا حتى يتسنى لنا أن نتصور العالم. وبالتالي:

"قالوقت الذى يستغرقه الزمن لاجتياز الأرض، والأسلوب العام الذى نتصور به هذه الحقيقة مؤشرات مفيدة لإدراك نوع من الظواهر أعياها فى ذهني. وبما أن الأرض قد تقلصت وأصبحت "قرية عالمية" من خلال وسائل الاتصال، والمجالات الأرضية- للاقتصاد والتعاون البنئى المتبادل- بمشاهدة أفلام فئائين فضائيتين كل يوم بشكل مألوف- ما دام أفق الزمن قد تقلص إلى الحد الذى أصبح الزمن الحاضر كليًا فى كل مكان... وهكذا ينبغي علينا أن نتعلم كيف نتغلب على هذا الإحساس الغامر لانضغاط حيزنا المكانى وعالمنا الدنيوي".

هارفى (Harvey 1994: 240-2)

الضغط الزماني - المكاني هو الذي "يسحق" المكان ويخلق زمناً لا زمان له، فهو مدفوع بواسطة تراكمات مرنة وتكنولوجيات جديدة، وإنتاج برامج وأفلام وهمية حتى تراها وقت أن تصلك، سواء قللت سرعة التغيير أو أسرعت بها، وكلا الأمرين إعادة لتشكيل المهارات رغم أنهما متناقضان. وأشار هارفي Harvey إلى تشجيع وتغيير نماذج الموضوعة والمنتجات، وتقنيات الإنتاج، وزيادة سرعة التفكير الرأسي، والأسواق انمالية، والتجارة باستخدام الكمبيوتر على الفور وبقدر المستطاع والمنافسات الإقليمية. ويرى هارفي Harvey أن التجارة الإلكترونية رسخت الإنتاج في وادي السليكون أو "إيطاليا الثالثة" وقدمت صورة مصغرة لهذه التغييرات.

أما يوري (Urry 2000) فيرى أن التغييرات المرتبطة بالعولمة قد وصلت إلى الحد الذي يحتم علينا الآن أن نتكلم عن دور علم الاجتماع في المجتمعات. هذا الوضع تشكل من خلال انحرافات الدول القومية في عالم العولمة، الأمر الذي أدى إلى تساؤلات كثيرة عن فكرة "المجتمع" الإقليمي المرتبط بكيان ووجود خاص. يؤدي ذلك بدوره لتمهيد الأرضية للقول بأن تأثير "المجتمع" هو لب المفهوم الاجتماعي، والأسس الفعلية لقاعدة ضبط السلوك، الذي يبدو أنه قد تم إغفاله. جوهر المفاهيم الخاصة للناشطين الاجتماعيين الجدد هو المكان (الطوبوغرافيا الاجتماعية المختصة بتاريخ أرضها)، والأقاليم (المنافسات المحلية)، وشبكات الاتصال وعلم الشكل المورفولوجي، والسيولة المالية (المشروعات العالمية). الحركة هي المرتكز الرئيسي لهذه الأطروحات، ما دامت العولمة حركة مركبة من البشر، والصور الحياتية، والبضائع، والمال.. إلخ. التي تشكل تطورات عبر الأقاليم بأسلوب سريع وأشكال غير متوقعة، والكل دون نقطة واضحة للوصول أو الترحيل.

وكما أشار لشنر (2000-2) Lechner من قبل، إلى أن روبرتسون Robertson كان واحداً من أوائل علماء الاجتماع الذين قاموا بتنظير العولمة، ومحور نظريته يقترب من مفهوم "الوعي العالمي" الذي يشير إلى "ضغط العالم وازدياد الوعي العالمي بصفة عامة" (Robertson 1992:8). فمن خلال الأفكار وفعاليات الوعي العالمي، أصبح العالم مكاناً واحداً. بما يعنى أن تعيش فى هذا المكان وكيف ينبغي أن تكون عليه الأنظمة ويصبح ذلك موضع تساؤلات عالمية. هذه التساؤلات تلقت إجابات مختلفة من الأفراد والمجتمعات تفسر موافقهم فى العلاقة لكلا النظامين الخاصين بالمجتمعات، والخصائص المشتركة للجنس البشري، من منظورات مختلفة. هذه المواجهات العالمية لوجهات نظر العالم تعنى أن العولمة تنطوى على "فعاليات نسبية بأشكال مختلفة من الحياة" (27: 1992) وعلى خلاف المنظرين الذين شخّصوا العولمة "بالرأسمالية" الحديثة، فإن روبرتسون Robertson يرى أن التعاون العالمي المتبادل والوعي تسبقان الرأسمالية الحديثة. وعلى أى حال وللمزيد نعرض لما كتبه لشنر Lechner:

التوسع الأوروبى وتشكيل دول قامت بدعم العولمة منذ القرن السابع عشر، والوضع الحالى للعالم يدين معظمه إلى "نهضة" العقود المتتالية فيما بعد عام ١٨٧٥م، عندما ازدهرت الاتصالات الدولية والنقل وتوتر العلاقات بشكل درامى عبر الحدود الدولية. فى تلك الفترة أشارت المراجع الرئيسية إلى أن نظام العولمة أخذ شكلاً كاملاً، دول قومية، استتقلال ذاتى، نظام دولى للمجتمعات، بعد إنسانى واحد. هذه العناصر للوضع العالمى أصبحت "تسببية" إلى حد ما خاصة وأن المجتمعات القومية والأفراد بصفة خاصة تحتم عليها أن تعبر عن وجودها باعتبارها أجزاء من كيان كلى. وإلى حد ما، قام الإطار العام بترشيد هذا التوجه: فعلى سبيل المثال، أصبح بإمكان الدول أن تتطلع إلى مبدأ دولى قومى لإضفاء شرعية استقلالها وخصائصها الثقافية. إلا أن مبادئ رئيسية محددة لم تدخر لها العناصر الأساسية للنظام العالمى فالوعي العالمى لا يتضمن إجماعاً عالمياً.

أضاف لروبرتسون Robertson فى نهاية القرن العشرين، إن لم تكن العولمة من قبل قد حولت النظام العالمى ليصبح إدراكاً ملموساً، يحتم على أى فرد الآن أن يقوم برد فعل انعكاسى إزاء مأزق العيش فى عالم واحد. وهذا يثير غضب المنظمات العالمية للنضال. فعلى سبيل المثال: البعض يرسم صورة للعالم بصفته جماعات ذات تميز خاص يعلنون من شأن الفضيلة الذاتية، فى حين هناك آخرون يرونه توجعاً نحو تطوير منظمات الهيمنة الفردية، بزعم أن المصالح الإنسانية شيء كلى. وفى عالم تجتاحه الانضغوط، فإن المقارنة والمجابهة لوجهات النظر العالمية يبدو أنها ستفرز صراعاً ثقافياً جديداً. فى خضم هذا الصراع، تقوم التقاليد الدينية بلعب دور خاص، ما دام باستطاعتهم التحرك لتحقيق نوع من العدالة المطلقة؛ مثل تنظيم الجماعات الأصولية، والتقليديين المجددين بأجندتهم العالمية إذا صح ذلك. عالم العولمة أخذ فى التكامل إلى حد ما، لكنه ليس متناغماً. كيان واحد لكنه متباين، بنية ذات وعى متفرق؛ وعرضة للتشظى.

لشنر (Lechner, 2000-2)

يرى كل من هيلد وماكجرو (Held and McGrew 2000) أن العولمة تخلق تغييراً عميقاً، فى حين أن الدول والمجتمعات تحاول تبني المزيد من الترابط فى عالم مضطرب (هيلد 2002:2). المنظمات ذات المصالح (مثل INGOs المنظمات الدولية الحرة غير الحكومية والشركات المتخطية الحدود القومية) التى تمارس التجارة الجماعية تتوسع فى ظل النظام الجديد لسياسة العولمة وتبنت شركات أخرى نظاماً مشابهاً للتعامل. وتم تفسير العولمة بأنها كمٌ لمجموعة من التطورات الاجتماعية المرتبطة بفترة زمنية مؤقتة. وهذا يؤدي إلى تساؤلات عن كيفية قياس مدى العلاقات الاجتماعية التى يزعم أنها امتدت لمدى واسع ومع ذلك لم تتكامل تماماً، للحد الذى تشكل أحداثاً عالمية. وحتى المنظمات الدولية الحرة لا يكون لديها من

القوة فى أحيان كثيرة إلا القليل للتأثير على الناتج مقارنة بالشركات القومية متخطية الحدود أو الحكومية ذاتها، وهذا الموضوع تم تناوله بأساليب مختلفة فى الفصلين الخامس والسادس.

أخيراً، هناك عديد من الأكاديميين والنقاد السياسيين للعولمة يتضامنون مع حركة "المناهضة لحركة العولمة". ومن المفارقات الفكهة أن الكثير من هذه المنظمات الدولية أو التحركات المترابطة، تستخدم أشكال العولمة الخاصة بالاتصالات (خاصة الإنترنت) وتقوم باتصالات دولية، لتحريك الوعى العالمى والتضامن معها. أحد هذه الأنشطة الحركة الفرنسية الكونفيدرالية (La Confederation paysanne)، التى أسسها جوزيه بوفيه Jose Bove عام ١٩٩٩ دفاعاً عن الزراعة الفرنسية الريفية الطابع (خاصة الجنوب)، والتى أصبحت عنصراً مؤثراً فى المجال العالمى الفسيح لمناهضة العولمة. وليس بالضرورة أن تكون العديد من الأنشطة معارضة للعولمة فى حد ذاتها ماعدا الاقتصاد الليبرالى الجديد للعولمة والأجندة الموحدة بقصد حصار حرية الفرد وأنماط الحياة المعتادة تحت شعار الفائدة. وهناك ادعاء آخر بأن العولمة شكل جديد من الإمبريالية التى تفرض الهيمنة الغربية (خاصة الولايات المتحدة الأمريكية) سياسياً واقتصادياً على بقية دول العالم. ويرى النقاد المناهضون للعولمة ذلك، متمثلاً فى الهيئات الدولية مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى IMF اللذين لا يتعرضان للمحاسبة من قبل الشعوب التى تتأثر أنشطتهم عندما تفرض القروض شروطاً باستخدام هذه القروض للمرافق العامة والمياه والتعليم. تشير الأنشطة المناهضة أيضاً إلى أن العولمة تخلق عالماً بلا حدود لخدمة رأس المال والاقتصاد وليس من أجل العمالة، ما دام هناك ضوابط صارمة ورقابة شديدة على الهجرة الموجودة فى معظم البلدان المتقدمة فى حين تفتقد العمالة حقوقها الأساسية فى الكثير من البلدان المتقدمة. فالحركة (إذا كان لمثل هذا الشأن المتنوع أن يطلق عليه حركة) متسعة جداً وتشمل جماعات كنسية وتحيزات قومية ويسارية

ومتخصصين فى البيئة، واتحادات قروية، وجماعات عرقية وثائرين على السلطة وبعض الجماعات الخيرية وآخرين. لو ألقينا نظرة شاملة وعريضة على العولمة، فإن هذه التحركات فى حد ذاتها جزء من نهج التضامن العالمى (حتى لو كان هناك بعض الضعف فى هذه الحالات أو عابرة) ويكفى أنها تشكلت.

وأمل أن أضيف شيئاً من النكهة للسؤالآت التى أثّرت عن العالم المعاصر بسبب صيغة العولمة. هذا الكتاب سوف يتفحص طبيعة علم الاجتماع العالمى الذى يملك ناصية تلك الخلطة المكونة فيما بعد التشكيلات القومية وشبكات الاتصال العالمية. وحتى ندرك طبيعة العولمة وبعد المدى الذى استغرقته حتى بزوغها، فسوف نحتاج إلى نظرة أشمل لتطورات علم الاجتماع وبصفة خاصة ما تتضمنه أو تستثنيه فى علاقتها مع النظم العالمية، بدلاً من أن تسلط الضوء فقط على الثقافات الغربية. العولمة ليست ببساطة انتشار "الثقافة الغربية" عبر العالم، وذلك ليس ملموساً دائماً فى النظريات العديدة للعولمة التى ترسم صورة عامة فحواها أنها اتجاه للعالمية، لكنها فى الحقيقة توجهات اعتمدت بشكل كبير على خبرات وممارسات المجتمعات الغربية. وهناك شيء من المفارقة من أن الأبحاث الاجتماعية السابقة، مثل النظريات المتطورة، كانت أكثر تناغمًا مع التطورات العالمية، أكثر مما كان عليه الحال غالباً مع نصوص العولمة فى علم الاجتماع.

الفصل الأول

ما الجديد عن العولمة؟

أنكر بعض انمعلقين أن العولمة تمثل ظاهرة، إلى الحد الذي تثار فيه التساؤلات حول جدتها وحتمية وجودها. ورأى آخرون أن العولمة مجرد شيء مشوش، ونهج هدام، وشارك في وجهة النظر هذه بعض علماء الاجتماع والمناهضون لأنشطتها، لأسباب مختلفة وبطرق مختلفة. هذا الموقف من قبل علم الاجتماع تجاه المجتمع المعاصر، بمثابة صدى، لما سبق أن قلته في مكان آخر (Ray 1999) بأنه توق أو حنين مشوب بالرومانسية لمزيد من الولاء والارتباط بالماضي الآمن. النقاد الكلاسيكيون لعلم الاجتماع للمجتمع الصناعي غالبًا ما كانوا يستحضرون روح الماضي؛ التقاليد، العادات، الحكم الشعبية، والتضامن الاجتماعي، الأخلاق والافتتان بسحر الماضي، وهي رؤية مختصرة لعالم الاجتماع تونيز (Tonnies 1971)^(*) عن التمايز في مجتمع الكوميونات عن العلاقات بين الجيمينشافت "Gemeinschaft" والجيسلشافت "Gesellschaft".

قام بعض نقاد العولمة باستلهم روح الماضي بلغة مجازية مشابهة (على غرار ما قام به علماء الاجتماع الصناعي من قبل) واعتبروا أن هذا التطور نهج حتمي وكانت وجهة النظر المقترحة أن العولمة تشير إلى أنها نسق مركب من التغيرات الاجتماعية المعاصرة، بعضها مما كان مألوفًا

(*) فرديناند تونيز عالم اجتماع ألماني ولد في ٩ أبريل ١٨٦٣م ومعروف بدراساته الغزيرة. (المترجم)

فى علم الاجتماع المبكر، وبعضها جديد. هذا الخلط وحده من شأنه بالضرورة أن يعرقل الحكم على العولمة (سواء أكانت سلبية أو إيجابية).

أما بالنسبة للمصطلحات الخاصة بالتجديد أو بمعنى آخر الخاصة بالعولمة، فلم يكن هناك أى نوع من التواصل البسيط أو الفجوة - فالنظريات الاجتماعية المبكرة لم تقم بدراسة واقع الحياة الجديدة التى تتعلق ب 24/7 من المجتمع، وأسواق المال العالمية، والتكنولوجيا المتقدمة التى تنتج أنواعاً جديدة من الكمبيوترات ذات الاتصال المباشر دون وسيط وعلى أنماط الحياة، فى حين أن فكرة التوحد العالمى لم تكن جديدة بالنسبة لعلم الاجتماع. فكتاب القرن التاسع عشر مثل سان سيمون "Saint - Simon" وكومت "Comte" وماركس "Marx" كان لديهم تصور بإمكانية وجود عالم موحد، من الممكن أن تصبح فيه الهويات القومية غير ذات أهمية كبيرة. كان علم الاجتماع السائد بالنسبة لويبر Weber مجاله التاريخ متمثلاً فى الهدف والتطورات، كما يشير المذهب العقلانى بوضوح إلى الانتشار العالمى لنظم الفعل العقلى والتنظيم. بعد ذلك وفى أواخر القرن العشرين ظهرت نظريات التنمية العالمية (مثل نظرية النظم العالمية) التى تعتبر الرأسمالية هى النظام العالمى الوحيد الذى تم من خلاله بناء المستويات المحلية بواسطة لب النظام. ومن ناحية، فإن نظرية النظم العالمية اعتمدت بشكل مكثف على التحليل الاقتصادى أكثر من اعتمادها على التطورات الثقافية، التى تم تأكيدها بواسطة النظريات الاجتماعية للعولمة. ومن ناحية أخرى، فإن كثرة ما كتب من قبل علم الاجتماع عن العولمة أصبح بمثابة تلوثاً ثقافياً، ونتج عنه القليل جداً من لفت الانتباه للتطورات الاقتصادية المتخفية للحدود القومية التى تشكل عالماً دولياً. هذا الفصل يعرض للمناقشات الأولية التى دارت حول العولمة وتلك التحديات التى تواجه النظريات الاجتماعية المبكرة، وتواصل مضيقاً لرسم تخطيطى لنظرية العولمة وأنها حياة اليوم.

العالمية، المجتمع والعولمة

السرعة والاندفاع للعالم المعاصر يهدف الترابط العالمي لم يكن متوقعاً من قبل المنظرين الاجتماعيين المبكرين بمثل هذا الشكل، رغم أن فكرة تصور العالم ككيان شامل، وكذلك المفهوم الإنساني العالمي، له جذور تاريخية منذ زمن طويل ويشير تجاه نظرية العولمة الأخيرة- التي وُجّهت بتحويلات درامية في المجتمع الأوروبي في القرن التاسع عشر، حين ركز المنظرون الاجتماعيون الكلاسيكيون بأساليب مختلفة على عدم استقرار المجتمع، وعدم ترابط العلاقات الاجتماعية في العالم الحديث (Ray 1999 B) - فإنه في بعض الأحيان يقال إن العولمة أفرزت حالة جديدة قائمة في التنظير الاجتماعي مرتبطة بما أطلق عليها بك (Beck 2000a: 21) "محتوى النظرية الاجتماعية"، لم تترك بعد. المحتوى التنظيري يشير إلى أن "المجتمع"، هو هدف علم الاجتماع، ومتضمن داخل حدود الدول القومية التي أصبحت الآن متأكلة. لكنني سوف أقترح في هذا الفصل والفصول التالية أن النظرية الاجتماعية قابلة للتعديل لتفهم "علم الاجتماع" بمستويات متعددة من التحليل تتجاوز الحدود القومية. وأرى أيضاً أن الجدائل المتنوعة للنظرية الكلاسيكية رسخت زيادة الرموز الكوزموبوليتانية في المجتمعات الحديثة في مقدمة نظرياتهم. هذا الموضوع تم نقاشه في الفصل الثاني بتوسع في سياق مشكلة التوحد الاجتماعي.

الموروث الكلاسيكي (التقليدي)

محاصرة "المجتمع" داخل نطاق الدولة القومية، كان مدار نقاش موضوعي، يؤكد أن ذلك التناول كان تركيزاً أولياً من قبل علم الاجتماع والمنظمات السياسية ويتوافق مع ملايين الناس. ما دام هناك العديد من المفاهيم الكلاسيكية "للمجتمع" تقدم أبعاداً متعددة من المفاهيم الوفيرة للعلاقات

الاجتماعية المعترف بها دوليًا. ولدينا رؤية سان سيمون "Saint - Simon" عن الوحدة الأوروبية سياسيًا واجتماعيًا، ونظام الحكم (نشرها في صحيفة الأرض التي يصدرها) التي تقوم على ممارسات عامة وقيم مشتركة (Ray 1999b: 36- 41) مثل مفهوم كومت "Comte" عن المستقبل، الذي يرى أن الهوية القومية ينبغي أن تلغى بالالتزام بالطبيعة الإنسانية وتسترد بالقيم العالمية (Ray 1999b: 36-41). أما ماركس، بطبيعة الحال، فلديه تمسك منقطع النظير بنظريات كلاسيكية أخرى، إلى الحد الذي جعله يميل إلى إغفال الطرق التي تجعل رأس المال القومي والمصالح يكاد يتعادل دوليًا في كل من الرأسمالية والنظم الثورية البروليتارية (طبقة العمال). لقد كانت البعثة التاريخية الرأسمالية على وشك "هدم أسوار الصين" وتجعل العالم ملتزمًا بنظام إنتاج واحد. ومن ثم:

"فإن الخلافات القومية والخصومة بين الناس ستزداد تلاشياً يوماً بعد يوم، إزاء التطور البرجوازي، وحرية التجارة، والسوق الدولية، والتنسيق في أساليب الإنتاج، وانسجام أحوال الحياة أيضاً."

(ماركس وإنجلز 1967 Marks and Engels)

أما ويبر Weber فيتمسك بأن التطور الاجتماعي كان تاريخيًا، وعالميًا بمعنى أنه كان مهتمًا بالأحداث التي تشكل العالم - صعود الرأسمالية، نمو المنظمات البيروقراطية، والعقلانية باعتبارها قدر العالم التاريخي، وكذلك تصاعد العقائد الدينية في العالم. علم الاجتماع بالنسبة لويبر Weber، هو علم ثقافي يهتم بفهم وإدراك كيفية تعبير العالم عن وجهات نظره المختلفة في معارضته لأشكال المؤسسات التي تتحكم في الأساليب التي يمارسها الوجود الإنساني بطريقة مجدية. من الاهتمامات الرئيسية ذلك الشكل العقلاني المحدد والتميز الذي ناهض الانتشار الذي يصعب السيطرة عليه للبيروقراطية، ومظاهر لا يمكن إحصاؤها لبعض الأحداث وتتفاى مع الشخصية الإنسانية

(Rosenberg 2000: 97). هذا بالإضافة إلى أن مفهومه يركز على الفعل الاجتماعي أكثر من "الكوميونات" والطرق التي يتشكل بها الفعل من خلال الأشكال المتعددة للاقتصاد، والثقافة، والمؤسسية والمبادئ ونظم القيم (Weber 1967: 4).

من الأهمية بمكان التمييز بين المواقع المحتملة للعمل الاجتماعي والتركيبية البنوية داخل حدود الدول وعن أي شيء أساسي قومي حول مفهوم "علم الاجتماع". فدوركهيم Durkheim على سبيل المثال استخدم وجود الدول القومية كقاعدة بيانات ليكتب بحثاً مقارناً، رغم أن مفهومه لعلم الاجتماع لم يكن مرتبطاً بوجود الدولة القومية. ومن الغريب أن يقول: "إن كل تجمع لأفراد على صلة دائمة يشكلون مجتمعاً." (Durkheim 1984: 276). وبعبارة أخرى فإن المجتمع هو أي شكل لمجموعة نمطية متواصلة تستطيع أن تتلاحم على مستوى الدول، وبشكل كبير، في مثل الكثير من التجمعات داخل المناطق المتخطية الحدود؛ أو ما يطلق عليهم في الوقت المعاصر مصطلح شبه الكوميونات^(*). وعلى عكس أولئك الذين يتهمونه بأنه أسبغ على "المجتمع" صفة الوجود المادي.

في حين أن دوركهيم أراد أن يتجنب مفهوم التعميم، كما أنه وضع أساس تحليلات التضامن الاجتماعي بشكل ملموس (حقائق علم الاجتماع) - مثل الحكم والأمثال والأقوال المأثورة والقوانين التشريعية والطقوس، والذاكرة الجماعية، ونظم الإدراك وأشكال أخرى معروفة ومتداولة. بالإضافة إلى ذلك، فقد تطرق إلى أن التوحد الاجتماعي العنصري في المجتمعات العنصرية كان ممكناً رغم أنه أُحيل إلى اللجنة الرئيسية لحقوق الإنسان، فاللجنة الاستشارية في حركة حقوق الإنسان أشارت إلى عدم إمكانية تغيير أشكال السلوك الاجتماعي في الدول المتخطية الحدود (Durkheim: 1969) كما أنه كان على

(*) جماعة ذات تنظيم مشترك تعيش في موطن واحد في ظل قانون واحد. (المترجم)

وعى أيضًا بأن الأوضاع الاجتماعية للتوحد في المواقع المكانية المتجاورة قد تم إغفالها بواسطة التصنيف والتمايز الاجتماعي. وحقيقة، فإن والترز Waters (5-6: 1996) يرى في مقولة دوركهايم (موروث التراث في العولمة) في نظريات التمايز والثقافة. لقد أصبحت المجتمعات من حيث بنيتها ذات تمايز عنصرى إزاء إصابتها بحالة ضعف وزيادة التنوع المجتمعي.

في بداية القرن العشرين قام علماء الاجتماع بتحليل الكوميونات عبر الوطنية، وأثار الهجرات على مفاهيم الذات. فعلى سبيل المثال، قام (توماس Thomas وزنانيكي 1918 Znanieki) بدراسة كلاسيكية عن الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا، وفي عام ١٩٩٦م، طوراً نظرية عن التحول الثقافي للذات، وادعيا أن الناس تتصرف طبقاً للعادات، ويستمررون على هذا المنوال يوماً بعد يوم، حتى تحدث أزمات. عند هذه النقطة فإنهم يبتدعون ما يسمى "بالموقف الواعي" (أو ما يمكن أن نصفه برد فعل انعكاسي) هذا الموقف! يفسر الازدواجية الثقافية التي نشأت بسبب التوترات بين التراكبات السابقة وتجربة الهجرة. هذه الازدواجية يتم حلها من خلال فورة انعكاسية ذاتية تتسم بالتجديد، تجمع (في حالتهم هذه) القيم ومعايير السياق الثقافي البولندي والأمريكي. وقام توماس وزنانيكي برسم بيانى عن أجيال المهاجرين كبار السن أظهرت ارتباطهم بقيم (الوطن) أما صغار السن من المهاجرين فينزعون إلى الفردية بشكل متزايد (ويتخلون عن الروابط العائلية) والاستمتاع بالحياة (عدم الالتزام بالقيود على السلوك الجنسي) والذرائع لتحقيق النجاح. وبالتالي فإن تأكيدهم على "تحديد وضعهم" يتوافق مع أصدقاء ما أكده ماركس Marx بأن الناس تصنع تاريخها، لكنهم لا يصنعونه كما يأملون؛ لأنهم مكبلون بلعبة القوى الاجتماعية التي تجابههم في مواقفهم وأفعالهم الحياتية. وقد التقط ميرتون (1957: 195- 206) Merton بإصرار وقرر بأن الأفعال الاجتماعية في حاجة إلى أن توضح مصطلحات الاختيارات الفردية في ثنائيا هيكل اجتماعى بديل. من خلال وجهة النظر هذه

تكون الذات مرتبطة بالمكان والزمان وتتلقى القيم بشكل انعكاسي للتعبير عن مواقفهم. وبعد هذا استسلاماً كاملاً مماثلاً لفكرة التهجين أو الذات الحدودية، التى لها تاريخ طويل فى علم الاجتماع.

أما الدراسة التى كتبها دوركهيم Durkheim عن الحقوق المبنية على عضوية النظم الاجتماعية ذات التمايز العنصرى، فقد تم تطويرها على يد تالكوت بارسون Talcott Parsons مؤخراً، حيث قام بتطوير مفهوم "الكوميونات المجتمعية". صحيح حقاً أن مفهوم الكوميونات المجتمعية اقتضى ضمناً تطوير الأنماط المعقدة للعلاقات الاجتماعية فى الإطار العام للحدود القومية. وقد اعتبر بارسون أن عمليات التعديل، بمثابة تحقيق هدف التكامل، والكمون فى أسلوب تعاملها داخل مجتمعات ذاتية مغلقة، رغم تفاعلها بشكل جمعى أو فردى وعلى مستويات متعددة. كما أنه شرح "المجتمع" بطريقة غير متقنة كما يلي: ليس من الضرورة لمفهوم المجتمع أن يكون بأى حال من الأحوال معتمداً بشكل تجريبي تبادلي مع مجتمعات أخرى، لكن ينبغي عليه فقط أن يتضمن كل عناصر البنية والوظائف الأساسية الاستقلالية ونظم المعيشة (Parsons 1979: 23) وإذا وجدت سلبية مزدوجة فهذا اعتراف منه بأن هذا المجتمع يشغل حيزاً محدوداً، لكنه أيضاً جزء من شبكة المجتمعات التى تعتمد بعضها على بعض. هذا بالإضافة إلى أن هناك رؤية أساسية لدى بارسونز Parsons بأن علم الاجتماع المدروس، كان موجوداً فى مجتمعات أواخر القرن العشرين وعلى نحو متزايد ومتعدد نتيجة لتنامي العقائد الدينية والعرقية المتنوعة والتخصص فى توزيع العمالة. وعلى حين يتباكى بعض منظري علم الاجتماع المعاصرين على افتقار الكوميونات المجتمعية (المزعومة) فى الماضي، فإن بارسونز Parsons أكد بأن التطوير المعيارى للنظم المركبة الذى معظم أعضائه من جماعة النظم الاجتماعية من الممكن أن يستقلوا عنها ويستقروا فى شبكات مترابطة من خلال الحقوق الفردية العالمية- ويتطلعون بكل تفاؤل تجاه القوة، والانفتاح والعالمية والنظم الديمقراطية الاجتماعية (Parsons 1979).

وفى الحقيقة فإن عالم القرن الواحد والعشرين مختلف تمامًا عن ذلك العالم التقليدى فى منتصف القرن العشرين بنظامه الاجتماعى، رغم ذلك فإن تأثير التقاليد الكلاسيكية مازالت فعالة بقوة ومحل جدل. وسر قوتها أن التشريعات الكلاسيكية مصدر ثرى نافذ البصيرة، يفهم ويحلل ما يمكن أن ينتشر ويفسر ويسيطر على المشاكل الجارية. لكنها إشكالية، لأن العالم الاجتماعى للكلاسيكيين يعتمد بشكل كبير على الصناعة، والإمبريالية وكبار البرجوازيين فى المجتمعات الأوروبية منذ الحرب العالمية الأولى. وبصفة خاصة لتزايد الفجوة بين النظرة الحضارية القادمة، التى تميز كتابات ويبر Weber وبين النظريات المعاصرة للعولمة. هذا التوجه الحضارى كان له تأثير كبير فى تأسيس مدرسة علم الاجتماع المقارن وأيضًا فى نظرية نوربرت إلياس Norbert Elias، عن التطور الحضارى^(١). كان هناك ميل فى هذا التوجه يرى أن التحضر بمثابة مزيج من رموز إلى أقصى ما وصل إليه العلم والبحث والنظم الداخلية للحياة المؤسسية، والمال، والأساطير واللغة وما إلى ذلك. وكما يشير ماندالويس (1996) Mandalios إلى أن هذه الأمور، لا يمكن اعتبارها "أسوارًا حديدية" لكنها بمثابة تخوم أكثر من كونها حدودًا، يتعايش الناس معها بالحنى والأفكار التى ينبغى أن تسود. كما أشار ماندالويس (1996) Mandalios إلى ريادة نيلسون (1973) Nelson الذى قام قبل المنظرين للعولمة بتطوير نظرية "الثورة المكانية- والزمنية" التى ترى أن التوجه الحضارى يعد إشكالية فى عصر يضاعف من سرعته بشدة وبتأثير بالغ فى مجال المعرفة الثورية وأساليب الاتصال، والسيطرة والنقل. وبالتالي لاينبغى أن نلقى بالاً للتناقض العام بين القومية وعلم الاجتماع العولمي. وهناك تصور خطر بأن العولمة ستحول الكرة الأرضية لكيان وحدوى بأساليب تحبس بها الخبرات والمهارات الثقافية للمجتمعات سواء فى صميمها أو فى المناطق المهمشة المتجانسة الهوية، وعلاقتها بالدول التى تتصف بالازدراء والإقصاء.

التبعية والنظم العالمية

استأدا على نظريات ويبر Weber وبارنسونز Parsons عام (1950- 1960) عن علم الاجتماع والتحديث، وقضايا التنمية العالمية فى الطبعة المطورة التى نشرت عام 1987 عن دار أيسنشتاد (Eisenstadt 1987) عن نظريات التقاليد والتحوللات الحديثة بطريقة أكثر دقة وبفارق بسيط عما قامت به التقارير المعاصرة (انظر صفحتى 58-60) . وعلى أى حال، فإن نظريات الحادثة مالت إلى تصور مستقل نسبيا للمجتمعات التى تشارك فى عمليات التنمية الاجتماعية بدافع داخلي. وتم معالجة القضايا الاجتماعية من قبل علم الاجتماع، وخاصة نظريات التنمية والإنتاج العالمى المتزايد غير المتكافئ. كما أن الطفرة الماركسية والنظريات الماركسية الجديدة فى السبعينيات من القرن الماضى تناولت العلاقات الاجتماعية العالمية بطرق متعددة. وكما قال إسكلير (Sklair 2002: 32) "العامل الوحيد الأكثر تأثيرا فى فترة ما بعد التجديد النظرى الماركسى لتحليل التنمية فى النظام العالمى أنه قد أصبح نظرية تبعية". أما نظرية التبعية التى كان جنر فرانك Gunder Frank من أفضل المذاكرين لها، ترى أن العالم الرأسمالى كنظام إنتاج يتصف بعدم المساواة سياسية زيادة الإنتاج غير المتكافئ من اناحية التجارية بين البلدان النامية ودول العالم الثالث، فالأرباح التى تحققها الشركات عبر القومية، تقوم على استغلال واستثمار اليد العاملة والموارد لصالح النخب فى الدول المتقدمة. وهذا النظام تدعمه قوة عسكرية من النخبة المحلية مدعمة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها. التبعية تمنع العواصم المحلية من تكديس إنتاجها (فيما عدا بعض المحميات الأجنبية القليلة) وذلك يعوق تنمية رأس المال للسكان الأصليين. كان منظرو التبعية على قناعة بأن التنمية غير ممكنة من خلال النظام الرأسمالى العالمى وبعضهم (مثل أمين Amin 1990) طالب بفك ارتباط دول العالم الثالث عن العواصم العالمية، ورغم المحاولات للقيام بذلك (مثل تجربة بورما القائمة على الاكتفاء الذاتى والتحرر من الاشتراكية عام ١٩٩٠م) لكنها لم تتجح بصفة عامة فى تحقيق تنمية محلية.

أما التهديد المباشر لنظرية العولمة، فيتمثل في نظرية النظم العالمية التي ترى أن العالم من خلال إطار متوحد، يمكنها أن تحقق التوازن بين المكونات المختلفة للنظام. فهي تفترض أن تكون المستويات في النظام متدرجة، لتبرز تأثير النظام العالمي على المحليات والأثر المتبادل لكلا الطرفين. وتزعم نظرية النظم العالمية أنه من الأفضل استغلال القوى الكامنة الموجودة، بدلاً من نظرية الحداثة، ما دامت الليبرالية والماركسية بنوعياتهما المختلفة في استطاعتهما تفسير عدم تحضر الكثير من الأقاليم الكبيرة في العالم بشكل (تام) أو تحولهم إلى طبقة البروليتاريا أو التجار ويرجع ذلك بصفة خاصة إلى:

- مفهوم الحداثة لم يكن متميزاً وينقصه التركيز على الرأسمالية باعتبارها مميزة ومرحلة انتقالية للتنمية.

- توجهات التبعية والنظم العالمية تتعارض مع الخطوط المؤقتة لتقييم نظريات التحديث المتطورة بدعوى أن النظام العالمي المعاصر يستولد أساليب "منقدمة" وأخرى "متخلفة".

- عندما توجد دورات متكررة داخل النظام محددة بفترة زمنية، في حين أن النظام يخضع للتحول التاريخي. أحد هذه الأمثلة، نظرية كوندراتيف Kondratieff (نظرية دورة كاف K الموجية) التي حددت هوية سلسلة طويلة من الموجات للنشاط الاقتصادي المرتبط بالاضطرابات الاجتماعية الكبرى^(٢).

- لا يوجد تسلسل للتنمية، لذا فلا يستطيع المرء أن يقول إن أوروبا كانت أول منطقة صناعية "وتبعها" مناطق أخرى، لأن النظام العام يخضع للتغيير في نفس الوقت، لكن بطرق مختلفة وأماكن متفرقة (شيس دن 1983 Chase- Dunn).

- كانت هناك ثلاث مراحل لتطور النظام العالمي: (i) الإمبراطوريات العالمية، مثل الإمبراطورية الرومانية القديمة. (ii) الاستعمار الأوروبي. (iii) ما بعد المستعمرات الحديثة رأس مالية الاقتصاد، والدول القومية. هذه

المراحل ينبغي تفسيرها من وجهة النظرية الديناميكية التي تشير إلى منطق التراكم والتنافس بين الدول القومية. ويتحتم على النظرية أن تفسر الاختلافات في مجال التصنيف الاقتصادي الخارجى، إلى أقصى مدى. (مثل حيازات الإنتاج الصغيرة والإقطاعيات)^(٣).

التقسيم الدولى للعمالة وتبعية العلاقات الاجتماعية غير الرأسمالية فى التعامل مع النظام الرأسمالى يحدد نطاق الحدود المكانية للنظام العالمى. عناصر هذه الحدود (هدف كامل، نصف هامشى، أم هامشى) هى التى ستحدد سمات المشروع ومدته الزمنية فى المكان والمعايير التى تربطه بخصيصة النظام والنتاج. فعلى سبيل المثال، جرى نقاش ممتد خلال الثمانينيات من القرن الماضى بين علماء الاجتماع واقتصادى التنمية عن جدوى استمرارية المجال الصغير لأسر الفلاحين فى مجال التنمية العالمية. هناك العديد من النظريات الماركسية والحداثية توقعت اختفاء الأنشكال الإنتاجية فيما قبل الرأسمالية مع الانتشار العالمى للزراعات الموسعة عبر الحدود والفعالية المتزايدة فى مجال الزراعة. وهناك مزيد من الأبحاث ناقشت ذلك بشكل معاكس، فالرأسمالية شجعت الحيازات الزراعية الصغيرة فى بعض أجزاء العالم (مثل كوررى وراى 1986 Currie and Ray) لأن الرأسمالية تحجر وتعزل ما كان موجوداً قبل الرأسمالية من أشكال عتيقة. (إسكلير 1991 Sklair).

الرأسمالية العالمية ليست تحديثاً عالمياً، فهى تحتفظ بأشكال ما قبل الرأسمالية، حيث يستطيع المزارع استخدام طاقة أرخص (مثل العمالة الأسرية) وقيامها بذلك الإجراء (تم نقاش هذا الموضوع بالتفصيل فى الفصل الخامس).

رغم أن نظرية النظم العالمية ليست مجرد مجموعة متكاملة من المقترحات النظرية، فإنها تقدم تحليلات للتغير الاجتماعي لها أهمية بالنسبة لحيوية الرأسمالية. وعلى أى الأحوال، فإن توجهات النظم العالمية أصابها الضعف من جراء العديد من التطورات. أولاً: بالنسبة لنظرية التبعية، التى بدأ ظهورها فى السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضى فى البلدان الصناعية الجديدة، فى سنغافورة، تايوان، كوريا الجنوبية، ماليزيا، التى نجحت فى اقتحام مجال التنمية التبعية وعززت نموذج الرأسمالية، بدلاً من أسلوب التنمية الاشتراكية. هذا التحدى يدفع الادعاء الذى يزعم أن دخول نظريات النظم العالمية فى مجال التنمية فى قلب الأقاليم البعيدة مستحيل تماماً. ثانياً: كانت النظرية ذات ثقل من الناحية الاقتصادية (بمعنى أنها خففت جانب الحياة الاجتماعى على حساب العوامل الاقتصادية). وتوقفت بالمزيد من ثقافات نظريات العولمة الموجهة، وما بعد الحداثة القابلة للتطويع. ثالثاً: رغم أنها أصبحت قبله الأنظار العالمية، فإن توجهات النظام العالمى ظلت على مفهوميها المحلى لمحتوى علم الاجتماع فى تعاملها مع الدول القومية، الذى تم إدراكه بتشكيل ثلاثة مستويات نسبية بترج هرمى غير قابل للتعديل (هدف كامل، نصف هامشى. أم هامشى). ويعقب إسكلير (Sklair: 42)، بأنه "ليس هناك أبعاد عالمية متميزة فى نموذج النظم العالمية: ويبدو أنه محاصر داخل بؤرة المركزية القومية التى يؤكد دائماً".

وهكذا أستطيع إذن القول إن النظريات المتعددة التى ناقشناها بما فيها الكلاسيكية والاجتماعية الأخيرة كان بإمكانها تنظير المجتمع العالمى وتحديد المستويات الاجتماعية التى تمتد داخل وخارج الدول القومية. هذا هو الموضوع الذى سنتناوله فى المناقشات التالية من حين لآخر. كما أننى انتقيت نظرية النظم العالمية لأنها سابقة على نظرية العولمة وبشرت بها بشكل مباشر، رغم أننى حددت بعض الأساليب بحيث يكون هذا المدخل محدوداً. الجزء التالى سوف يتعرض لبعض الحوارات المهمة عن نظرية العولمة، بالتوالى فى الفصول القادمة.

حوارات حول العولمة

سنتناول في هذا الجزء وباختصار ست قضايا مهمة في حوارنا عن العولمة. أولاً، إحدى القضايا المحورية عن العولمة، وعما إذا كانت واقعاً فعلياً. ثانياً، وحتى إذا كان الأمر كذلك، فهل هي توحى بأى شيء جديد. ثالثاً، هناك تساؤل عما إذا كانت العولمة انبثاقاً طارئاً في حد ذاته أدى إلى تغيرات اجتماعية أم هي نتاج تطورات عناصر اقتصادية وسياسية وثقافية. رابعاً، هل العولمة تحت على التجانس (مثل الانتشار العالمي لأنماط الاستهلاك والإعلانات) أم تريد عدم تباين الخواص الثقافية والاقتصادية والنظم السياسية. خامساً، ماذا لديها من مفاهيم ضمنية لتقدمها إلى الدول القومية؟ هل أصبحت هذه الدول جوفاء، حتى نقدم لها مزيداً من التحرك الاستثمارى (المتصاعد إلى أعلى) نحو الهيئات الدولية، أو إلى "أسفل" نحو المستويات المحلية والإقليمية؟ أخيراً، وحتى إذا كانت العولمة مؤثرة فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين، أليست الآن فى حالة انحدار أو تراجع إلى الخلف، حيث انصراعات العالمية وانعدام الأمن الاقتصادى التى تحت على فك الارتباط مع شبكات الاتصال العالمية؟

أولاً: وهى واحدة من القضايا المحورية حول العولمة وعما إذا كانت واقعاً فعلياً. هناك عدم اتفاق جدير بالاهتمام إزاء سرعة خطى وأهمية العولمة. بعض المنظرين - أطلقوا عليها "العولمة اليوجاء" (أو المنظرية) وتتبا منظرون آخرون بأنها "عالم بلا حدود" أو يوتوبيا أخرى للتجانس العالمى، فى حين يتساءل المشككون عما إذا كانت واقعاً فعلياً على الإطلاق. أما الذين أطلقوا عليها "هوجة عالمية" يرون أن العولمة سنقودنا تجاه حالة نهائية تصبح فيها الكرة الأرضية كنفا مجرد تقاطعات متعارضة بواسطة التطورات العالمية إلى الحد الذى تفقد فيه الأماكن خصوصيتها وسيكون هناك مجتمع عالمى واحد. ويصبح العالم حيزاً مكانياً للإنتاج ويزيد

الاستهلاك، ورؤس أموال لا مقر لها ومنتجات لا وطن لها، طوفانا من شبكات الاتصال العالمية تعبر المحليات فتعيد تشكيلها. ونظراً لقوة نظرية العولمة، فسوف يشكل كل علماء الاجتماع من خلال سياق التدفق العالمي، جبهة لمناهضة العولمة. (روبرتسون 1992) (Robertson)^(٤)

اختلف نقاد العولمة في توجهاتهم. بعضهم يرى أن مثل هذه الأمور التي تحدث بشكل جلي بمثابة ظواهر غير مرغوب فيها، ربما تمثل الأشكال الإمبريالية المعاصرة، التي يمكن مقاومتها (مثل بتراس وفلتماير 2001) (Petras and Veltmeyer) أما أولئك المتشككون في عدم وجودها على الإطلاق فيعتبرون أن جوهر العولمة المزعوم لا أساس له. فعلى سبيل المثال فإن هيرست وتومبسون (1996) Hirst and Thompson أعربا عن عودة الاقتصاد إلى النظام العالمي في أواخر القرن العشرين الذي كان سائداً منذ عام ١٨٧٠م حتى عام ١٩١٤م، وظل قائماً في الاقتصاد القومي والإقليمي والمهام السياسية الاقتصادية. وفيما بين عامي ١٨٩٠م و١٩١٤م تدفقت التجارة والاستثمارات بأعلى مما هي عليه الآن، فالحدود كانت مفتوحة، وزادت حركة الهجرة في القوميات والأقاليم. إلا أنهم يزعمون أن نظرية العولمة مبالغ فيها، وأن تطوراتها لم يسبق لها مثيل. صحيح أن هناك عدداً قليلاً من الشركات العالمية المتخطية الحدود (TNCs) لكنها قائمة على أسس من التعاون القومي مع الشبكات المركزية أو الفرعية. إن فكرة "رأس المال النظيف" مبالغ فيها ما دام أن الاستثمارات الأجنبية (FDI) المباشرة تساهم بنسبة ٥,٢٪ من رأس المال الثابت عام ١٩٩٥م، في حين تظل المدخرات القومية المحلية، هي الحاسمة باعتبارها مصدر رأس المال (تومبسون 1999) (Thompson) ويبين الشكل ١-١ النمو السريع جداً في مجال الاستثمار الأجنبي المباشر FDI في أواخر القرن العشرين، ومعظمه من دول العالم النامي، وهذا ما أشار إليه فيجستين (2001) Figstein حيث قرر أن الجزء الأكبر من التجارة الخارجية والاستثمار الأجنبي (FDI) يتمثل في ثالوث.

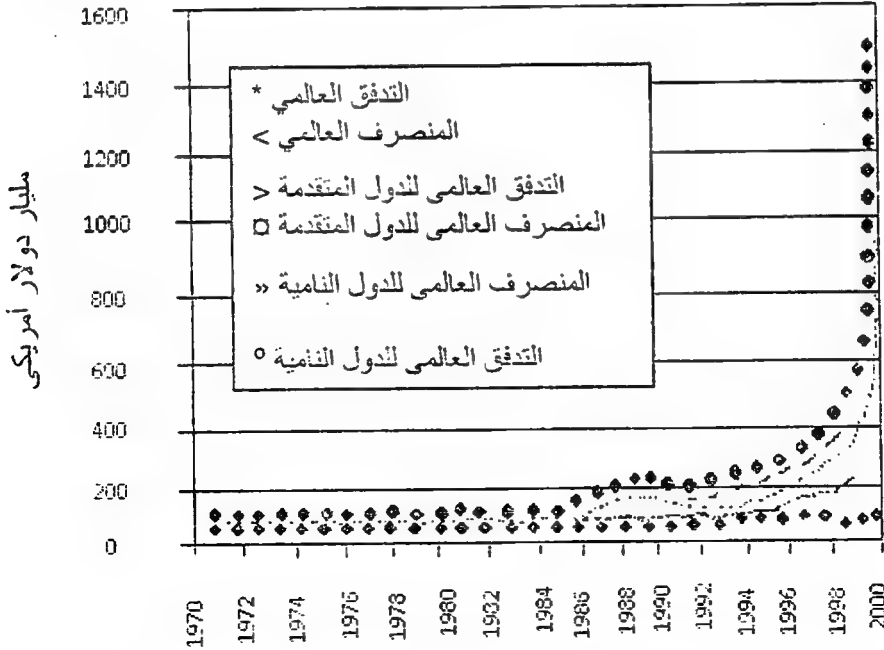
أمريكا الشمالية والاتحاد الأوروبي (EU) واليابان، حيث تم تقسيم العالم إلى كتل تجارية إقليمية مثل منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (NAFTA) والاتحاد الأوروبي (EU) ورابطة جنوب آسيا (ASEAN). وقد أشار رايكروفت (Rycroft 2002) إلى أن التجارة العالمية عام ١٩٩٤م كنسبة مئوية من إجمالي الناتج القومي (GNP) لم تصل إلى مستويات عام ١٩١٣م، في كثير من الدول ومن ضمنها هولندا والمملكة المتحدة واليابان. ومن ناحية أخرى فإن حصة القيمة المضافة^(٥) في التجارة العالمية زادت عن أى فترة مضت في القرن العشرين. ويرى فايس (Weiss 1998)، أنه رغم وجود طابع التدويل في أواخر القرن العشرين، فإنه لم يكن هناك شواهد حقيقية على التوحد العالمى، في حين ظلت الدول القومية المؤسسة الرئيسية من خلال تنظيم الاقتصاديات.

ويعتبر الآخرون العولمة بمفهوم إمبريالى يخطط لنشر الخصائص ووجهات النظر الأمريكية على النطاق العالمى مما يسهل جدًا انتشار العولمة (بورديو وواكيانت 1999 Bourdieu and Wacquant).

أحد الآراء المعارضة لوجهات النظر هذه يرى أن النقاد أنفسهم يبالغون بخصوص نظريات العولمة، إذ إن نظريات العولمة لا تدعى أن الاقتصاد العالمى سيشمل الكرة الأرضية؛ لكنها تدعى فقط أن قطاعات معينة ستكون مقتصرة على سلسلة من السلع المعينة (Kobrin 1998). هناك ادعاءات سابقة بوجود أشكال للعولمة قبل ذلك، كانت مختلفة تمامًا في أهدافها وتأثيرها عما هي موجودة عليه الآن. الاقتصاد الدولى فى القرن التاسع عشر اقتضى ضمناً ارتباطات منفصلة فى التبادل انحصرى بأسواق متباعدة جغرافياً. فى حين أن عولمة القرن العشرين دمجت الأسواق القومية المتخطية الحدود (جيوللين 2001 Guillen).

جدول 1-1

الاستثمار الأجنبي المباشر، التدفقات المالية - من وإلى - حسب المنطقة 1970 - 2000



المصدر: مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية 82 - 268: 2003

هناك شكوك تركز على انجذاب الاقتصاديات والمالية للعولمة في حين أن هناك شواهد موجودة تدل على اتساع نطاق العولمة سياسياً وثقافياً سبق الإشارة إليه وتشمل "البعد الزمني- والمكاني"، والنظام الرقمي للاتصالات الذي سهل الاتصال الفوري في الفضاء بشكل ملموس ووسائل الإعلام العالمية والوعي الجماعي والمخاطر العالمية والزيادة السكانية والأفكار والسلع عبر الحدود.

أما القضية الثانية فتدور حول عما إذا كانت الظواهر التي توصف بها العولمة حتى ولو كانت بمثابة (واقع)، فهل تشير هذه الظواهر إلى أي شيء جديد؟ يرى البعض أن هناك سوابق للعولمة يمكن العثور عليها في الماضي، وأحياناً في الماضي البعيد، حيث يمكن أن يشير المصطلح تقريباً إلى أي شكل من أشكال الترابط الدولي. وبالتالي فإن العولمة المبكرة من الممكن أن تكون قد استقرت في عدة أماكن. وطبقاً لما كتبه مارتين برنال (Martin Bernal 1989) فإن الحضارة اليونانية القديمة نشأت من خلال خليط محلي، هندي، أوروبي، مصري، تأثيرات فينيقية، العقائد اليونانية القديمة التي تتصور العالم كياناً واحداً. وتصف جانيت أبو لغد (Janet Abu Lughod 1989) نظام العالم في القرن الثالث عشر بأنه كان ممتداً من قبائل الفلاندرز حتى الصين. وهذا تصور عالمي انبثق من وحي خيال المسافرين خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، انذين قاموا بالطواف حول العالم. من ناحية أخرى، يرى جينز (Giddens 1990 : 63) أن الحداثة بطبيعتها تنتمي للعولمة، ما دام كلا الرمزین أخذاً على عاتقهما تيسير تفاعلات معقدة للغاية (المال ونظم الخبرة) وكذلك اتبعت الزماني والمكاني. يقول أيضاً، "العولمة بها ميول للحداثة، وهذا واضح في الوقت الحاضر، وينبغي أن تدرك من خلال هذه المصطلحات. العولمة الحديثة، بقدر ما هي مثل الفضاء، منفصلة عن الأرض وتعيد الاندماج مع الأبعاد الفارغة للزمن". جينز (Giddens 1994b: xii)⁽¹⁾. إلا أن مارتين ألبرو Martin Albrow يصر على أن العولمة ليست هي ذروة النضج قبل التنمية الاجتماعية، مثل مسار الحداثة، لكنها تقدم تحولات جديدة. الحداثة كانت مشروعاً للترشيد في الدولة والسوق، في حين أن العولمة تقدم ثقافة بلا حدود وتشجع على التجديد الذي لا نهاية له وتنوع الثقافات. من خلال إلقاء نظرة على المئتي عام الماضية

نجد أنه ليس من الواضح أن الحداثة "تنتمي للعولمة"، لكن كانت هناك مراحل من العولمة تلتها فترات لا تتصل بها. وبالتالي فهناك ثلاث وجهات نظر عن العولمة: كونها كيانا ناضجا في تاريخ البشرية؛ أو نتاجا للحداثة؛ أو كرحيل تام من الماضي القريب. ويعقب جيوللين Guillen على ذلك بقوله:

"ليس هناك اتفاق عما إذا كانت العولمة بدأت في زمن ماجلان وميركاتور 'جيمس وات، وكابتن كوك، كينس وهوايت، نيكسون وكيسنجر، أو تاتشر وريجان، حتى نكون متأكدين تماما أن العولمة قد بدأت أو على وجه التحديد أن قصة العولمة ينبغي أن تبدأ." (جيوللين 2001)

وحتى نحدد نواحي التميز لمفهوم العولمة ونخلصها من التشويش لكى ندرك بهدوء ما الذى تهدف إليه، فقد حدد شولتى (Scholte 2002) "عدة طرق"، تشير إلى معالجات راسخة، وكما يقول ليست لها صلة بالعولمة. تتمثل في التدويل السياسى (النمو الاقتصادى عبر الحدود والنشاط السياسى)، والتحرر الاقتصادى (استراتيجيات السوق الحرة)، المسحة الغربية (مثل الانتشار العالمى للإعلانات للشركات مثل ماكدونالدز وقناة سي. إن. إن. CNN) العالمية (نحو الالتقاء الثقافى العالمى والأشكال المؤسسية). هذه الأمور مهمة فى حد ذاتها، لكن لو قمنا بتفسير معنى العولمة من خلالها فستكون المسألة "مجرد استعادة معلومات قديمة". يرى شولتى أن القصة الحقيقية للعولمة تتمثل فى انبثاق علاقات عابرة بين مستوى كوكبى عال وبين محليات ذات مستوى أدنى، ويرى أن نهضة المحليات حديثة الظهور تزامنت مع استخدام الطائرات النفاثة للسفر والهجرة عبر العالم والتحول الاقتصادى والاتصالات عبر الأقمار الاصطناعية والبث التلفزيونى عبر القارات وإنتاج المسلسلات، والتغيرات البيئية (مثل الاحتباس الحرارى العالمى). هذا، بالطبع إضافة إلى قائمة من التجارب التى تتكرر دائما قائمة على الملاحظة والاختيار. لكن الشيء الأكثر أهمية أن الاتصالات التى تقدم

هذه التسهيلات لا تتم في مكان محدد ولا تقوم ببساطة بالربط بين أماكن متباعدة لكنها تفرض علاقات اجتماعية عالمية، ويضيف "أن هذه الاتصالات العالمية تملك خصائص التزامن عبر العالم اللحظية" التي تؤدي إلى مزيد من التعقيد على المستوى الثقافي والبيئي والاقتصادي والسياسي. هذه هي "الفضاءات الجديدة التي تتعارض فيها الثقافات وتختلط عبر وداخل الدول. (كينيدى ورودمنتوف 2001 Kennedy and Roudomentof) وهذا بدوره يفترض مسبقاً عدم المعرفة بنظم المجتمع وعلاقاته، وقدرات الناس، حتى تقوم بتوحيدهم في حياتهم اليومية.

التساؤل عما هو جديد ينسب بالأهمية لارتباطه بالمضامين النظرية، لأن أهمية السؤال تتركز في السؤال عما إذا كانت بإمكان العولمة أن تستأثر بالأشكال الاجتماعية القائمة، أم أن الأمر يتطلب إعادة التفكير في علم الاجتماع بشكل شامل. وعما إذا كانت الترابطات العالمية نتاج تطورات على المدى الطويل، أو نتويجة للتطورات الحداثية، فإن المفاهيم الاجتماعية المتاحة بالفعل ينبغي أن توفر الأسس لتنظير العولمة. ولو أن العولمة تطرح آراء تدعو للقطيعة مع الماضي الذي كان ممثلاً في أطر موجودة من قبل وأصبحت بالية، إذن فنحن في حاجة إلى علم اجتماع جديد ينهض بأدوات التنظير والمفاهيم لكي نفهمه. وجهة النظر المطروحة هنا، أن العولمة هي نتاج التغيرات الاجتماعية والثقافية الحديثة الأخيرة، التي خلقت نوعيات مختلفة الأشكال لعلم الاجتماع أكثر مما كانت عليه في الماضي، ويتم إنجازها بشكل عضوي في الحياة اليومية. وأعني بصفة خاصة العقدين الأخيرين للقرن العشرين. رغم أنه من الأهمية بمكان أن نحدد الأصول التاريخية لهذه التغيرات.

القضية الثالثة هنا عما إذا كانت العولمة انبثاقاً ذا تأثير متقدم، فعلى سبيل المثال، ذلك الإدعاء بأن ضعف فعالية التطبيق للمفهوم الذي ستتضمنه الثقافات بدرجة ما للتوحد، تكفي لضمان استقرار الهويات المحلية يرجع إلى

العولمة (كينيدى 2002 Kennedy)؟ العولمة هنا من الناحية الوصفية بمثابة قوة - فعاليات بإمكانها تحقيق نتائج، بعكس ما نراها نتاج تكتلات لفعاليات أخرى، مثل الاقتصاد والسياسة أو التطورات الثقافية. يرى روزنبرج (Rosenberg 2005) أن العولمة توصف بأنها (مصطلح جغرافي) تتطلب نظرية اجتماعية أخرى (مثل الرأسمالية) لتوضح لنا ما تم عولمته وأين. ولكن أن نكسب صفة القوة التفسيرية للعولمة فهذا يعنى أنها تجسيد مادي للفضاء. وبالتالي فهل العولمة هي المفسرة (التي تفسر) أم هي المفسرة (التي تم تفسيرها)؟ وقد يبدو ذلك حلاً وسطاً، لكنه بطريقة أو أخرى يتضمن التفسيرين، وبذلك فإن العولمة نتاج لاختراق عميق عبر حدود التوحد، والترابط الشبكي والاتحاد مع الهياكل المحلية. لكنها في نفس الوقت قد تكون نتاج كل هذه التطورات، وأى أساليب قديمة بطبيعتها الأولية، وتطورها بأساليب مختلفة.

القضية الرابعة، هي عما إذا كانت العولمة تولد المزيد من التجانس (مثل الانتشار العالمي لأنماط الاستهلاك والإعلانات التجارية) أم تعمل على عدم التجانس للثقافة، والاقتصاد والنظم السياسية. العولمة تتطوى على ثقافة عالمية للاستهلاك وأنماط الحياة، على الأقل بين أوساط النخبة المتحضرة في المدن، حتى إن مظهر المدن متشابهة من حيث الطراز المعماري البيئي. وأصبحت المدن معبراً مشتركاً للثقافات من خلال خليط ثقافي متنوع لعلاقات مثل الفصل العرقي، والتوحد والاستيعاب وثقافات التهجين. كل ذلك يخلق ثقافات ديناميكية التكنولوجيا، مدعمة بسرعة الحركة، الصراع أحياناً. الإنجليزية هي لغة التواصل العالمي والثقافة العالمية، وقد يتساءل أحد ما هو غير المتواصل بالإنجليزية، فيجد أن اللغة المحلية أكثر تواصلاً من العالمية. وعلى أى حال، فهناك نقطتان بهذا الخصوص. أولاً، التطورات العالمية تنتشر في التو واللحظة بأشكال مختلفة في أماكن متباعدة والتجمعات الخاصة، عالمية أو محلية، تفرز نتاجاً مختلفاً، وهكذا ستخلق العولمة أنماطاً اجتماعية

مركبة ومتفاوتة- أنماط جديدة تحتل الرفض أو القبول لدى بعض الأشكال الثقافية المحلية، أو تكون هامشية بالنسبة لآخرين. ثانيًا، العولمة أو التطورات العالمية أو اللغة الإنجليزية تولد مقاومة وتوافقًا عكسيًا للثقافات المحلية والتقاليد. وهكذا، فعلى سبيل المثال فاللغة الإنجليزية ربما تمارس الهيمنة الثقافية باعتبارها لغة عالمية في مجال الإعلام، لكن من الممكن أن تجابه بتحديات كلغة عالمية. منذ أن أصبحت اللغة الإسبانية والروسية والعربية والفرنسية والسواحيلية والصينية لغات مشاركة في بعض التجمعات المتخطية الحدود المستقرة في مناطق معينة في العالم، وتحديدًا، في أمريكا اللاتينية، ودول الكومنولث المستقلة CIS، والعالم العربي وجنوب الصحراء الأفريقية، وشرق أفريقيا، وجنوب شرق آسيا، بشكل خاص. (جويلين 2001 Guillen).

هذه الآراء تتوافق من ناحية للالتقاء مع المناقشات العالمية. فالبعض يفترض مقدمًا أن العولمة نظام مسالم على الصعيد العالمي في إطار مؤسساتي متكرر للدولة الليبرالية الديمقراطية. وهناك من يرونها مجتمعًا مدنيًا عالمي الأخلاق والحكم وقانونًا دوليًا وسياسية اجتماعية وتنظيمًا اقتصاديًا إيدي وأوبرن (Eade and O'Byrne 2005). ويرى البعض الآخر أن المجتمع المدني العالمي يتطور اعتمادًا على الاعتراف بحقوق الإنسان غير القابل للتعديل بشكل فردي وبعيدًا عن أعضاء دول معينة تيرنر (Turner 1993). قامت الحركات الاجتماعية العالمية بإنشاء شبكات جديدة، وموارد ورأسمال اجتماعي، لتوفير البنية التحتية للديمقراطية العالمية (سميث 1998 Smith) والديمقراطية الكوزموبوليتانية بك (Beck 2000b). لكن مثل وجهة النظر هذه للنظام العالمي تشتمل على طموحات أكثر منها حقائق، إذا كان إطار القانون الدولي ضعيفًا، فهناك كثير من الشركات العالمية، لديها القدرة على التهرب من الاتفاقات الدولية وهناك بعض الدول التي تتسحب من الاتفاقات الدولية مثل (اتفاقية كيوتو) والصراعات العنيفة المنتشرة في بلدان العالم النامي. يشير مننل (Mennell 1995) إلى أن التبعية وتزايد الارتباط

بالمكان والزمان من المحتمل أيضاً أن ينتج عنه زيادة الاحتكاك والتوتر والعنف، وعدم الأمان والخوف الذى يثير العدوانية والعنف. وهذا بدوره يثير المزيد من الأسئلة عن ضرورة توفير الهدوء والعلاقات المدنية حتى نستطيع أن نتكلم عن العولمة كشكل اجتماعي.

القضية الخامسة تتعلق بما لدى العولمة من مضامين لتقدمها للدول القومية. هل أصبحت خواء أجوف تكرر ما يفيض عن الحاجة فيما يتعلق بمستويات إدارة عملية التحرك "صعوداً" بالنسبة للهيئات الدولية، و"هبوطاً" بالنسبة للمستويات المحلية والإقليمية؟ رغم ذلك فإن الدول ذات الأهمية والتي تحظى بالاحترام عملاء للعولمة، رغم منهجها وطبيعة التغيير فى عملية التطوير. الدول الحريصة على سن تشريعات لمعاهدات وسياسات تدعم التوحد العالمى هى المفتاح الفعال للخصخصة (ومصيرية لرؤوس الأموال العالمية المتدفقة) والسيطرة على الحدود (للحد من الهجرة)، وعقد الاتفاقيات (للتدفقات السياسية المتخطية الحدود)، وترسيخ نظم الأقاليم الحاكمة (للتدفق الاستثمارى) وتوفير الرعاية الاجتماعية للعاملين (لخدمة الأسواق وتقاربها). عندما نفكر فى الدولة والعولمة فلا ينبغي أن نشغل بالنا (بقومية) الدولة بشكل حرفي، وأنها ذات حدود إقليمية يقطنها شعب متجانس على الصعيد الوطني. وهذا شكل فريد ونادر جداً من أشكال الدولة فى الآونة الأخيرة. فكرة سيادة الدولة داخل إقليمها وفى نطاق حدودها، حددتها معاهدة وستفاليا عام (1648)، لكن فكرة الدولة القومية المتجانسة عرقياً، فأصلها يرجع إلى الجذور القومية فى القرن التاسع عشر، ولم تظهر بشكل كامل إلا بعد الحرب العالمية الثانية، عندما انعقد مؤتمر بوتسدام.^(٧) Potsdam. اجتمع فيه الحلفاء المنتصرون ورسموا خريطة جديدة لأوروبا قائمة على قومية شعوبها. وقد تضمن هذا الإجراء إعادة رسم الحدود على نطاق واسع وترحيل السكان - بالقوة مثل ما حدث وتم نقل اثنى عشر مليون ألماني من شرق ووسط أوروبا إلى الدولة الألمانية الجديدة.^(٨) وبناء على ذلك، قامت العديد من المنظمات

السياسية فى القرن العشرين وطالبت بعدم شرعية الأشكال غير القومية التى تدين بالولاء للسيطرة العالمية:

- يتمثل الولاء الدستورى فى النظام الجمهورى، للعلم والمواطنة، حتى لو كان المجتمع متعدد العرقيات والقوميات. وتعتبر الولايات المتحدة أول مثال لهذا الشكل من الدول حيث التأكيد الشديد على الخصوصية والمحلية، إذا كانت هذه الحقوق انتقلت إلى المؤسسات المحلية. تيرنر (Turner 1990 and 1993).

- الإمبراطورية البريطانية، التى كانت مشروعاً قومياً على مستوى واحد، لكن شرعيتها تتمثل فى فكرة "الإمبراطورية"- والولاء لفكرة مجتمع عالمي، يدين أفرادها بالولاء للتاج البريطانى، أكثر من البريطانيين أنفسهم^(٩) - هذه الفكرة التى مازالت قائمة بشكل فاتر فى دول الكومنولث.

- الاتحاد الدولى للشعوب الاشتراكية الذى أسسه الاتحاد السوفييتي، الذى ادعى أنه بداية لمستقبل العالم القائم على اتحاد البروليتاريا العالمية والمبادئ الاشتراكية أكثر من العرقية، أو بمعنى آخر يعرف الدولة على هذا النحو.

بعبارة أخرى، الدولة القومية، حالة تاريخية عالمية وشكل تنظيمى محدد، حتى لو تدهور حالها فلن يصل الوضع إلى حد زوال مفهوم المحلية القائم على أن الولايات كيان واحد. وتواصل الولايات الحفاظ على الخصائص المصيرية الأصيلة إذا استدعى الأمر ممارسة هذه الأصول فى المناطق المحلية ضد محتكرى وسائل العنف، والدعوة إلى الشرعية القائمة على التراث المشترك، وفرض الإتاوات بالقوة، ولوائح التعليم وقوانين العدالة الجنائية. إضافة إلى عمليات التقارب المتعددة الأبعاد. لأن المحلية شهدت درجة عالية من التكامل فى مجال الاقتصاد العالمى، وهذا لا يعنى أن يليه تلقائياً قدر مماثل من التقارب الاجتماعى أو الثقافى. وقد تبرهن الثقافات اللصيقة أنها أكثر انتشاراً من تدفق رؤوس الأموال، أو البضائع أو التكنولوجيا. من الممكن أن تكون الحدود مفتوحة (مثل الحدود البرية

للاتحاد الأوروبي) لكن تظل هناك علامات من الاختلاف الثقافي واللغوي. لكن من الممكن لبعض الدول هنا أن تصبح ذات أهمية خاصة في إدارة التناقضات والاختلافات الوظيفية للعولمة.

القضية السادسة هنا تختص بإلقاء نظرة على الجدل القائم رغم ظهور العولمة خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، فالآن في حالة تدهور وتراجع إلى الخلف بسبب الصراعات العالمية وانعدام الأمن الاقتصادي الحاد لفك الارتباط مع الشبكات العالمية. يرى روزنبرج (Rosenberg 2005) أن "العولمة اليوم هي روح عصر الأمس" وأن "النظام العالمي" هو تفتيت لكل ما يتعلق بالأمن القومي وتجاوز لحقوق الإنسان. أما جيمس (James 2002) فيرى أنه قد تكون هناك دروس مستفادة للحاضر، من خلال انهيار عولمة القرن التاسع عشر، الذي حدث حسب رأيه عام ١٩٣٠م. ويحدد ثلاثة أسباب للتحويل العالمي من التجارة الحرة وانخفاض الهجرة بسبب القيود المفروضة عليها - ضعف التنظيم الدولي، وردود الأفعال العنيفة عبر العالم التي حركت استياء المعارضين للتجارة الحرة الدولية والتدمير الذاتي من خلال "نظرية الماركسية-الكينزية (Marxist-Keynesian) عن عدم استقرار الرأسمالية" (١٠).

هذه الفترة من العولمة انتهت بسبب الاضطرابات المترامنة في أسواق المال التي أعادت إلى الأذهان حالة الذعر بسبب طوفان الكساد المالي في عشرينيات القرن العشرين، أدت إلى حالة من الإحباط الشديد واضطر القادة السياسيون للجوء إلى الجهود المخففة لتدخل الدولة لحماية الأسواق الوطنية والعجز في الميزانية. ودار نقاش مماثل عن ذلك بين أوروركي وويليامسون (O'Rourke and Williamson 2001) وتم إحلال النظام القومي مكان النظام الرأسمالي العالمي، وحل الاكتفاء الذاتي محل النظام الدولي. في عام ١٩٣٠م فرض هاوولي سموت Hawley-Smoot رسوماً استيرادية في أمريكا على

واحد وعشرين ألف سلعة مختلفة بنسبة ٥٠٪. ويرى جيمس James أن تكرار انهيار العولمة أمر ممكن، ولكن ليس من المرجح لأن مقومات النظام الاقتصادي القومي لعام ١٩٣٠ مفتقد اليوم؛ حيث كانت تسود مجموعة من السياسات جديرة بالاحترام مناهضة لأفكار العولمة، ووجود نماذج قومية ناجحة، مثل الاتحاد السوفييتي وهنريه ألمانيا. أحدث التجارب التي ابتدعتها حكومة ميتران في فرنسا تمثلت في نظام بديل نحو الليبرالية الجديدة "بمسحة إقليمية" من عام ١٩٨١ حتى ١٩٨٣ ودام وقتاً قصيراً.

من ناحية أخرى يرى سول (Saul 2004) أن العولمة كنظرية بزغت في السبعينيات من القرن العشرين وبلغت أوجها في منتصف التسعينيات، والآن في حالة انحدار. في عام ١٩٩٥م انخفضت التعريفات الجمركية بشكل كبير، مما أدى بمنظمة التجارة العالمية WTO إلى القيام بإجراء المئات من الاتفاقات التجارية المعمول بها، فانخفضت الضرائب، والخصخصة ونظمها التي كانت تكتسح العالم. لكن حدث بحلول عام ١٩٩٧م الأزمة المالية الآسيوية Asian، التي أكدت عدم وجود استقرار متأصل للنظام. فقامت ماليزيا بفرض الرقابة على رأس المال، وفي عام ١٩٩٩م عقدت منظمة التجارة العالمية WTO مؤتمراً في "سياتل" التي كانت مسرحاً كبيراً للمظاهرات المناهضة للعولمة. ودارت مناقشات حول الاستثمار المتعدد الجوانب^(١) أشارت إلى التأثير المتزايد للبلدان النامية التي تعمل بشكل متحالف على الساحة العالمية. يلخص "سول" Saul الموقف بأن العولمة تتراجع الآن مثلما حدث مع المحافظين الجدد في الولايات المتحدة أثناء التحول من الليبرالية الجديدة تجاه القومية.

لو أن سول Saul على صواب، فإن سيناريو عام ١٩٣٠م الذي وصفه جيمس James من الممكن أن يتكرر في القرن الواحد والعشرين. وعلى أي حال، فإن استيعاب الكاتبين للعولمة ينصب حصرياً على الناحية الاقتصادية

أكثر من المصطلحات الثقافية الاجتماعية، وهذه مشكلة نلاحظها عند آخرين مثل هيرست وتومسون Hirst and Thompson. لكن وحتى في مثل هذا الإطار المحدود، فهناك مبررات للاعتقاد بأن العولمة ليست على وشك الانتهاء. ويتساءل كوبرين (Kobrin 2005) عمّ ستكون عليه العولمة في نهاية القرن الواحد والعشرين؟ إن التراجع خلف الحدود الذي حدث عام ١٩٣٠م من الصعب تصور حدوثه في عصر الترابط التكنولوجي الذي لا رجعة فيه بين الاقتصاديات. فبمقارنة البيانات التجارية والاستثمارية لعام ١٩١٤م مع بيانات عام ١٩٤٩م، نكتشف إغفال نقطة مهمة كما يقول: "إن التشابه في الكم يخفي الاختلافات الأساسية في نوعية الارتباط". كانت العولمة المبكرة تيسر المعاملات غالباً من خلال المعاملات الثنائية بين الدول ذات الإنتاج المحلي والمواد الخام والسلع المصنعة. أما الآن فإن الإنتاج ذاته يتم دولياً من خلال شبكة معقدة من الاستثمار المباشر، تضم أكثر من ٦٠,٠٠٠ شركة متعددة الجنسيات تابعة لـ ٨٠٠,٠٠٠ شخص مسئول عن خمس وعشرين في المئة من الناتج العالمي. الخط الفاصل بين الاقتصاديات المحلية والدولية غير واضح، ما دام العديد من الصناعات عالمية بطبيعتها، فعلى سبيل المثال، ليست هناك أسواق فردية، فالولايات المتحدة لديها القدرة بما يكفي لمتابعة شركات الأدوية، لاسترداد تكاليف تطوير دواء جديد، الذي قد يتجاوز نصف بليون دولار. هذا بالإضافة إلى أن نتائج الثورة التكنولوجية الرقمية أدت إلى أن يتشكل الاقتصاد العالمي من خلال "تكنولوجيا هذه الشبكات"، فمن الممكن معرفة الإنتاج ونقص الموارد من المركز الرئيسي أو الحدود القومية. وبالمثل، فعلى الرغم من الانتقادات الموجهة لمصطلح "العولمة" فإن تومبسون (1999) Thompson يرى أن الحكومات لا تود أن تسمح للنظام الاقتصادي الدولي بأن يقف ضد نظام الحماية، بنظرة داخلية معادية وتكتلات متوازنة. على أي الأحوال، فإن التوقع بنهاية العولمة يبدو غير محتمل، وقد تصور كوبرين Kobrin أمرين ممكنين. بغض النظر عن النتائج المحتملة

للعودة إلى سياسة الاكتفاء الذاتي: الأول استمرار العولمة نحو قيام عالم بلا حدود، والثاني من شأنه أن يؤدي إلى خلل وظيفي في التكامل. والتصور الأخير من شأنه أن يشير إلى زيادة النزاعات بين الدول، وزيادة المعارضة للعولمة من قبل قطاعات كبيرة من الشعوب. وقد ينتج عن ذلك اختلافات في الرؤى وتكثيف التكامل في الاقتصاد العالمي في أرجاء العالم المختلفة.

نهاية علم الاجتماع كما نعرفه؟

هل تتضمن العولمة القضاء على العلاقات الاجتماعية وبالتالي علم الاجتماع كما نعرفه؟ ومن منطلق هذا الرأي فهل العولمة تعبر بكل ما في الكلمة من معنى عن فترة زمنية في تاريخ البشرية؟ يرى يوري (Urry 2003: 85) أنه كانت هناك تحولات جزئية متزامنة ومحتمة عام ١٩٩٠م، مثل انهيار الاتحاد السوفيتي، وتلك الأنباء العالمية المنطلقة من قناة سي. إن. إن. (وقنوات إخبارية أخرى) عام ١٩٩١م باندلاع حرب الخليج، وقبلها في أواخر عام ١٩٨٠م تحركت الأسواق المالية على الإنترنت وبدأ عصر التجارة الإلكترونية العالمية، وانتشرت شبكات الإنترنت على نطاق عالمي. وفي عام ٢٠٠٠م تحدث كنشي أوهمائي Kenichi Ohmae عن بزوغ "القارة غير المنظورة" منذ عام ١٩٨٥م. مثل هذه القائمة من المصطلحات أصبحت مألوفة فيما يعرف بأدب العولمة لكنها لا تتناسب لأي نوع من التنظير.

على أي الأحوال، فإن أكثر التنظيرات تنظيمًا وتحديًا لعلم الاجتماع الكلاسيكي تلك التي وضعها يوري Urry تحت عنوان "تحول معقد". يعرض فيها أن التعقيدات العالمية تهمل كل نظريات علم الاجتماع الكلاسيكية والكثير من النظريات المعاصرة. "وما دام أن العالمية ليس لها مثيل آخر، فينبغي على علم الاجتماع أن يبدأ بالكثير أو القليل بمجرد خدش (يوري 2003: 95)

أما كاستلز (Castells) فيرى أن ديناميكية شبكات الاتصال، بنية مفتوحة ومؤثرة في سرعة الاتصالات عبر الزمان والمكان، بوسائل ليست في مقدور أى جهود بشرية. وبالتالي فإن كاستلز Castells توقع الكثير مما يمكن أن تقوم به الشبكات في المجال التنظيري وبتنوع كبير جداً (يورى 20 : Urry 2003) وقام بابتداع استعارة نظرية تتناسب مع نظرية التعقيد ونظرية التشوش في النظم الطبيعية. "واللافت للنظر" كما يرى يورى Urry، أن علاقات العولمة كانت تتقدم تدريجياً في تجديد ما يتعذر علاجه^(١٢). فعلى سبيل المثال، فلم تعد القومية تعتمد على التجانس والخرائط الإقليمية، ما دام أن الحدود أصبحت منافذ مفتوحة والعلاقات الثقافية تتبادل عبر أنحاء العالم. كان مفهوم علم الاجتماع الكلاسيكي يهتم ببقاء وطهارة النظام الاجتماعي، وكان ينبغي أن يلقي به في "مزبلة التاريخ" (يورى 106 : Urry 2003). وهذه القضية تم نقاشها من قبل لكنها لم تكن واضحة. ذلك أن علم الاجتماع كان لديه في الواقع اهتمام بتتقية النظام الاجتماعي، حتى ولو كان يرتبط "بالمجتمعات"، فكان ينبغي أن يلقي في مزبلة التاريخ، لكننا من الممكن أن نعيد صياغة هذا المفهوم الاجتماعي - بأنه وصف شكلي "للمجتمع" - للإشارة إلى كل مواقع التفاعل والمشاركة في إنجاز المعنى الذي تعتمد عليه.

يقول يورى Urry: "إن علم الاجتماع لن يكون قادراً على إبقاء ذاته ككيان محدد وخطاب متماسك يركز على العطاء المدروس من حيث الترابط والتنظيم لكنه من المتعذر أن يتغير." (3 : 2003) في عالم يتحرك فيه ملايين الناس عبر الحدود القومية، وتتدفق عليها موجات لا تحصى من المعلومات عالم متأصلة فيه الفوضى، في حركة دائمة مفزعة في عدم يقينها وفوضاها - وقد وفرت نظرية التعقيد استعارة كل هذه التطورات ويرى كل من يورى Urry وجيدنز Giddens أن البنية الاقتصادية القوية "المزدوجة" من الأفضل أن تُترك كتطورات "متكررة" أفضل من "التراجع" الذي تستطيع التغيرات المحلية الصغيرة أن تفرز من خلاله نتائج غير متوقعة:

"السادة يمكنهم إدارة ما يبدو للعيان بنفس الإجراءات، لكنها تقتضى محاكاة مستمرة لإجراءات الآخرين، لكن بسبب التعديلات المتتالية الصغر التي تتبدى في هذه الإجراءات، من الممكن أن ينتج عنه (التكرار فى ... التحولات إلى حد كبير - على المستوى الهيكلى". (47: 2003).

فعلى سبيل المثال فالحدث "الصغير" لانهييار جدار برلين عام ١٩٨٩م كان له وقع الزلزال عشية وقوعه على النظام السوفيتى يوري. (Urry 2003: 47).

قد يكون من الصحيح أن الناتج الاجتماعى، نتيجة لتغيرات معقدة متكررة تؤدى إلى تحولات فى النظام. فعلى سبيل المثال فقد اكتشفت أن فرضية ويبر Weber البروتستانتينية عن الأخلاق يمكن رؤيتها على هذا النحو. إلا أن هناك نزاعاً عويصاً نشأ فجأة بين القدرين ومجموعة الإصلاحيين، كاد يؤدى إلى عواقب كارثية مثل تحريك النمو الرأسمالى يؤدى إلى نتائج اجتماعية غير متوقعة "وهو أشبه بالمقولة المعروفة - لسعة فراشة البترفلاي" (راى 80 - 176: 1999 Ray) وعلى أى حال فإن استعارة يورى Urry لم تضع فى اعتبارها المفاهيم الاجتماعية للتدخلات المذهبية المتصلة والمتقطعة. هذه المفاهيم الاجتماعية التى تنتسب إلى المذهب الكافى (تتسم بالكثير من الممارسات الطقوسية المعقدة والصعبة)، كما أشار ويبر Weber فى كتابه "تاريخ الاقتصاد العام" (1984)، حيث قام بدراسة سياق الممارسات الهيكلية على المدى الطويل. نفس الشئ بالنسبة لانهييار الاتحاد السوفيتى الذى لم يحدث بين عشية وضحاها، لكنه كان نتاج عمليات طويلة من التراكمات والاختلافات الوظيفية والأزمات الكبرى التى أدت إلى سقوط جدار برلين، الذى كان بمثابة إشارة دالة لما حدث (أوثويت وراى (Outhwaite and Ray 2005; Ray 1996).^(١٣) ومرة أخرى، فإن المفاهيم الاجتماعية التى تعزى إليها هذه الأحداث تمت بواسطة شخصيات فاعلة

فى السباق الهيكلى للنظام. فقد قام جورباتشوف وبعض رفاقه المقربين "بمناقشة" أزمات الاتحاد السوفيتى من أجل إعداد إطار سياسى للتغيير فى الاجتماع السابع والعشرين للحزب عام ١٩٨٦م، ووضعوا فى اعتبارهم ظهور عواقب غير متوقعة. أعلن جورباتشوف فى تقرير لمؤتمر الحزب أن انخفاض معدلات النمو بسبب البيروقراطية المفرطة، والتمسك بما هو قائم، خلق حالة "ما قبل الأزمات". هذا بالإضافة إلى زيادة النقد المباشر والحرج لتاريخ الاتحاد السوفيتي، والأزمات التى بدأت تبرز باعتبارها شيئاً مشروعاً والتى كانت نتائجها معروفة تماماً. وهذا يشير إلى أن الأزمات لا تنشأ بالضرورة بشكل مستقل عن سياقاتها التنظيمية، لكنها تكمن فى البنية والآراء والأفكار المتبادلة. والنتائج يعتمد على المفاهيم الاجتماعية التى يعبر بها الناس عن مواقفهم وأحوالهم والطرق التى تتحرك بها الأفعال الاجتماعية المتوازية مع النتائج غير المقصودة لتلك الإجراءات المنعكسة التى تلى ذلك.

فى نفس الوقت نجد أن الشركات ذات النفوذ القوى تساهم فى سن التشريعات الخاصة بالاستثناء عند تحديد الأماكن المحلية فى النظام العالمى المؤيد لعدم المساواة. فى حين يشير يورى Urry إلى المنظمات المتعددة التابعة التى تعمل بشكل جماعى فى العالم، لا تلقى اهتماماً كافياً للشركات المتعددة الجنسيات فى مجالات أخرى سوى الإعلام. ربما يقترح سبنسر Spencer أن "كل محلات الحلويات فى إندونيسيا مجتمعة أقل تدفقاً وعالمية من الأفلام، وطوفان فرق كرة القدم." (سبنسر 2004 Spencer). هذا بالإضافة إلى أنه يمكن قول الكثير عن ذلك دون الرجوع إلى نظرية العمالة المعقدة ووسائل الجذب الغربية. كيف تعمل هذه الشبكات بالضبط؟ لقد أنشئت الشركات عبر الوطنية TNCs من خلال شبكات عالمية متوحدة لمواجهة الاضطرابات البيئية المفاجئة، التى تسهم فيها (يورى 57: 2003 Urry). لكن هذه الشركات عبر الوطنية تتمتع بانتشار عالمى وعلى نطاق واسع وبقوة فى

محيط المجال الذى تعمل فيه، وبمزيج متعدد من العادات الاجتماعية والسياسية والبنية الثقافية والأنماط الحياتية، حيث التباين الذى ينتج عنه تزايد عدم تكافؤ الفرص. علم الاجتماع فى حاجة لإدراك أفضل لكيفية ممارسة الحياة اليومية فى العالم من حيث العمل والعمالة والاتصال، وعدم المساواة الناتجة عن ذلك والتأثير المحلى والعالمى.

هناك أربع مشاكل فى الادعاء بأن علم الاجتماع يجب أن يبدأ من جديد (وجهة نظر مشتركة بين بك ولايو وجيدنز)، (Beck and Lau 2005 and 142: Giddens). المشكلة الأولى ترتبط بالنظرية المعرفية، لأن المعرفة لا يمكن أن تبدأ من جديد، فهمي دائما وأبدا تستند على تراكم الأفكار، والبيانات وأطر المعاني. وينبغي على علم الاجتماع أن يقوم بممارسة ذلك. حتى ولو لم يعترف بذلك، (وعلى أى الأحوال وكما ذكر من قبل فإن علم الاجتماع لديه مراجع كثيرة من الأطر التى تستطيع من خلالها دراسة المجتمعات الكوزموبوليتانية المتزايدة). المشكلة الثانية، تتعلق بالقول بأن العولمة شيء جديد، ولا تؤهلها قدراتها لفهم علم الاجتماع ولا تستطيع الكشف بشكل منهجي عن سبب فشل المناهج المعاصرة فى تفسير وجودها. المشكلة الثالثة، تتعلق بتاريخها، لأن العولمة لها أصول تاريخية قابلة للتعديل من قبل الأبحاث الاجتماعية، وإعادة تشكيلها من قبل علم الاجتماع حول مزاعم عصر العولمة الجديد، الذى يتفاقم فيه الميل لتجاهل العلاقة التاريخية من قبل الحاضر. حتى لو كانت الأسباب لقيام ماكدونالدز والشركات الوطنية بالاستيلاء على أمكس AMEX فى بعض الأماكن، فهذا لا يعنى أن ذلك يمكن أن يحدث بالضبط فى أماكن أخرى- وإذا كان مثل هذا الحدث الفردى قد تسبب فى مثل هذه الفقرة، فإنه يعد مساراً للتطور التاريخي الذى حدث. فعلى سبيل المثال، ففى فترة مابعد الحرب الباردة العالمية التى زاد فيها تأثير العولمة، وشهدت صراعات قومية عنيفة ومتفرقة، هى فى حاجة إلى أن تفهم أو تترك من الناحية التاريخية. ومرة ثانية، عود إلى الأشكال المختلفة

للرأسمالية والملكية الخاصة فى دول ما بعد الشيوعية، المرتبطة بالتكوينات المحلية الخاصة بها، والحقوق المشروعة فى استقلالها. وإذا كانت الملكية والحقوق القائمة على الحياة المؤسسية، قد أضعفت الوجود التاريخى (لروسيا على سبيل المثال)، فإن الرأسمالية سوف تميل فى تنظيمها إلى المحسوبية وعدم الشرعية، بدلاً من أن تكون فى سياق النظم المرنة المنفتحة. هذا التنوع المؤسسى يمكن تفسيره بالرجوع إلى المسارات القومية بصفة خاصة. المشكلة الرابعة، أن المناقشات ارتكبت خطأ ذكر من قبل بالزعم أن العولمة مفسرة، فى حين أنها لو كانت كذلك أى التى يتم تفسيرها، إذن فنحن فى حاجة مرة أخرى للعودة للتطورات الاجتماعية من ذلك النوع من علم الاجتماع، يكون على استعداد ليصبح مألوفاً، مثل الطبقات والهيكل الاجتماعية والبيروقراطية ورأس المال، والتضامن الاجتماعى وما إلى ذلك.

الحياة اليومية والذات العالمية

بعد أن استعرضنا العديد من النظريات والمناقشات حول العولمة، والملاح العامة للاقتراب من العولمة والحياة اليومية، يمكننا الآن أن نرسم تصوراً لها. وقد رأى العديد من منظرى العولمة أن جوهر ملامح العولمة، هو حركة لأنظمة تجريدية، مثلما وصفها جِيدَنز Giddens بأنها علامة رمزية وهدامة توجز الزمان والمكان. وعلى الجانب الآخر، فقد لوحظ بالإضافة إلى تلك التطورات الموجهة التى تعمل "من وراء ظهر" عوامل المعرفة الاجتماعية، إلا أنها أيضاً إنجاز لعوامل اجتماعية لا حصر لها، والأساليب التى تستثمر بها هذه الفعاليات عن وعى. وهذا ما سوف نتابعه فى الفصول التالية. العولمة أيضاً نتاج للعديد من العلاقات الاجتماعية القائمة، حيث يتواصل الناس فى سياق أطر من التنظيم بواسطة السلطة ورأس المال الاجتماعى والمحلية والأشكال الثقافية التى تؤثر عضوياً فيهم وتصبح جزءاً

لا يتجزأ منهم وهكذا. وقد توصل دافيد لى (David Ley 2004) إلى أن النقطة المهمة فيما عدا استثناءات قليلة (مثل ما رأى هاننرز 1996) أن نظرية العولمة ما هي إلا مجرد خطاب "خالٍ من عناصر المعرفة الإنسانية" ويرى أنها نتاج متوارث لتمييز السياسية الاقتصادية العالمية. وهذا يخلق انطباعاً بأن العولمة مصير محتوم، ثابت وغير قابل للتغيير. وبطبيعة الحال، فهذه قضية قديمة في علم الاجتماع بين عمل يتمحور حول المناهج التي لم يتم حلها بشكل كافٍ.

هناك توافق واحد مع ذلك قام به هابرماس Habermas للتمييز بين النظام والحياة. النظام يشير إلى توجيه الوسيلة مثل المال والقوة التي تحولت إلى أشكال رمزية غاية في الغرابة بمعنى أنها يمكن تقديرها وإدخالها ونتائج الفرصة للجهات الرسمية للاستجابة لردود الأفعال - فعلى سبيل المثال، فإن الطريقة التي تستجيب بها الأسواق العالمية لتقلبات الأسعار أو لأداء مهام معينة روتينية بيروقراطية. أما "الحياة فتشير إلى فاعلية القواعد الوسيطة في مجال الاتصالات وما تبثه من ثقافات معينة وعقائد ومفاهيم شفهية غامضة، والمعرفة الاجتماعية القيمة، اللازمة لإجراء الحوارات (هابرماس 1989: 328) وهذا يذكرنا إلى حد ما بمفهوم هوسرل "Husserl" عن الجذور الاجتماعية الدالة من قبل رد الفعل الجماعي المنعكس، وكذلك مفهوم جادامر Gadamer (لانهائية ما لا يقال) (Gadamer 1975: 443-4).

وعلى أي الأحوال، فما دام أن الخلفية المعرفية للحياة أصبحت منتشرة على نطاق واسع ومضمونها مستوعب، فإن رد الفعل دائماً يكون مستمداً من المدلول الثقافي المختزن الذي يتعزز إدراكه كمصدر للردود الانعكاسية (شوتز ولكمانن 1974: 169). أما ميشيل بولاني Michael Polanyi فقد قام بشيء مشابه واستطاع أن يميز بشكل فعال بين المفهوم الضمني وتوصيف المعرفة. وعلى عكس الوصول إلى المعرفة (من

خلال المنسوخات أو الكتب) نجد أن المعرفة الضمنية تقوم على الملاحظة، "فنحن نعرف الكثير عما يمكن أن نقوله" (بولاني 4: 1967 Polanyi) ما دمنا نعرف معاني الكلمات والممارسات الاجتماعية المتداولة في سياق اجتماعي مشترك. هذه الخلفية المعرفية للأصول الاجتماعية، يمكن الاعتماد عليها لرد الفعل الانعكاسي، لكنها جزئية- فلا يمكن للمرء أن يستدعي كل ما في التراث الاجتماعي من خلال سؤال واحد.

هذا التباين غالبًا ما يصاحبه ادعاء بأن المجتمعات الحديثة تعاني من "أزمات المعنى" باعتبارها حديثة ومتعددة المهام" وبالتالي تهمل "الحس العام" للمعرفة الاجتماعية القديمة، والعالم والمجتمع والحياة والهوية الشخصية التي أصبحت موضع تساؤل دائم. لا تفسير ولا مجال لأفعال ممكنة، نستطيع قبولها باعتبارها الحقيقة الوحيدة التي لا يرقى إليها الشك. وعلى سبيل المثال، يرى ليمان Luckmann أن الأفراد يواجهون بهذا السؤال:

"عما إذا كانوا لم يعيشوا حياتهم بأسلوب مختلف تمامًا وبشكل مغاير عما كانوا عليه في الواقع. وهذه تجربة متفردة بمثابة تحرر كبير، ومدخل لآفاق جديدة وإمكانيات للحياة تؤدي للخروج من قيود النمط القديم الذي لا جدال فيه. نفس التجربة، بأي حال من الأحوال، غالبًا ما تمارس كنوع من القمع (غالبًا من نفس الناس) كنوع من الضغط على الفرد بشكل متكرر، فتخلق إحساسًا جديدًا وغير مألوف في واقعهم".

(ليمان 1996 Luckmann)

قد يستمتع البعض بعدم اليقين هذا في حين يستشعر البعض الآخر عدم الأمان ويتوه في عالم مشوش مليء بالاحتمالات. وهناك زعم بأن مدى ما نأخذه - مقابل - فمن المفترض أن تنقلص نسبيًا إلى حجم صغير لأن عملية التطور مدفوعة بصفة خاصة بواسطة القوى التكنولوجية الاقتصادية. تمامًا مثلما يرى هابرماس Habermas أن الاقتحام غير الشرعي للنظام، لسياسات

الحياة، لأن النظام المالية والنفوذ تقوم بالسيطرة والتوجيه بغير تحفظ فى التواصل الحياتى الأخلاقى وتؤدى للمقاومة والمرض (الحركات الاجتماعية على سبيل المثال) (انظر راي 1993 Ray).

تفترض عولمة المعاملات معرفة واسعة بالمجتمع وتقوم بتغيير الأساليب التى تنتشر بها المعرفة الاجتماعية. فالحياة الدنيا والنظام ليست بمثل هذه الانبساط، أو مجرد تمايز أولى بين المحلية (للحياة الدنيا) وبين (النظام) العالمى. لأن الاتصالات العالمية من الممكن أن تقوم بالتوجيه بواسطة معايير غير مبنية (مثل البريد الإلكتروني، غرف الدردشة والممارسون لها فى أماكن متفرقة) حيث تجرى اتصالات يومية بكل وضوح بين المال والسلطة وذلك من خلال محاولة لرسم تصور للتصورات المنتظمة غير المباشرة لمتابعة الحياة اليومية المتداخلة. وعلى كل، فإن هذا التمايز مطروح للتساؤل. ولقد أوضح بوري (Urry 2003: 123) كيف "أن العلاقات العالمية المعقدة بنظاميا غير-المدون تجاوزت معظم الانقسامات التقليدية المتمسكة بالأعراف" بما فيها نظام الحياة الدنيا. لكن وجهة النظر هذه تتضمن مشكلة فى حد ذاتها على الأقل فى أمرين. أولا. أخطأت فى تحليل التمايز (للنظام-الحياة الدنيا) المبنية اجتماعيًا- فالممارسة الاجتماعية للعمليات سوف تعملان معًا جنبًا إلى جنب، وهذا لا يعنى أنها غير شرعية لتقوم بتظهير يفرق بينهما. كما أن نظرية "التوحد" لن تبدأ فى تقييم الادعاءات بشأن آثار سلوك، النظام أو إنجازات السلوك العالمى. ثانيًا، المجال مفتوح لاعتراضات لى (Ley 2004) بأن العديد من نظريات العولمة أغفلت الموضوعات النشطة ولا ترى الحياة الاجتماعية كلها إلا من خلال (هذه الحالة المعقدة) تحليلات النظام وسوف نعرض لهذه النقطة فى الفصول التالية.

ومع ذلك فنظام التمايز بين النظام والحياة الدنيا متاح للنقد، لأن كاليون (Calhoun 1991) يرى أن المجتمع الإنسانى ينقسم إلى عدة مستويات من

المعايير الثقافية الداخلية، والتشريعات والتقاليد الشفاهية، وتكنولوجيا الاتصالات والبيروقراطية والأسواق. لذا فإن تمايز النظام - والحياة الدنيا في حاجة إلى أن يتم تفرغه إلى عدة مستويات من العلاقات الشخصية والمواجهات وجهًا لوجه. علاقات إنسانية متخيلة (مثل ما يحدث في التلفزيون وأيضًا من خلال التقاليد) عالم واحد - ذو توجه فعّال للعلاقات، (مثل الإشراف) ونظام إعلام موجه غير شخصي. التلفزيون له أهمية خاصة في هذا المجال لأنه يبت أعمالاً تحاكي الاتصالات المباشرة التي تخلق نوعًا من الفانتازيا والخيال الشخصي، لدرجة أن الناس يتقنون في التلفزيون بدرجه أكثر من وسائل الإعلام المطبوعة: (إذ يمكنك القول بأن الناس يكذبون) ميوروتز (Meyrowitz 1985) وقد تم نقاش ذلك في الفصل الرابع.

كثفت العولمة حركتها التي بدت واضحة في الفترة ما بين ما قبل الحداثة والمجتمعات الحديثة. حيث كانت أغلب أشكال التنظيم الاجتماعي سابقًا، تعتمد على العلاقات الشخصية، في حين أصبحت في عصر الحداثة تعتمد على المزيد من العلاقات غير المباشرة مع البيروقراطية والأسواق. رغم ذلك، فإن هذا التمايز لا ينبغي النظر إليه كنوع من التزمّت وكما يقول كالهون (Calhoun)، "توجد خلف النماذج غير الشخصية في الأسواق، وسائط للمنظمات البيروقراطية... سلسلة من التفاعلات لها وجود ملموس." مثل محاولة ماركس Marx الكشف من خلال نقده لتقديس السلع واشتائها. الواضح والملموس في التطورات الاجتماعية، إذ يعتبر السوق شكلاً وهميًا للعمالة الاجتماعية والذي يتخذ مظهر العلاقة بين الأشياء (436: 1977) ففي ثانيا مظاهر الحياة التلقائية، هناك أشياء (أو نظم) هي قوام الفعل الإنساني. والطرق والوسائل التي يتحرك بها السوق هي جزء عضوي لا يتجزأ لعلم الاجتماع والممارسات الثقافية والقيم التي تعد العناصر الأساسية لعلم

الاجتماع. كما يرى جرانوفتر (Granovetter 1992). وهذا ليس صحيحاً تماماً بالنسبة للعمالة من خلال إدراك ماركس، لأنه تفاعل يومي في العالم كله خاصة في العلاقات الأولية، حيث يستثمر الناس الحياة الاجتماعية بشكل ودود مشحون بالمعاني الإنسانية.

إلى أى مدى تستطيع العولمة التأثير على هذه الفعاليات؟ فالفعل الواضح ذو الهدف من انممكن أن ينتشر جغرافياً عبر أماكن نائية، وهذا البعد يمكن الاستعاضة عنه بذكريات عن الوطن، وبالتالي فإن كلاً من المحلية والعلاقات الاجتماعية البعيدة من الممكن أن تتوحد، وتصبح بمثابة روتيننا حياتياً يومياً. لكن التحليل الضمني لإدراك الحياة اليومية يشير إلى بعض القصور للمفاهيم لعدم "الاحتكاك انمكاني" فالحياة اليومية هي موقع لإعادة إنتاج العلاقات العالمية والمكان الذى ينتسب إليه النظام الاجتماعى، وترجع إليه كل الممارسات الاجتماعية. وقد سادت العوامل الاجتماعية العولمة من خلال أنماط التفاعل الاجتماعى وبناء النظم الاجتماعية، حتى لو كانت واقعة فى شراك شبكات ذات طبيعة وعواقب ليست معروفة تماماً. إن الانتشار الزائد للمعرفة الضمنية والمصادقية التى تتسم بها الأفعال الاجتماعية ذات أهمية وضرورية لتمكين المعاملات للظهور بوضوح تام، وأيضاً للإصلاح، كما وضعها منظرو علم المناهج العرفية، والتى نجد أنها تنتهك فى مجال الاتصالات. الأمر الأكثر تعقيداً يتمثل فى تلك الممارسات التى تشغلنا عبر مسافات بعيدة ومتنوعة، الأمر الذى يجعلنا فى احتياج أكثر إلى المزيد من العمل للحفاظ على المعايير المعرفية وبدرجة كبيرة من خلال الاعتماد على الوضوح وتنسيق المعرفة للحفاظ على التوقعات المعيارية والمعرفية. فعلى سبيل المثال، فإن استعمال بطاقات الائتمان على الإنترنت، شكل من أشكال التفاعل المالى المجرد، يقوم بالتعاملات المالية المتعددة، والتجارية

والاجتماعية والنظم السياسية. والتوقعات المعيارية للنجاح تخفف من الشعور بتزوير بطاقات الائتمان، وسرقة الكروت والعبث بالأسرطة المغناطيسية، ارتبط ذلك بعمليات تطوير التفاصيل والنظام المصرفي لعمليات الإنترنت لابتداع عمليات الأمان المتعددة للحفاظ على البطاقات الذكية والصرف الرقمي المباشر والأرصدة النقدية، والمحافظ الاستثمارية أو البطاقات ذات الشعارات المميزة. أما العملاء أصحاب البطاقات الإلكترونية (E-Wallets) فلا بد أن يستخدموا بطاقة واحدة لكل معاملاتهم عبر الإنترنت (للحد من مخاطر الاحتيال) ولا ينبغي أن نعطي الرقم السري أو أى معلومات للشخص، إلا بعد التأكد من شخصية من يتعاملون معه. ينبغي أيضا الحفاظ على سجل التعاملات وتوقع وصول رسائل إلكترونية معينة لتأكيد الصفقات التجارية. حالاً تجرى التعاملات بشفرة مضمونة تشمل كل المعاملات، تتم جميعها بعيداً عن السياق الاجتماعي الخاص، كما فعلت أنا.

على أى حال، يجب علينا الاعتماد على المعرفة الضمنية للتعرف على الممارسات اليومية، وهذا صحيح إلى حد بعيد، سواء أكنتم على مسافة قريبة أم بعيدة. وقد ننقل بسلاسة من غرف الدردشة فى المقهى، لتبادل البريد الإلكتروني مع شخص يكون موجوداً فى الدور الأسفل من نفس البناية، أم على بعد آلاف الأميال. وهذا لا يعنى أن نوعية هذه الاتصالات هى نفس الشيء، بأى حال من الأحوال. المواجهة وجها لوجه التى تجرى فى تلك الجلسة المحلية تشمل العديد من المعلومات الضمنية والتساؤلات عن المعرفة الضمنية، وتبرز تساؤلات عن مدى المشاركة بها مع الشخص الذى تتصل به عبر المسافات الطويلة بشكل غير شخصى. فالمواجهة، على سبيل المثال، تبدو عاملاً مهماً فى سرعة نشر المعرفة، رغم وجود لحظية الاتصالات الإلكترونية، ماتسون (Mattsson 2003).

يرى جيرتler (Gertler 2003) أن أثرًا واحدًا من آثار العولمة التي سبقت القدرات المحلية، أصبحت متواترة الوجود في العالم كله. لكن ما ليس هو بوجود في العالم كله وغير قابل للتبادل هو المعرفة المقتنة التي تعد مفتاح تحديد جغرافية المكان والنهوض به لتحقيق تفاعل اجتماعي. وقد تم تأسيسها على مفاهيم مشتركة واتفاقيات وتقاليد وتوقعات قيمية، وزيادة الروتين الناشئ عادة من ممارسات أطر المؤسسات. ليست كل المعرفة الضمنية تنتم بالمحلية-- فمن الممكن أن يستخدم المرء البريد الإلكتروني في المراسلات مع شخص ما، لم يقابله، من قبل، ويشاركه في المعرفة الضمنية، عن الاتفاقيات، كما يستخدم البريد الإلكتروني للتعرف بشكل أوسع على المعرفة والثقافة، والسلوكيات المتوقعة، وهو أيضًا بمثابة فرصة للحدوث عن الموضوعات التي من شأنها الإشارة إلى موضوعات تتعلق بالصعيد العالمي للثقافة التجارية والخبرات. وعلى أي حال، فإنه من النادر إمكانية أن تتحول المعرفة الضمنية إلى شكل مدون، دون أن تفقد شيئًا من خصائصها الأصلية. فمعظم الأشكال الوثيقة الصلة بالمعرفة الضمنية تشترك في هذه النقطة فتصنيف المعرفة يتطلب المعرفة الضمنية. حتى نقوم بذلك، ففي حين أن التحول بين الضمنية ووضوح المعرفة يحدث كذلك لكن بلا وعي. كلما قل اقترابنا من المعرفة الضمنية قنت قدرتنا للتعامل معها رغم أن النشاط الاجتماعي العولمي اتخذ أشكالًا جديدة جدًا من العلاقات المنعزلة من الممكن أن تتبلور. وسوف نعرض لذلك في الفصل التالي.

خاتمة

بدأ هذا الفصل بطرح سؤال عما إذا كانت العولمة ستحول "المجتمع" إلى وحدات غير ملائمة للتحليل. وقد تم نقاش ذلك في الفصل التالي. لكن من المؤكد أن الموضوع الرئيسي هنا، ليس مسألة أين تقع حدود "المجتمع" وكيف نرسمها، بل هناك أيضًا نقطة مهمة وهي إدراك مفهومة ديناميكية

التضامن الاجتماعي في الدول الكوزموبوليتانية والمجتمعات المتعولمة. وإذا كان التضامن يرتبط ذات مرة بثقافة مشتركة وينظم القيم القائمة على "القومية" المشتركة فإن ذلك يمكن الدفاع عنه في المجتمعات المتعددة الأشكال لمواطنيها والهوية. هناك حل واحد لذلك، وهو تشكيل قائم على أوامر التضامن ليكون بمثابة أساس للمجتمعات المتعددة الجنسيات، تتشكل بواسطة أعضاء متنوعين عقائديًا، وسياسيًا، وثقافيًا، ومهنيًا والجماعات العرقية. ما دام أن الناس لا تربطهم قيم مشتركة أو أساليب حياة، لاتخاذ إجراءات رسمية مهمة (مثل الليبرالية، والديمقراطية، وضمان الحقوق) وأصبحت حاسمة في التعبير عن الخلافات الجوهرية. هذه التغيرات وصفت بأنها "عالمية الجذور" (تارو 2003) "يكون فيها الأفراد والجماعات على قدم المساواة في وطنهم وفي مجتمعاتهم، والمجتمعات الأخرى، وفي الأماكن المتخطية الحدود." لكن مع الحراك السكاني الذي لم يحدث له مثل في القرن العشرين وظهور الاقتصاديات العالمية ووسائل الإعلام والاتصالات، وأشكال جديدة من المهجرين وهويات متخطية الحدود وعقائد وطوائف عرقية، حيث يتداخل أناس من قوميات عقائدية وفي كوميونات عرقية. أما اندول الكوزموبوليتانية (العالمية) فقد أصبحت مترسخة في نسيج مجتمعات حديثة وتدعو إلى استراتيجيات جديدة للتنظيم والتوحد.

الفصل الثاني

العولمة وعلم الاجتماع

"المجتمع مجرد اسم لعدد من الأفراد ترابطوا بالتفاعل".

"جورج سيميل 1971: 10 Georg Simmel"

يركز هذا الفصل على نظريات العولمة والتضامن الاجتماعي. وكما اتضح في الفصل الأول طبقاً لما رآه بعض المنظرين لعلم الاجتماع، أن العولمة تحول فيما "لعلم الاجتماع" بطرق غير متوقعة في وقت سابق من الناحية النظرية. فعلى سبيل المثال، فإن يوري "Urry" يعتبر العولمة بمثابة نتاجاً للواقع، وينبغي على علم الاجتماع حتى نستطيع التعامل مع العولمة باعتبارها انبثاقاً واقعياً أن يتخلى عن أنظمة عتيقة من المفاهيم ومن ضمنها "مفهوم المجتمع"، ويطور قواعد جديدة لمنهجه. وهناك رؤية أخرى مماثلة، حتى ولو كانت أقل إثارة لدى بعض المنظرين مثل جيدنز Giddens، وروبرتسون Robertson، وبك Beck، وهيلد Held، أشارت إلى مدى تأثير العولمة إلى حد كبير على مفهوم التفاعل الاجتماعي والمؤسسات الاجتماعية. وسوف يستعرض هذا الفصل بعض هذه الادعاءات بالاستشهاد بنظرية بك Beck بصفة خاصة عن العولمة، حتى نستطيع مناقشة السمة الثابتة "لعلم الاجتماع". في هذا الفصل سنتخذ بك Beck مثلاً لمجموعة المنظرين الذين حددوا بشكل عام ملامح القوة الهدامة للعولمة (كما أشار جيدنز Giddens في نظريته بأنها "عالم مندفع" فلا بد أن يكون مغايراً)، وتغفل العولمة الأشكال الحالية للتضامن الاجتماعي، دون أن تهتم بابتكار أنماط جديدة. وبهذا

المعنى، يكرر أن لب المشكلة الرئيسية لعلم الاجتماع الكلاسيكى، الذى كان بشكل ما وبأى حال، عنصراً فعالاً فى تدميرية الرأسمالية التى كانت تنفق مع إمكانية التفاعل والتوحد الاجتماعى.

التضامن الاجتماعى هو المشكلة الأساسية فى علم الاجتماع، ومعظم المدارس التنظيمية قامت بوضع مجموعة وفيرة من الإجابات تتناول الإجابة حول هذه المشكلة. هذا الموضوع فى حاجة للمناقشة مرة ثانية فى علاقته بالعولمة. هذا لا يعنى القول بأنه يتحتم على علم الاجتماع الاهتمام فقط "بمشكلة النظام"؛ ولا ينبغي أن نتصور أن المجتمعات تتطلب بالضرورة أماكن منظمة. بل على العكس، فأنا أعتقد أن هناك انتشاراً واسعاً فى علم الاجتماع تجاه التركيز على السلام الاجتماعى أكثر من العنف والفوضى (مع استثناء منظرين مثل نوربرت إلياس Norbert Elias. ستيفن ميننيل Stephen Mennell، وتوماس شيف and Thomas Scheff). وقد يكون من السذاجة أن نتكهن بأن التناغم الاجتماعى من الممكن أن يكون موجوداً (أو أمر مرغوب فيه بالضرورة) لكنه رغم ذلك يظل مطلباً اجتماعياً مطروحاً لدراسة ومناقشة الأسر، ومدى تأثير التضامن الاجتماعى فى مواجهة الصراعات العويصة لأصحاب النفوذ، والقيم، والسياسة، والتطبيقية والهويات وكن أنواع الخلافات الأخرى بين الناس. وقد طرح فى الفصل السابق، إن علم الاجتماع اعتبر ذلك بمثابة مشكلة تنشأ بصفة خاصة عند ظهور أشكال معقدة للاختلافات الاجتماعية الحديثة. تحليلات دوركهيم Durkheim، رغم ما بها من قصور، فإنها تعد تشخيصاً مهماً للمشكلة، بمعنى، ما أشكال التضامن الاجتماعى المحتملة الوجود فى مجتمع معقد قائم على مستوى عالٍ من الترابط الاجتماعى، فى الوقت الذى تغفل فيه القيم العامة والمعتقدات؟ كما أنه رفض وجهة النظر المشتركة بين سبنسر Spencer والاقتصاديين الليبرانيين بأن التكامل الوظيفى يتولد من خلال السوق وتقسيم العمالة ويخلق توحداً اجتماعياً. الكتابة ضد الخلفية السياسية

المعروفة بمذهب التضامن، التي سيطرت على الفكر السياسى الفرنسى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، أوجت إلى دوركهـايم Durkheim للسعى لابتكار أشكال جديدة من التضامن الاجتماعى قائمة على المصاحبة والتوافق الأخلاقى، بين رأس المال والعمالة ونظم السوق^(١). إضافة إلى أنه لم يعتبر السوق قوة ذاتية موازية، بل أشار إلى اعتماده على الدعم الأخلاقى والأمان المؤسسى، ويرى أن العقد ليس كافيًا فى حد ذاته، لكن بإمكانه فقط أن يقدم الشكر لتنظيم العقد، الذى هو فى الأصل عقد اجتماعى" دوركهـايم (Durkheim 1984: 196). أما موضوع التطوير الذى تردد صداه خلال المناقشات الأخيرة التى دارت حول الاقتصاد والمجتمع، (جرانوفيتز Granovetter 1992) فقد رأى دوركهـايم أن الأشكال الاقتصادية والاتفاقيات الفردية تتضمن توجهات أخلاقية وثقافية، وتنظيمًا مؤسسيًا. وبالتالي فإن المجتمع لا يستطيع أن يقلل من التنافس والاتفاقيات الفردية، ما دام أنها يمكن أن تساند فقط، بواسطة الأضر الأخلاقية التنظيمية المشتركة. العقود تعتمد على الثقة المتضمنة فى أى اتفاق؛ ففى عقود العمل يتفق الطرفان ليس فقط على الأجر مقابل العمل، بل يتضمن كذلك تدعيم الاتفاق، والبنء الأخير هو الدالة الضامنة، لصحة الضمان التعاقدى. لأن الإيثار، وليس المنافسة، هو القاعدة الأساسية للضمان الاجتماعى. علاوة على المشاعر المحتشدة المتوارثة من الطقوس العامة والرموز الواضحة التى تعنى أن الروابط الاجتماعية يُعاد تأكيدها بطرق غير مصطنعة.

لكن ماركس Marx كان على العكس، فقد اعتبر الرأسمالية بمثابة فترة عابرة فى الحركة التاريخية نحو الشيوعية. هدفها التاريخى تحطيم كن ما قبل الرأسمالية وما هو متجور وقديم وأشكال الحياة التقليدية. وكانت فى حد ذاتها ثورة متواصلة ورغم حيويته، لم تستطع تشييد "منارة" مقارنة بمقارنته بالأنظمة العقائدية المحكمة فى العصور الوسطى. وهذا ما أدى إلى سقوطها. فى كتابات ماركس المبكرة عن نقل الملكية وضع فى اعتبارة موازنة التوزيع والمعاناة

واعترض المجتمع الرأسمالي على مستقبل شيوعى غير مرغوب فيه. فى النظام الرأسمالى نجد المنتجين الرأسماليين منفصلين عن المنتجين الآخرين، ونتاج جهد عمالهم خاص (بفنتهم)، فى حين أن المجتمع الشيوعى يعيد للإنسانية كيانها الاجتماعى (ماركس 1977: 89) أما بالنسبة لعلاقات التضامن الاجتماعى فكان مستحيلًا فى الرأسمالية. فى كتابه رأس المال، يرى ماركس Marx أن توزيع العمالة يخلق تبادلًا تعاونيًا ويعطى دفعة للتألف: "قال شخص المتعاون فى تطوير العمل ... فى حاجة لممارات تقنية من خلال آلية العمل" مثل الميكنة (1976: 365).

لكن بعد فترة وجيزة تصور ماركس Marx وإنجلز Engles أن الناصر العالمى لـ "رابطة النقد" لابد أن يعجل بتوريث الرأسمالية بتحطيم كل التضامانات القديمة وبتيح لها القدرة على خلق تضامانات جديدة. لكن تشكيل كيان تضامنى من الطبقة العاملة كان أمرًا صعبًا تمامًا بالنسبة لماركس Marx وإنجلز Engles، لأنهما اعترفا بأن التضامن الطبقي لم يكن نتاجًا حتميًا لأناس لديهم انتماءات بصفة عامة. ويرى كرو (Crow 2002: 25) أن ذلك، "يزيد من حاجتنا لتحرى الدقة عن كيفية تأسيس التضامن وما الذى يدعّمه". ويعتبر دوركهيم Durkheim أن نفس الشيء ينطبق على رأسمالية القرن التاسع عشر. وأنها شيء "شاذ" وغير مستقر ومنقسم بسبب الصراعات، تنقصها الأشكال الثابتة من التوحد الثقافى - لكنها سعت إلى تحديد هوية الأساليب الممكنة للنهوض بالتوحد الجديد، خاصة عندما نعرف أن الدول الحديثة تحتل مكانة عالية القيمة بالنسبة لاستقلال الأفراد (تقدير الفرد). لكن دوركهيم Durkheim أدرك بعد ذلك تأثير طبيعة الروابط الاجتماعية التى تتجلى فى الطقوس، وتبجيل الرموز. حتى لو اتخذت أشكالاً حديثة بالإعلان عن حقوق الإنسان^(٢).

كل ذلك سيكون وثيق الصلة بالمناقشات التالية عندما ندرس النظريات المعاصرة للعولمة، التي تؤكد على عنصرى الهمم والقوة الفردية للحداثة على حساب التضامن الاجتماعى. هناك ثلاث وجهات للتوحيد الاجتماعى تم طرحها هنا. الأولى: الاعتماد على الترابط الناتج عن التكافل فى تقسيم العمالة، كان باعثاً للتعاون والتوحيد الوظيفى. الثانية: القيم المشتركة وقواعد السلوك (وتفضيلها عن المشاركة التبعية) تخلق هويات مشتركة والتضامن. الثالثة: القواعد الإجرائية (مثل حقوق الإنسان العالمية والتصورات الديمقراطية) تساوى الأفعال بين الناس بغض النظر عن اختلاف قيمهم ومعتقداتهم. القواعد الإجرائية، تشكل اهتماماً رئيسياً فى مفهوم هابرماس Habermas للتوحيد الاجتماعى فى مرحلة ما بعد المجتمعات التقليدية ويمدنا ببديل "الأزمة المعنى" وهذه وجهة نظر جاء ذكرها فى الفصل السابق. هناك أشكال من التضامن ترتبط بمفاهيم الثقة والسلطة الشرعية، هذا التركيز التقليدى الذى أصبح الدولة المحلية، حيث يصبح الولاء ناتجاً من خلال التقاليد والذكريات الاجتماعية والطقوس العامة، وبمثابة إجراء منطقي. وإذا كانت العولمة تريد تقويض المحلية القائمة على القواعد الاجتماعية، إذن فسيكون هناك انخفاض بنسبة متساوية أو على الأقل إعادة تشكيل للروابط الاجتماعية. هذه القضايا ستوضع فى الاعتبار خلال المناقشات التالية، التى سنتناول الأساليب التى تنتهجها العولمة فى الحياة اليومية، وسيتم التركيز على أهمية قدرة استمرارية علم الاجتماع العالمى.

ما بعد نطاق "المجتمع"

هناك اتفاق متزايد فى الآراء بأن العواقب الرئيسية للعولمة، تعنى نهاية "علم الاجتماع" بمعنى أن المحلية تجاوزت حدود "المجتمعات" وكانت سابقاً فى بؤرة التحليلات الاجتماعية. وقد استشهد يورى Lity بتعليق رئيسة

الوزراء السابقة مارجريت تاتشر بأنه "ليس هناك شيء ما يسمى ثمة مجتمع"^(٣). وإذا ناقشنا ذلك فربما تكون تاتشر على صواب نعلن "ليس هناك شيء ما يسمى ثمة مجتمع" أو على الأقل ربما يكون ذلك ردًا سريعًا لأدعاء نابغا من الكيان الاجتماعي الذي لم يتحقق تمامًا (يوري 2000 Urry). هناك حديث دار حول سياسة "مابعد وستفاليا" الذي كان "مجتمعيًا" الموضوع التقليدي لعلم الاجتماع. ثم تلاشى أو تحول. هناك أمثلة عديدة لأوضاع دول انتهت، منما جاء في نظرية أوهماي (Ohmae 1994) عن عالم بلا حدود، وظهور مناطق إقليمية، قامت بأول تواصل اقتصادي عالمي بين المناطق وليس بين الدول، فأصبحت الأسبق في إحراز أول تواصل اقتصادي محلي لم يقم بين الدول. وهناك وجهة نظر متفائلة إلى حد ما عن ذلك نجدها في رؤية جيوهينو (Guehenno 1996) لنبوءة شبنجلر الجديدة neo-Spenglerian^(٤) يرى من خلالها أن التقاليد السلوكية مترسخة في العقيدة المشتركة في المحليات، وأصبح مصيرها مهملاً، والسلطة السابقة تحولت إلى دولة جديدة ذات نفوذ وسلطة عنيدة وانتشرت فيها الشبكات التي لا تقاوم. ويحذر جيوهينو Guehenno من أن مابعد الشيوعية في دول أوروبا الشرقية سيكون دون حدود، وسوف تفقد تماسكها وتتحل روابط هويتها- ولن يكون لديها "أي بديل" في المقابل لتعليل ذلك، وبالتالي سوف تفقد هويتها الذاتية.

هناك عدد من المنظرين الاجتماعيين في السنوات الأخيرة، يسعون إلى إحلال مفهوم اجتماعي عفا عليه الزمن يركز على مفهوم الاحتواء المحلي بشكل أكثر مرونة، ويرتبط بالحولمة.

بزعم أن العلاقات الاجتماعية التي تظهر تتشكل بمستويات متعددة تتجاوز الحدود الإقليمية- مثال، التدفق العالمي لرأس المال والتجارة، والسلع الأساسية وأنظمة الإنتاج، والصور الثقافية والهجرة والصراعات والإرهاب.

(٤) مستلزمة من نظرية تاريخ العالم التي وضعها أوزوالد شبنجلر التي ترى أن جميع الثقافات تخضع لتصورات مماثلة من "نشوء إلى النضج إلى الفناء". (المترجم)

كل من هذه العناصر تتحدى بطرق مختلفة، لكل ما يرد من فكر اجتماعي، لمجتمع تحتويه حدود إقليمية. وقوبل باحتجاج جماعي من قبل علماء الاجتماع الكلاسيكيين منذ ذلك الحين. خاصة وأن هناك زعماء بأن الهجرة الدولية والمجتمعات المتخطية الحدود القومية، تبند فكرة التجانس الثقافي للدولة القومية. بخلق العديد من الارتباطات والولاء (سبونلي 2004) (Spoonley 2004) (4).

يقول ألرش بك Ulrich Beck، على سبيل المثال:

"مع وجود عولمة متعددة الأبعاد، فالأمر ليس مجرد مجموعة جديدة من الاتصالات العابرة، التي تظهر في عيز الوجود. بل الأمر يتعدى ذلك إلى التأثير المدمر لانتشار افتراضاتنا الأساسية التي تعتقها المجتمعات والدول، وقامت بتدبير شؤونها على أساس أنها وحدة إقليمية منفصلة عن غيرها. في حين أن العولمة ترى أن وحدة الدولة القومية والمجتمع القومي غير مترابطة؛ نظهور علاقات قوى جديدة وصراع تنافسي، والتشطر، وأخذت الدولة شكلاً ما بين الولايات القومية وفعاليتها وما بين فعالية الدولة المتخطية الحدود والمتنوعة الهويات والأماكن والتصورات." (Beck 2000a: 21)

وكما رأينا في الفصل الأول فإن (نظرية الاحتواء المجتمعي) افترضت مقدماً سيطرة الدولة على المكان من خلال تحديد هوية المفهوم السياسي مع (الدولة) الولاية. علم الاجتماع الكلاسيكي يرى أن التعريفات الإقليمية المشتركة للمجتمع لا بد أن يحل محلها مفهوم المواقع الاجتماعية المتخطية الحدود- حيث مساحات اجتماعية جديدة تربط أماكن الترحال والوصول (مثل كوميونات المهاجرين المشتتين في أنحاء العالم). نحن الآن نعيش في عالم "به أماكن مبهجة" (2000a: 72) عصر الجغرافيا الحيوية للعولمة. فعلى سبيل المثال، هناك زيجات متعددة الثقافات. فحياة الإنسان الخاصة لم تعد مرتبطة بمكان معين، مما يعد سبباً في عدم الاهتمام بالسيادة الوطنية والقومية. القائمة على علم الاجتماع التي عفا عليها الزمن (2000a: 74).

نفس الشيء توصلت إليه مناقشات يورى Urry؛ "بأن الخطاب الاجتماعي كان بمثابة مقدمة تمهيدية عن "المجتمع" باعتباره موضوع الدراسة." (2000a: 6) لكن مع زوال الدول القومية فقد تجاوز الآن هذه المرحلة. يعترف يورى Urry بأن هناك مفاهيم متعددة "للمجتمع"، من خلال وجهات النظر الاجتماعية المختلفة، لكنه يزعم أن هذه الصيغ تتجاهل "كيف يتسنى لمفهوم المجتمع أن يرتبط بنظام الدول والولايات القومية." (2000a: 7). ولكي ندرك معنى مجتمعات يجب عدم إطلاقها إلا على كينونة ذات سيادة تقوم بتنظيم حقوق وواجبات كل عضو في المجتمع، في حين أن مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة... إلخ، تشكل روابط محلية مترابطة أو ما يسمى "بنية اجتماعية" - عودة إلى مقولة شولتي Scholte: "النزعة الإقليمية المنهجية تكمن في صميم الهويات السائدة في المجتمع. وذلك، ما جعل الأغلبية العظمى من علماء الاجتماع والجغرافيا السياسية يرون العالم في شكل علاقات متبادلة لوحداث إقليمية ذات حدود، (شولتي 2002 Scholte). إلا أنه لا يدعى أن لدينا ما يشهد بنهاية المحلية في حد ذاتها، ما دام أن الإنتاج والسلطة والبيئة والهويات تظل ذات شأن كبير، وتظل الحدود تمارس نفوذاً قوياً. الحيز المكاني الاجتماعي سواء كان محلياً أو محلياً متميزاً، يخلق مزيداً من التعقيدات أكثر مما كان عليه في الفترات السابقة.

كتب بك Beck عن "انحيار تاريخي" نابع من مفهوم الدولة الاجتماعي، مثل المفاهيم القومية، وتلك الطبقة من (أصحاب الفئات الغيبية) رغم أنهم أموات، فإنهم بطريقة ما لا يزالون أحياء، أولئك غيبونا عن واقع حياتنا (بك Beck 2000b). هذه العبارة الجذابة "الفئات الغيبية" غالباً ما يتم الاستشهاد بها، لكن تتجنب المهمة الصعبة للعمل من خلال ما تم تحوله حقاً، وما تم الحصول عليه من تحليلات ربما مازالت موجودة في الحياة الاجتماعية. سوف أعرض للمحتوى الاجتماعي للعولمة والحياة اليومية. الذي يتطلب المزيد من أشكال الأبعاد التحليلية.

العولمة بوصفها عاملاً خلافاً - هداماً

لُب نظرية بك Beck يتمثل في "مخاطر المجتمع" - فالدولة التى هى (بيئية أساساً) تتولد المخاطر فيها كرد فعل مباشر إزاء المجتمع الصناعى. كمحاولة دفاعية لتحويل المخاطر إلى مخاطر يمكن رصدها. فالكوارث التى كانت موجودة قبل المجتمع الصناعى تتمثل فى (المجاعات والأوبئة والكوارث الطبيعية) ويتم التعامل معها كشئ متوقع الحدوث، حيث تدرك بوادرها وتراقب أثارها بهدف تقديم أقصى ما يمكن، وهذا يؤدي بدوره إلى القيام بأشكال جديدة من المساعدة، والاختيارات والحسابات والمسئولية. أما المجتمعات الصناعية فقد تم تنظيم ذلك فى المواقع المحلية من خلال إطار جماعى مثل الرعاية الاجتماعية، وجزئى من خلال التأمين العام والخاص. لكن الكوارث اليوم تهدد بدمار عالمى يتعذر معالجته (مثل الكوارث النووية، والاحتباس الحرارى العالمى) انذى لن يكون محدوداً، سواء أكان فردياً أم جماعياً، ويتعارض مع نظام التعويضات ائمانية انذى عفا عليه الزمن. علاوة على المخاطر العالمية الناتجة عن نظم التصنيع ذاتيا. التى تتخذ موقفاً معاكساً إزاء الاستجابة للتطورات العلمية والتكنولوجيا. ويرى بك Beck أن انعكاس الحادثة. يشير إلى ظهور شكل جديد من المجتمعات يتعارض مع "التحديث البسيط" للتصنيع. انعكاس الحادثة يفتح باب "الإبداع الخلاق" (ذاتياً) للقضاء على حثبة المجتمع الصناعى. وستلقى هذه التغيرات بتبعيات متأزمة- تجاه تقاليد الملكية والاستيلاء عليها، بالنسبة لجيل عاصر أشكالاً من التضامن وخبرات مكتسبة فى نسق حياتى واحد مستقل (بك ولايو 2005 Beck and Lau). وهذا يقوض تشكيلاتها الطبقيّة وبعض المين، ودور الجنس فى الأسر الصغيرة والزراعة وقطاع الأعمال ومستلزمات المعيشة بطبيعة الحال، واستمرارية الأشكال الطبيعية لتقنية التطورات الاقتصادية. (بك 2: 1994 Beck). ويردد ماركس Marx صدى مقولة بك Beck بأن ديناميكة المجتمع الصناعى سوف تقوض الأسس

الخاصة بها، إلا أنها الآن تعد بمثابة انتصار للرأسمالية التى تنتج شكلاً اجتماعياً جديداً- ليس به صراع ضبقى، لكنه تحديث يشمل الأطراف المحيطة للمجتمع الصناعى (بك 2: 1994: Beck) وهذا يعد اختراقاً لتابو Taboo (شيء محرم)، لأن الانتقال إلى وضع آخر يحدث دون ثورة أو قرارات سياسية من خلال معايير صغيرة، لكن لها آثاراً تراكمية واسعة.

إذا كان هذا الكسر "لذلك التابو" حدث من خلال توقعاتنا المبنية على سابق خبرتنا فى التغير الاجتماعى، فإن الأمر يشوبه بعض الشك ما دام يمكن نقاشه، إذ كيف أمكن لمعظم التحولات الاجتماعية أن تحدث - بشكل أكثر من حدوثها من خلال الثورات. على أى حال فإن مفهوماً بك Beck يجمع بين الأمرين بطريقة لطيفة لا تبرز اختلافهما. فمعظم التطورات المعاصرة، يضعها "بك Beck" تحت شعار "انعكاس الحادثة" الذى يشمل "القومية والفقر والتطرف الدينى والأزمات الاقتصادية والبيئية والحروب إذا أمكن والثورات، مع عدم إغفال حالات الطوارئ التى تنتج عن أحداث كارثية جسيمة." (بك 4: 1994: Beck) والقائمة تضم أيضاً "الإرهاب" (Beck and Lau 2003: Beck 2003) وفى الواقع، فإن الكوارث البيئية تحتل الصدارة فى قائمته. ففى رأيه أن المخاطر العالمية تنشأ من عواقب لا يتنبأ بها. بسبب محاولات الحادثة السيطرة على الطبيعة. هذا ما أدركه علماء الاجتماع الأوائل ومجموعة كبيرة من علماء الاجتماع المعاصرين. واعتبرود بمثابة "انحلال" و"شدوذ" و"كوارث" داخل الإطار المرجعى للحادثة الأولى، باعتباره السمة السوية المهيمنة فى المفهوم النظرى لانعكاسية الحادثة (Beck and Lau 2005). ولا ينظر إلى ذلك النهج بنوع من التشاؤم، بل على العكس. ينظر إليه على أنه "هبة إنيية من أجل الإصلاح الذاتى للجبرية السابقة للحادثة الصناعية" التى نستطيع الحصول منها على القوة الدافعة

لتأكيد نموها في المستقبل (Beck 1994: 51-2)، ويقدم بك Beck رؤية للحدث الجديدة من خلال قصة التجارب الشخصية والابتكارات الثقافية، ليست أدنى لأن التكنولوجيا الجديدة ذاتها تخلق مخاطر جديدة ومشاكل عرقية، مثل تلك التي تحيط بالهندسة الوراثية.

يزعم بك Beck أن انعكاسية الحدث تنضوي على الفردية، وإمكانية وجود سياسات جديدة قائمة على احتكار الخبرات والمشاركة المفتوحة وصنع القرار والحوار بين المسؤولين والعامّة. ومعايير التشريعات الذاتية والالتزام الذاتي. إن الطبيعة القديمة- مثل التركيبة البنوية والحدود ينظر إليها على أنها شيء مائع وهلامي. وقد قام بك Beck وآخرون، بتطوير نموذج أكثر تطويراً عن التحول من:

الحدث الأولى التي كانت متناغمة إلى حد كبير مع الدول القومية حتى ظهور الحدث الثانية، بشكل لايزال محل نقاش، (التي استطاعت) انحداث أن تجرد مفهوم الدولة- والرعاية الاجتماعية، وقد كانت في وقت ما تدعمها، لكنها قيدتها في النهاية. (Beck et al. 2003)

جدول (٢-١) يلخص التعارض بين الحدث الأولى والثانية

جدول (٢-١) الحدث الأولى والحدث الثانية

الحدث الثانية	الحدث الأولى
- إغفال العولمة للدول القومية. - نهوض الكيانات المتخطية الحدود. - تأكل الحياة الجمعية وتزايد الفردية.	- دول قومية تحدها حدود محلية. - الفردية المرتبطة بالحياة الجمعية لاتزال متجزرة فيما قبل البنية الحدثية، مثل تقسيم العمالة على أساس الجنس، والأسر الصغيرة.

<ul style="list-style-type: none"> - تحول قواعد الجنس كجزء من تغير طبيعته نتيجة للتقسيم الاجتماعي نتج عنه الأسر الصغيرة. - مرونة العمل والاستهلاك المتزايد بغض النظر عن الدخل وتزايد الشعور بعدم الأمان. - الكوارث البيئية ودمج الطبيعة في المجتمع. - التعرف على المزيد من المبررات العلمية، من خلال المؤسسات المتخصصة للوصول إلى قرار. - حل للفروق الأساسية والتدفق الحدودي. كلاهما/ بمنطق الأحداث. 	<ul style="list-style-type: none"> - المجتمعات العاملة (للشباب) تتخفف فيها البطالة إلى حد كبير وتعتبر مجرد خيال. - البنية الطبيعية تعد خارج نطاق المجتمع، وبمثابة شيء لاستغلال أو استثمار مواردها الطبيعية إلى أقصى حد. - الإيمان بالتقدم من خلال العقلانية وإدارة فعالة. - التمايز الوظيفي في النظم الفرعية في كل من نوعياتها أو منطقتيها.
---	---

المصدر: الشكل المختصر بك Beck وآخرون (٢٠٠٣م)

يطالب بك Beck ولايو Lau بتزويد هذه النظريات بقاعدة تجريبية. لكن ما طرح كان على النقيض ومألوفاً تماماً، وما بين نظم أسلوب صناعة شركة فورد، وما بعد الأسلوب الدعائي لشركة فورد:

"الحداثة ذات المستوى العالي للمجتمع الصناعي... تشكلت شخصيتها بواسطة مؤسسات ذات ترابط متبادل وتدعم بعضها، مثل الدولة القومية، وشركة فورد، والأسر الصغيرة، ونظام العلاقات الصناعية، والرعاية الاجتماعية، والعلم الذي لا جدال فيه".

(بك ولايو 2005 Beck and Lau)

الشيء الآخر / أو التميز للحادثة الأولى (المعرفة أو عدم المعرفة، الطبيعة أو المجتمع، التنظيم أو السوق) ثم الاستعاضة عنها بأسلوب التهجين (المعرفة وعدم المعرفة، الطبيعة والمجتمع، التنظيم والسوق، والحرب والسلام) وهكذا. وهذا ما نعانى منه كإزمات للمعنى - عن كيفية اتخاذ القرارات التي ينبغي اتخاذها، إذا لم يكن الأمر واضحاً بما فيه الكفاية، وعمّا إذا كان تغيير في المناخ من صنع الإنسان، أم هو ظاهرة طبيعية؟ وكيف تتعامل السلطات مع المهاجرين الذين ينتمون إلى العديد من المجتمعات والثقافات في نفس الوقت؟ أين هي حدود "العائلات المهجّنة" حتّى يمكن حصرها؟ إن التطرف الفردي، كما يقولون لا يؤدي فقط إلى تآكل الأسر الصغيرة كمستوى حياتي، بل يُمارس أيضاً تأثيراً في زيادة المرونة الخاصة بشروط العمل، وكذلك على بنية التعايش الاجتماعي. الشواهد على استمرارية بنية الحادثة الأولى، انتضحت في علاقتها مع مصطلحات "التأوهات الحدودية" - ومحاولتها لإعادة التواصل مع المعاني والأفكار القديمة الراسخة للدولة القومية، والعائلات، والطبقة أو مسيرة الحياة اليومية العادية. وعمّا إذا كانت هذه المحاولات ستنتج على المدى البعيد، فمن الصعب التكهّن بذلك، ما دام أنها تعتمد على المصالح التي من شأنها التأثير سلبيّاً أو إيجابيّاً من خلال تحول الحدود، وعلى قدرتها لفرض نفسها استراتيجيّاً. هذا يشير إلى حد ما بوجود نموذج مفتوح بإمكانه تحقيق نتائج، ويبدو أنه سيبنى لنفسه "مخرجاً قانونيّاً للتعامل مع أي بيانات قد تظهر لمعارضة الاتجاه المفترض للارتباط بالحادثة الثانية".

باختصار، هناك زعم بأن تأثير العولمة وانعكاسات الحادثة، ستؤدي إلى إضعاف أشكال التماسك في أنحاء الدولة القومية وتشوش تقاليد المجتمع. وستصبح نتائج مرونة العمل في انحدار من جراء - احتلال قائم على التضامن ومحاولات لوضع عقبات لعدم تشكيل عقد اجتماعي جديد. وبالتالي "فإن العالمية لا تترصد أو تهدد ما هو موجود ... إنها مجرد صخب يملأ

فضاء حياتنا (بك 74: Beck 2000a). يرتبط ذلك بانحدار الرعاية الاجتماعية- القائمة على التضامن، وزيادة التنقل عبر الحدود الجغرافية ذات التأثير الضار على رأس المال الاجتماعي. الانتقالات السكانية تفكك الشبكات الاجتماعية ونقل التواصل الاجتماعي بين الأهل والأصدقاء. كما أن النظم المالية والخبرات سوف تتحرر من المحليات وتتأثر تفاعلات في المجال العالمي. لكن هناك تساؤلات لم تتم الإجابة عنها- عن كيفية بناء الأشكال الجديدة للبنية الاجتماعية؟ وكيف سيكون حال التوتر بين القيود (المتعلقة في السلطة) وبين انعكاسات البنية الفردية؟ وإلى أي مدى تنطبق هذه الملاحظات على الصعيد العالمي، وإلى أي مدى هي انعكاس للنمات المتطورة للمنظور العالمي؟

وفي حين كان اتجاه بك Beck وآخرون لتحديدها في شكل مصطلحات عامة من الممكن أن تكون صالحة لبعض الجوانب في المجتمعات المتطورة، ولديها مشاكل في مستوى إدراكهم للتعميم. وقد اعترف بك والآخرون (Beck et al 2003) بأن نموذجهم أوروبي، وأن مسارات المجتمعات غير الأوروبية لا تزال في حاجة إلى توصيف له، لكن ذلك لا يمنعهم بأن ذلك بمثابة اتجاه عالمي. إضافة، إلى الادعاءات المتعددة في الجدول ١-٢ (وهذا تلخيص لما ورد في مناقشتهم وباعتراف الجميع) وهي إشكالية من عدة نواح، وبعض لما سوف يسجل باختصار. الدول القومية تواصل الوجود ضمن سياق العولمة (وستناول ذلك بكثير من التفاصيل في الفصل الثالث) كما أن الفردية مازالت كياناً من خلال الهويات الجماعية إلى حد كبير، غالباً في القوميات والأشكال العرقية العنصرية، تدعمها الذكريات الجماعية والمؤسسات. أما تحول قاعدة الجنس فوجدت مناصرة شديدة للمرأة كعنصر جماعي فعال، أكثر مما حصلت عليه من قبل أشباه حركة التطوير لانعكاس الحداثة. نظريات بك Beck لا تتعامل بشكل جيد مع البنية الاجتماعية للمخاطر (إليوت 2003: 24). (Elliott 2003: 24)

كما أن الفردية جزء لا يتجزأ من العالمية وإعادة الهيكلة المحلية لرأس المال. هذا بالإضافة إلى أنه قد يكون من الممكن إيجاد أمثلة من عدم التمايز (مثل، زيادة الاتجاه نحو ثقافة العمل الاقتصادي) لكن المجتمعات الحديثة تظل معتمدة على النظم المعقدة للتمايز والتخصص. التمايز بين النظم الاجتماعية وداخلها تطور بشكل فعال للتقليل من التعقيد والحد من المخاطر. إن فك ارتباط الدولة من الاقتصاد في مرحلة ما بعد المجتمعات الشيوعية، على سبيل المثال، ساهم في زيادة التمايز بين الدولة والاقتصاد والحياة العامة والخاصة. ومن الصعب الحفاظ على الرأي القائل بأن "الحداثة الثانية" قد بددت التفسيرات الأساسية التي غالباً ما تتكرر داخل الأنماط الجديدة للعمل والحياة العائلية. ومن وجهة النظر العالمية، فإن النقاش يبدو ضيق الأفق إلى حد كبير، وإن نتاج العولمة أكثر بكثير من مجرد تعقيدات، ويختلف كثيراً عن ذلك المفهوم البسيط الذي يروج عنها.

فإن الأسس التجريبية للاتجاهات العالمية التي تم تحديدها عرضة للتساؤل حتى في داخل العالم الغربي. وإذا أخذنا مثلاً واحداً- نستعرض من خلاله اتجاهات العمالة في المملكة المتحدة، نجد أن دوجان Doogan 2005 يعقب على النقاش الذي دار حول السعي في كل مكان في العالم عن سوق العمالة المؤقتة، وذلك يولد إحساساً بعدم الثقة في كلمة العمل، ويغفل المفهوم الوظيفي للعمل، ويعلن عن نهاية ما يسمى "وظائف لمدى الحياة". وبالتالي فإن "الصناعات التقليدية" الآخذة في الانحدار، أصبحت حديثاً مرتبطاً بالعمالة المستقرة، في حين أن الصناعات الخدمية الجديدة السائدة ترتبط بالكثير من الحسابات مع مرونة سوق العمالة المؤقتة، والعمل لفترة متصلة من الوقت، والمنقطعة منها. وهكذا فإن الفردية تتلازم مع حدوث "مخاطرة اجتماعية" تنشأ عن انهيار هياكل سوق العمل، إلا أن دوجان Doogan يرى "أن جرأة هذه الرؤية لا يعادلها سوى عدم معقوليتها." وعلى نقيض ما هو متوقع عن

الركود لفترة طويلة في مجال العمل، يرى دوجان Doogan أن هناك زيادة كبيرة وعلى نطاق واسع في التوظيف الطويل الأجل في المملكة المتحدة فيما بين عامي ١٩٩٢م- و١٩٩٩م بنسبة ٣٤,٦ - ٣٦,٧ في المئة للرجال، وما بين ٢١,٢ - ٢٨,٥ في المئة بالنسبة للسيدات (Doogan 2005) وهناك بعض الصناعات عانت من الانكماش، مثل صناعات المواد الخام، والإدارة العامة. ورغم ذلك لوحظت زيادة في معدلات التوظيف الطويل الأجل لبقية الموظفين. كما زاد معدل العمالة الطويلة الأجل في قطاع الوسطاء الماليين بنسبة ٣١ إلى ٣٧ في المئة، وفي قطاع الأعمال الخدمية زاد عدد الموظفين بحوالي ٩١٧,٠٠٠، تصاحبه زيادات كبيرة في الوظائف الطويلة الأجل بمقدار ٣٣٦,٠٠٠، التي رفعت معدل العمالة الطويلة الأجل بنسبة ١٩- ٢٤ في المئة. كان هناك ارتباط بين ارتفاع مستوى المهارة وطول فترة الخدمة بين الإداريين والعمالة المهنية الماهرة. وكذلك انخفاض في المهن اليدوية والعمالة الخدمية. يخلص دوجان Doogan إلى أنه على الرغم من هذه التوجهات، فقد أبدى الناس عدم القلق المتزايد إزاء الضمان الوظيفي، الذي يعبر عنه بقوله "عدم الأمن الصناعي" الذي صاحب دخول قوى السوق في القطاع العام، ويُعد أكثر أهمية من تأثير التغير التكنولوجي أو المعرفة الاقتصادية. لكن عدم الأمان هذا تم إدراكه بشكل أفضل في سياقها المؤسسي والأيدولوجي، ليكون بمثابة مجابهة كبيرة من قبل القطاع العام إزاء قوى السوق، وإعادة هيكلة شركات القطاع الخاص، من حيث عمليات الدمج والتملك والتخلص من السلع بأسلوب التصفية لهبوط الأسعار والتوقع بازدياد هبوطها، ونقص نظم الحماية الاجتماعية. وهذا يعني ضمناً أن العمالة المرتبطة بالاتجاهات التي حددها بك Beck وآخرون بمثابة ظاهرة عالمية تتسم بتنوعيات محلية عالية، والنتيجة المزيد من التحولات الأيدولوجية والثقافية أكثر من التحولات الهيكلية الأساسية. هذه النقاط الإضافية تشير إلى أهمية الإدارة المفوضة والاستراتيجيات التنظيمية في إدارة التحولات العالمية.

ما بعد - الحداثة التقليدية؟

انعكاس الحداثة بالنسبة إلى جيدنز Giddens عنصر أساسى لهدم الأشكال السابقة لعلم الاجتماع خاصة علاقتنا "بالتقاليد". ويمكن القول بأن تراجع "التقاليد"، تجربنا بطبيعة الحال (كما يرى شوتزيان Schutzian) إلى رد فعل أو انعكاس، كما يقول هابرماس Habermas، عندما يُترك الناس لمصادرهم الخاصة لتحقيق "توجه ذاتى محفوف بالمخاطر بواسطة هوية الأنا المجردة" (146: 1989). مع تراجع الأشكال التقليدية والأشكال الثابتة للهوية، فإن ذلك يؤدي إلى ظهور المزيد من الأشكال الفردية أو "البلاستيكية" (بك وبك - جيرنشاييم Beck and Beck- Gernsheim 2001) الانعكاس الحداثى هو نوع من راديكالية الحداثة - أو التطرف الحداثى - والتفريغ والكشف وإشكالية التقليد، التى تتطوى على مفهوم جديد للذات. كانت مهمة التقاليد السيطرة على الموقف لتنظيم مجال الذاكرة الجمعية (جيدنز 4-63: 1994a: Giddens). تم إنجاز ذلك من خلال طقوس تقليدية صعبة الممارسة. يتم شرحها بواسطة المتمرسين، الذين يملكون "الصيغ الحقيقية" (65: 1994a). وخلافاً "لخبراء" الحداثة، لم يكن هؤلاء المتمرسون يستطيعون التواصل مع الآخرين، كما أن سلطاتهم مستمدة من ثوابت الأوامر التقليدية، وليس من خلال الخبرة. ورغم ظهور الحداثة واشتباكها مع التقاليد، فإن هذه المواجهة كانت جزئية. كانت روح التراكم الرأسمالى شكلاً جديداً من الدوافع لكنها أصبحت "طاحونة تدور بلا نهاية"، نهاية ذاتية وتقود إلى التكرار. لقد كانت "تقليدية بدون تقاليد" (70: 1994a).

الحقبة الجديدة من انعكاسات الحداثة، تغلبت مبكراً على جزئية التحديث بأن أصبحت ذاتاً جديدة وعلى علاقة بالتقاليد. انعكاسات الحداثة تتطلب التنقيب عن معظم السياقات التقليدية للسلوك، وهى آلية ترتبط ارتباطاً وثيقاً

بالمخاطرة والعولمة. ويرى جيندز Giddens أن قلة من الناس فى أى مكان من العالم من الممكن أن يكونوا غير مدركين لحقيقة أن أنشطتهم المحلية قد تأثرت، وأحياناً تفرض من خلال أحداث بعيدة، أو الوسطاء (57: 1994a). وبالمثل فإن التصرفات الفردية- مثل شراء أنماط معينة من الملابس، تؤثر على حياة الفرد الذى يعيش على انجانب الآخر من العالم، ومن الممكن أن تسهم فى إفساد البيئة. الحياة تزداد تجريبية، وتجربة الحداثة العالمية تتشابه مع تغلغل المؤسسات الحديثة داخل نسيج الحياة اليومية. من يوم إلى يوم. ونحن جميعاً نكبل يومياً بتجارب ذات نتائج مفتوحة. هذا السوعى وتلك التغيرات المؤسسية المرتبطة بالتطوير والمترزمة بعدم "التقليدية" فى مشروع الانعكاس الذاتى الذى يعتمد على قدر كبير من الحكم الذاتى والعاطفى وأشكال جديدة من العلاقات الحميمة. وإزاء هذا التحرر من قيود العادات الجماعية، لم يعد لدينا شىء سوى أن نختار، رغم أن جيندز Giddens يسلم بأن هناك العديد من مجالات الحياة تتحكم فيها القرارات، لكن من الذى يتخذ هذه القرارات، وإلى أى مدى ترتبط "بالنفوذ". (76: 1994a) بإمكان المرء عندئذ أن يطرح تساؤلاً حرجاً عن ذلك التوتر بين الاختيار والإجبار والكيفية التى تبنى عليها العلاقة القائمة فى المواقع الاجتماعية المختلفة. العولمة بالضرورة تقتضى ضمناً عدم إغفال التقاليد، إذ لا يوجد أحد يعيش "خارج" نطاق العالم، فالتقاليد السابقة مازالت موجودة، ولا يمكن تجنبها للتواصل مع الآخرين. التقاليد قد لا تكون مدونة، لكنها متداولة فقط من خلال الحوار مع الآخرين. فى المجتمعات الحديثة تستدعى التقاليد فى الحوار عن الخيار بين أمرين،- فعلى سبيل المثال، كانت الانقسامات بين الجنسين مجزأة أما الآن فقد أصبحت مجال بحث. وأشار جيندز Giddens إلى أن البديل هو الأصولية، ويطلق عليها "ينبغى أن تكون تقليدية" (100: 1994a)، لأنها تحمى التقاليد من الشك الراديكالى بالتأكيد على الصيغ الحقيقية دون أى اعتبار للنتائج.

سوف أقوم فقط بتعليقات قليلة حول هذا الموضوع. أولاً: استكمالاً للسؤال الخاص منذ متى كانت التقاليد: وهذا أمر مهم، لأنه يوجد حالياً في بعض الدوريات التاريخية نوع من الفضفضة بخصوص هذا الموضوع. وقد قام جيدنز Giddens بالتمييز بين الحداثة والتقاليد في أطروحاته بشكل أساسي، (مثلما فعل الكثيرون مثل بايومان (Bauman 2001)، رغم أن هذا التمييز غالباً ما يكون نمطياً وعمومياً. مفهوم التقاليد يتطلب المزيد من الدقة والتخطيط، فالتقسيم البسيط للتقاليد/الحداثة تزد إلى تعميم مستويات نظرية الحداثة. وفي حين قد يكون ذلك صحيحاً، كما يرى هابرماس Habermas، فإن التقليل من هبة الأشكال المقدسة للسلطة. يزيد الانعكاس العام على الأعراف والقيم، ويرصد انعكاساً مناسباً (لبنية) التقاليد ذات الأسبقية الزمنية الطويلة قبل الحداثة. وفي الحقيقة فإن المفاهيم الفعلية لكل من التقاليد والحداثة، لها تاريخ طويل، فالحداثة اللاتينية بداية من القرن الخامس تشير إلى أن الواقع المسيحي كان بمثابة معارضة للماضي الروماني الوثني. إذ إن فكرة عدم انعكاس سلطة التقاليد من الصعب أن تتناسب مع الحروب الدينية والصراعات بين السيادة الدنيوية، خاصة وأن روما واصلت مسيرتها الإصلاحية خلال العصور الوسطى. يرى إيزنستاد (Eisenstadt 1973: 99) أن "التقاليد" حتى لو كانت صورة طبق الأصل، فإنها تختلف عن الحداثة، فقد كانت هناك مستويات مختلفة استطاعت التقاليد أن تتعوق بها مسيرة الحداثة، وعلى أي حال، فإن ذلك يتطلب سن تشريعات أفضل من ممارسة ضغوط عمياء على أفعال الناس ومعتقداتهم. وفكرة أن تسن تشريعات للتقاليد أو بدعوة من السلطات، بدلاً من أن تكون مجرد وجود، فكرة مهمة لفهم صحة التقاليد المعاصرة، مثل الجماعات الإسلامية. هذه الفضفضة والتعميم في مفاهيم "التقاليد" و"الحداثة"، بمثابة مخاطرة تفقدنا البصر للتعرف على الخط والغموض في النظم الاجتماعية.

ثانيًا: إن الادعاء بأن مضامين ما بعد التقليدية تجعل نمط الحياة اختيارات- في حين أن الحقيقة- أنها صحيحة (انظر على سبيل المثال، مقال سيميل Simmel عن "الموضة") وفكرة رد الفعل المنعكس غير المقصود أو المتعمد لبعض النتائج، كانت أساسية في كل من نظرية ماركس Marx عن مخاطر الرأسمالية ونظرية ويبر Weber عن أصولها. إضافة إلى ما ذكرته في مكان آخر (راى Ray 1999a) بأن جيدنز Giddens وضع في اعتباره أن "الأصولية" ناقصة ما دام أن هذه الحركة في حد ذاتها لا تتمسك بالتقاليد في كثير من النواحي، بل هي في الحقيقة تحاكي مظاهر حدائية اليعاقبة الثورية في منهجها وأسلوب تنظيمها.^(*)

أما الهويات الإسلامية العالمية فهي الأخرى ما بعد التقليدية، بمعنى أنها تمزج ما يناسب اختياراتها بالتهجين الفكرى للإسلام والسياسات الغربية- ومن ضمنها الفاشية ومعاداة الاستعمار. السؤال الحاسم هنا ما العوامل التى تبنى عليها الاختيارات، ما بين حوار الحضارات من جانب واحد، والتأكيد المطلق على الأخلاق والثقافة المطلقة من ناحية أخرى؟ وفى حال إذا كان الانعكاس الحدائى غامضًا بخصوص برامج التغيير التى تحدثت، وتدعيمها بطرق تجريبية وانتهت إلى لا شيء، مما كانوا يزعمون أنه سيحدث وذلك يعنى ضمناً أن هناك اتجاهات واكبت العولمة مثل (نظريات الحدائة المبكرة) لا تتناسب مع إمكانية الأطراف الفاعلة فى النظام العالمى، لإغفال العلاقات "التقليدية" والثقافات فى بعض الأماكن والحفاظ عليها فى مناطق أخرى. فى الفصل الخامس، سوف أناقش ما حدث فى الواقع.

(*) مذهب العصمة الحرفية، حركة عرفتها البروتستانتية فى القرن العشرين تؤكد على أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ لا فى قضايا العقيدة والأخلاق فحسب، بل أيضاً فيما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب وولادة المسيح من مريم العذراء ومجيئه ثانية إلى العالم. (المترجم)

نماذج جديدة للترابط الاجتماعي

التأكيدات التي صرح بها بك Beck وجيدنز Giddens، عن العولمة ليست موضوع النقاش هنا. عندما كتب بك (Beck 2002a) على سبيل المثال، عن اختراق الحدود القومية وتهجين الثقافات المحلية والمدنية، اعتبرها بمثابة- "شبكة اختراق أفقية للحدود"، في محاولة منه ليرسم لنا مفتاح التحولات العالمية. لكن النظم الاجتماعية نشأت بشكل واضح من خلال الممارسات اليومية، التي تدعم السلوك الاجتماعي. لكن ما الأشكال التي ترتبط بما بعد القومية أو تضامن العولمة التي حددها بك Beck؟ فمن ناحية، هناك توصيفات عامة، وإسقاطات معيارية للمجتمع المدني العالمي، والدول المتخطية الحدود والديمقراطية الكوزموبوليتانية. ومن ناحية أخرى، هناك فكرة "المجتمع العالمي... ذلك الأفق الذي يتداخل فيه رأس المال، والثقافة، والتكنولوجيا، والسياسات، وتجمعت برشاقة وخفة لتتجول خلف السلطة التنظيمية للدول القومية". (107: 2000a) لكن الذي ظهر في الواقع هو تصور لما قبل الفردية الاجتماعية. ولو أنه جازاً في ادعائه من أن الحداثة تكون قد حررت الناس من كل أشكال العلاقات الاجتماعية، وبالتالي فإن العالم المتعولم سيأخذ شكلاً جديداً من أشكال ما بعد التضامن، الذي يتضمن الحداثة الثانية باعتبارها "عصر التدفق" دون قيود ولا عودة بها، حيث تتخذ الفردية شكلاً جديداً من الراديكالية التي تتسم "بالجبرية الفردية وشحن الشخصية الذاتية بروح المخاطرة والحرية الكاملة". (Beck 2001). أما المقترح الخاص بالقيود الاجتماعية التي من الممكن أن تضم الاثنين معاً فيبدو أنه سيكون بالأشكال التالية.

هناك "مواقع اجتماعية متخطية الحدود القومية" (Beck 2000a:36) تقوم بإلغاء الجمعيات المحلية التي تتضمن مفهوماً للمجتمع، أسست من قبل شبكات غير رسمية تقوم بمعاونة وتنظيم المهاجرين في الجوار. هذه المجتمعات المتخطية الحدود تتشكل عقائدياً ومعرفياً وبأنماط الحياة والملكية

والحركات السياسية. بالإضافة إلى هياكل العمل، الإنتاج والتعاون التدفقات المالية عبر المسافات البعيدة. ونحن نساهم في تلك الأمور بشكل عام من خلال نزاعات جديدة بين الثقافات، ومحلات السوبرماركت للتغذية، والناس. وفن الطهي والتهجين ... إلخ. عودة مرة أخرى إلى هذه النقطة الأخيرة، حيث يبدى بك Beck ميلاً إلى الجري سويًا في وقت واحد رغم اختلاف مفاهيمنا- ونزاعنا مع الثقافات، التي يمكن أن تكون شيئًا قاتلاً وبأى مستوى من المستويات أكثر ثقلًا من شراء بضائع مستوردة من السوبرماركت.

لا توجد هنا نظرية حول تطبيق هذه التفاعلات (أو عدم تطبيقها) وهل ستصمد عبر الزمان والمكان إلى أن تطور فيما للعولمة، الذى هو القضية الأساسية بالتأكيد. بعد ذلك يردد "كلمات" فيريلليو Virillio عن شيء آخر تمامًا- "عن الحركة الداخلية الفردية لحياة الإنسان" (Beck2001a:75)، مثل إمكانية ألا تستطيع التحرك طبقًا للسجلات الرسمية، فى حين بإمكانك العيش فى حالة من عدم الاستقرار فى أماكن متعددة على الفور. لكن هذه الادعاءات مختلفة تمامًا- فالحركة الفعلية والتقل ما بين الحدود تتعارض مع الأماكن الثابتة فى حين يستطيع الإنسان أن يتواصل عالميًا. لقد افترضوا مسبقًا أشكالًا مختلفة تمامًا للحياة الاجتماعية والتضامن.

التطورات العالمية تتطلب ضمانات فى المحليات. وفى الواقع وكما يرى جيسوب (2000) Jessop أنه رغم التدفق الاقتصادى العالمى فإن الناتج الاجتماعى المحلى دائماً ما يكون مترسخاً. هذا التوتر الموجود داخل العولمة يفتح الطريق لمعالجة بعض الشكوك والالتباسات التى ذكرت سابقاً. فـرؤوس الأموال تتدفق بطريقة سريعة ومعقدة. القضية الأساسية هى أنه فى حين أن الاقتصاد يتعامل على نطاق عالمى، فإن الناتج الاجتماعى يحتل مكاناً داخل وحدات محلية يمكن تحديدها- داخل البيوت والأقلام والدول القومية،

بيرسون (Perrsons 2004: 239). نفس الشيء يراه جيسوب (Jessop 2000) بأن تدفق رأس المال في أوقات معينة يتشكل أو يتجسد في نوعيات معينة وفي أماكن معينة ووقت محدد، "مما يؤكد تحليلات الرأسمالية المقارنة بالسيطرة على المؤسسات من خلال نظم مؤسساتية خاصة في المكان والزمان". يظل رأس المال معتمداً على مكان ثابت والفارق الزمني والتكوينات التكنولوجية، ووسائل الإنتاج والتنظيم الصناعي والعمالة المتطورة المترابطة. لقد خلق إعادة النظام الهيكلي لمؤسسة فورد في المجتمع الغربي، ديناميكية جديدة للإنتاج الشامل والاستثناء. هذه النهضة كانت جزءاً مما كتبه فلتر (Veltz 1996: 12) عن التناقض، وأن الرأسمالية تعتمد على زيادة الترابط بين الاقتصاد والعوامل الاقتصادية الإضافية التي تعزز البنية التنافسية. هذا يؤكد تناقضات جديدة، تؤثر على التنظيم المكاني والزمني للتجميع. من الناحية الزمنية هناك تناقضات بين حسابات الدورة الاقتصادية القصيرة (خاصة أثناء التدفقات المالية) وبين الدورة الديناميكية للمدى البعيد "للتنافس الحقيقي" القائمة على مصادر مثل المهارات والثقة والتفوق التكنولوجي الجماعي، والتكلفة الاقتصادية والكم. وهذا النظام الأخير يتطلب سنوات طويلة لتحقيق الاستقرار وتواصل الإنتاج. أما من حيث المكان فهناك تناقضات بين "الاقتصاد" الذي يعتبره مكاناً نقياً للتدفق المالي، وما بين كونه اقتصاداً محلياً وجزءاً لا يتجزأ من نظام اقتصادي إضافي، فضلاً عن كونه مصدراً للموارد الاقتصادية بكفاءة (جيسوب 2000 Jessop).

كل ذلك يرسم ملامح السياق البنيوي، لما يحدث من تفاعلات يومية قائمة. ولو أننا نتبعنا هذا الخط من النقاش، فسنجد أن الموقع أو المكان يُعد عاملاً مهماً في المنافسات الاقتصادية والتواصل، وعلى نطاق واسع في الحياة الاجتماعية. على أي حال، فإن الأماكن من الممكن كذلك أن تكون ساحة للأزمات والإخفاقات الليبرالية الجديدة بشكل جلي. خاصة وأن إعادة

الإنتاج فى المناطق الإقليمية تزايدت إشكالياته، ما دام أن الحياة أصبحت غير آمنة وتتسم بالفردية، كما يصفها بك (Beck 2000a). رأس المال يحدد التكلفة على أساس أدنى تكلفة عالمية من خلال التعاقد من الباطن على سبيل المثال. على النقيض تماماً من أرباب العمل فى الفترات الصناعية السابقة، الذين كانوا يقدمون مكافآت اجتماعية على فترات وحريصين على تكوين بنية اجتماعية، وكانت بعض شركات تلك الفترة تقوم بذلك أيضاً. كما أن تغيير أماكن العمل كان ذا تأثير على الأسرة: فإزاء تنافس العمال باعتبارهم عناصر اقتصادية، كان يتعين عليهم التحلى بالمرونة وقضاء ساعات أطول فى العمل، أو المشاركة فى أنشطة لا تتلاءم مع الحياة العائلية. هذه التغيرات وتغيرات أخرى تتعلق ببنية الأسرة، جعلت من الصعب على العائلة أن تقوم بأداء دورها كاملاً باعتبارها المؤسسة الأولية التى تيسر انتقال المعرفة من جيل إلى جيل. ومن المفارقات، أن ذلك ظهر على وجه التحديد فى فترة نجاح الاقتصاد القومى، عندما أراد الاعتماد على نقل المعرفة (كارنوى 143: Carnoy 2000). وهكذا أصبحت مشكلة الترابط الاجتماعى الموضوع الرئيسى فى عالم شبكات الإرسال، وتناولت أساليب العمل غير المنتظم والهجرة والانتقال والسلوك الاجتماعى العالمى. وهذه قضية تم إغفالها بشكل كبير فى نظريات العولمة، التى كان من المفترض وبطريقة ما أن تتجز ذلك التفاعل الاجتماعى ومن خلال الترابط (مفهوم ضمنى على ما أعتقد لدى يورى 2003 Urry).

الأكثر من ذلك، رغم أن نظريات الانعكاس الفردى ينشأ عنها وضع مفرط من الفرد، فجينز Giddens لاحظ بالصدفة أن الفردية مرتبطة بالسلطة، وأن المجتمعات العالمية والمحلية سوف تكبح نوعيات العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الناس على حد سواء بشكل فعلى وفورى فى كل البيئات. ليس ذلك فقط، بل إن الكثير من هذه القيود الاجتماعية تصبح فعالة ومتبادلة وملزمة. وسوف تمارس فى العديد من المستويات. قام توماس شيف

Thomas Scheff بانتقاد "الأسطورة القائلة إن الفرد المنعزل هو الشخص الوحيد الذى يمكن تصويره كوحدة للوجود الإنسانى". (شيف ورتزنجير (Scheff and Retzinger 1991: 15).

وهذا تعقبه فى الحقيقة، خطورة أن تصبح القيود الاجتماعية شيئاً "لا يصح ذكره وأسرار لا يجوز التفكير فيها". "نقوم أسس التضامن الاجتماعى إذن، على "الانسجام والتناغم" أو التفاهم المتبادل على أرضية تركز على هويات آمنة، تعلو من شأن الكبرياء، بدلاً من التغاضى عن استنكار العار. الانعكاس الفردى يرسم لنا عالماً منعزلاً تسانده القيود الاجتماعية والفعاليات المؤثرة فأصبح غير معترف به. إن التغاضى عن العار بالنسبة لشيف Scheff هو مصدر الاغتراب والعنف. وذلك يهدد القيود ذاتها ويولد ما يسميه هابرماس Habermas "بالأمراض" حيث يتمسك الناس بقيود - زائفة فى الأمم والطوائف التى تفرز مجتمعات شكلية. ولو تتبعنا مناقشات شيف Scheff، وعالم بك Beck الفسيح، فسنجد خطوة لتخطى العار والقيود غير المعترف بها، التى تخاطر بالبحث عن مجتمعات خيالية قائمة على الغضب الأهوج والعنف القاتل. ربما يكون هذا المشهد مبالغاً فيه، لكن من الممكن القول بأن ما صورده لنا بك Beck، عن غير قصد، هو حالة نفور من الحياة اليومية.

الشبكات الاجتماعية عبر الوطنية والقيود المؤثرة

حركة الناس عبر المكان تتطلب المرونة فى القيود الاجتماعية والحفاظ على التواصل المفيد على جميع المستويات. إضافة إلى السلوك الاجتماعى الذى نشأ فى الأماكن القريبة، فقد قام هس (Hess 2004) بتحديد هويات أشكال عديدة "غير محلى ليس لها رسوخ" حيث يتواصل الناس من خلال ثقافات وشبكات. ربما تكون شبكات إقليمية محلية أو إقليمية محلية وافدة من شبكات فاعلة. يرى ديفيد لى (David Ley 2004) أن العولمة نشأت من خلال

إدراك عناصر المعرفة، إلا أن هناك أصواتاً غائبة بشكل غريب عن ذلك المصير الحتمي الذي بدأ يظهر "قبل التدفق المكاني العالمي" [الذى هو] تفسير لكل ما نَم استيعابه في كثير من الأحيان من خلال صانعي القرار السياسى والسياسيين فى سعيهم لتحقيق استراتيجيات لاختيار أماكن لتسويق أعمال النخبة من رجال الأعمال" (لى 2004 Ley). وقد تكون هذه الأماكن بعيدة جغرافياً، يعيش فيها أناس غير متمركزين فى مواقع معينة وتشمل عرقيات متعددة.

القيود الاجتماعية فى المناطق عبر الوطنية موجودة فى الأماكن التى يقيمون فيها أيّاً كان مكان إقامتهم، العالمية أيضاً محلية، وحقيقة هى محاية فى النهاية، بمعنى أنها دائماً شكل تجرىدى من معاناة النفس فى محاولة لخلق شعور لا يُحصى ولا يُعد من العلاقات المعلوماتية، الصور، الثقافة، الشبكات الفضائية، وتأثيرها على من يعيشون معترك الحياة. فى نفس الوقت فإن معرفتنا للعالم تصبح أكثر محلية بدرجة عالية- ويستخدم لى Ley مقولة توم وولف Tom Wolf "وهج النار الخادع" ليوضح كيف أن الفرد العالمى، مثل ما يرى شيرمان ماكوى Sherman McCoy من الممكن أن يكون فى وول ستريت فى وطنه وأماكن دولية، وفى نفس الوقت يكتشف أن الجزء الخلفى لمدينة برونكس عالم مخيف من الصعب عليه أن يفهمه لأنه لم يهيباً لذلك بشكل صحيح. هذا التباين بين الثراء والفقر يجسد نمط الحياة البرجوازية العالمية، حيث تُبنى العلاقات الاجتماعية فى إطار العمل العولمى، حيث الحواجز و"العائلات الصغيرة". على أى حال، فإن اتساع العلاقات الاجتماعية عبر المكان تعتمد على دعم معنوى ومالى. هذا بالإضافة إلى أن طبيعة هذه العلاقات بنيت بواسطة أنماط ثقافية واقتصادية خاصة.

هناك بحث عن "العائلات الصغيرة" يوضح ذلك. فمصطلح "العائلات الصغيرة" تمت صياغته من قبل وسائل الإعلام فى هونج كونج، لوصف الطبقة المتوسطة المتناثرة. (هو وفارمر 1994 Ho and Farmer). هذه الأسر

بدأت بإقامة أحد الزوجين في البلد المضيف في حين يكون الطرف الآخر وعادة ما يكون الزوج. يواصل عمله في هونج كونج، ويقوم برحلات مكوكية بين المكانين. كما أطلق مصطلح "أطفال البراشوت" إشارة إلى الأطفال الذين يتركون في البلد المضيف الجديد، دون أحد الوالدين. بعض الدراسات عن هذا الموضوع أجمعت بأن هذا الفصل المكاني، أدى إلى أضرار اجتماعية ونفسية. قد يكون مؤقتاً في البداية، لكن هذا الوضع من الممكن عبر مرور الزمن وضغط المكان أن يؤثر على العلاقات الزوجية - خاصة بالنسبة للنساء في بلد المهجّر. حيث تشير التقارير بإصابتهم بالغربة والإحباط والملل والضجر واليأس (أى 2001). لكن هناك دراسة أخرى ترى أن التجربة قد تأثرت بظروف الهجرة إلى حد أن أفراد هذه الأسر أصبحوا مرتبطين بالشبكات الاجتماعية. التفرقة في المكان ليست في حاجة إلى عائلة واحدة لكي تنفخ. بل ربما يؤدي ذلك إلى إعادة تشكيل اجتماعي يمكن أعضاء الأسرة على الحفاظ على إحساس بانتماء محلي متعدد (هيريرا ليمّا 2001). إن الهجرة الاقتصادية للأعضاء النشطين في الأسرة، من الممكن أن تكون استراتيجية فعالة لتنويع مصادر الدخل، باستثمار أعضاء الأسرة في أسواق العمل المختلفة. العائلات المحلية المتعددة عبر الوطنية لا يمكن ببساطة أن نتهمهم بأنهم خالفوا قنهم بالهجرة، مما أدى إلى انبهار في العائلة، وحدث بعض التعديلات الضرورية المؤقتة. قام كل من لاندولت ودا (Landolt and Da 2005) بمقارنة تجربة المهاجرين من سان سيلفادور إلى الولايات المتحدة، ومن الصين إلى أستراليا وأشاروا إلى أن الناس المعنّين في السلطة الهرمية التسلسل تمنح درجات متفاوتة من الميزات والمنح من خلال السلطة المنظمة، إشارة إلى الجهد الذي يبذله هؤلاء الموظفون، وما يقدمونه من خدمات اجتماعية. المهاجرون من الصين كان باستطاعتهم التعرف على مصادر العمل من خلال انشبات الاجتماعية، وكانت هجرتهم في الغالب مخططة

وموثقة ومنظمة ومدعمة بمحاضرات عن الوطنية الصينية والكبرياء القومى. أما بالنسبة لحالة السلفادوريين، فقد تولدت الهجرة بسبب الضرورة- للبقاء على قيد الحياة أثناء الحرب الأهلية، وما بعد فترة الحرب والحاجة إلى تكملة دخل الأسرة لضمان أسباب الحياة. كان التنقل عبر الحدود والبحث عن عمل وفترة إقامة طويلة غير منتظمة، وغير مستقرة، وغير موثقة، كانت محفوفة بالمخاطر للأفراد وعائلاتهم. فى حين كانت الدولة السلفادورية تتبنى خطاب القومية المشتتة وتتخذ تدابير استراتيجية لتنظيم الوضع غير المصرح به للسلفادوريين الذين يعيشون ويعملون فى الولايات المتحدة، نكن مبادراتها كانت رمزية إلى حد كبير، ولم تحقق إلا القليل لضمان الأسر المهاجرة، وحقوق المواطنة سواء فى الداخل أو الخارج. وإذا عدنا لدراسة الهجرة التايوانية فى فانكوفر، وكندا، نجد أن "واترز" (Waters 2003) اكتشف أنه فى الفترة التى كان كثير من المهاجرين يخططون لتحقيق مواطنة "مرنة" وأماكن منفصلة للعائلة، فإن هذه الترتيبات اعتمدت بشكل كبير على انشاء لإنشاء الثقافة الأساسية والشبكات الاجتماعية فى فانكوفر- من خلال فصول دراسة اللغة الإنجليزية والجمعيات التطوعية وشبكات محلية أخرى.

وبشكل ما نجد أن هذه الدراسات سلطت الضوء على أهمية النظر بعين الاعتبار للعلاقات والممارسات العائلية فى الأماكن الجديدة. إن تعريف الأسرة، باعتبارها شبكة من الأفراد من مكان بعيد، تتناقض مع مفهوم الأسرة البكر جغرافيًا. وبالتالي فإن تعامل هذه الأسرة مع هذه الشبكة عبر الوطنية، تحثهم على إعادة التعريف بأفكار الوطن عن بعد، بغض النظر عن الحضور والغياب. فهناك الاتصالات التليفونية، والرسائل الإلكترونية، والخطابات، والتحويلات المالية، والطرود المتبادلة، كما أن رحلات الطيران تمكن الأسر لمواصلة العلاقات، واتخاذ القرارات عبر الحدود، والسماح لأفراد العائلة المهاجرة ليظلوا موجودين. وتصبح فكرة "الوجود" متزايدة، ولا ترتبط بفكرة التفاعل وجهًا لوجه بين الأحباب بل تتمثل فى التحويلات

المالية، وأنواع أخرى من المساهمات فى الموارد بواسطة المهاجرين وغير المهاجرين من معاونين على حد سواء. على أى حال لا يوجد نوع واحد من العائلات المهاجرة عبر الحدود، بل تنسيق وترتيبات عائلية متواصلة. هناك بعض العائلات من الممكن أن تنقل، لكن الجسر الذى يمتد لمسافات طويلة وبنجاح، أو ممارساتهم المحلية المتعددة عبر الحدود قد تتمزق وتنتشر أو حتى تتوقف لفترات طويلة من الزمن. بهذه الطريقة فإن المجتمع والمكان يعاد تشكيلهما من أدنى (Ley 2004) من خلال الروابط الاجتماعية والمشاعر بين الناس، والتواصل عندما يتحركون عبر الحدود.

المال العالمى والحياة اليومية

الممارسات اليومية للحياة تدعم وتتفاعل مع التغيرات الاجتماعية التقنية على المستوى العالمى. وزيادة التغيرات العالمية لا تقوض بالضرورة الانقسامات الاجتماعية. والمال كما حدده هابرماس Habermas وسيط للتوجيه، أما جيدنز Giddens فيعتبره بمثابة رمز يقود التنسيق غير الشخصى للأفعال وأبعاد المكان والزمان. ولابد أن يوضع فى الاعتبار أن المال رغم أنه يسهل التنسيق عبر الزمان والمكان، فهو وسيلة غير شخصية، لكنه يقتضى ضمناً ثقة كبيرة فى المعاملات الاجتماعية، والأهلية، والتمايز الاجتماعى. هناك وجهة نظر عن المال فى القطاع المصرفى والسياسة الاقتصادية كظاهرة كلية للسوق والقيمة الاقتصادية، لكن أشكال المال، تتشكل بواسطة العلاقات الاجتماعية والقيم الثقافية. المال يتطلب شبكات اجتماعية تتسم بالثقة، خاصة وتحديداً مع صرف النقود إلكترونياً، عندما يحدث نقص القيمة الوظيفية له، لأن ذلك له تأثير مهم ليصبح معلوماً للأفراد والهيئات المسؤولة (زيليزر 1994). وقد وصف سيممبل (Simmel 1990) المال بأنه (نزعة ثقافية عميقة) تجاه التعبير رمزياً - بمادة (تعادل ما يساويها من

الذهب على سبيل المثال) من خلال ورقة رمزية للقيمة، وهي عملية مكثفة من قبل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وأجهزة الصرف الآلى (سنغ 2004 (Singh)^(٢)). تداول المال يفترض حدوداً زمنية مؤقتة- ومن ثم يمكن إرجاء القرارات إزاء تلبية الاحتياجات مع توفير الضمانات، وذلك سيكون كافياً في الوقت المكتسب. عندئذ فمن الممكن أن نثق في مستقبل محتمل وتصور للحاضر في اللحظة التي يتخذ فيها القرار عن المستقبل (لوهمانن 1992: 36 (Luhmann). لو أن هذه الحدود تحطمت، بسبب حدوث انهيار في قيمة العملة على سبيل المثال، فإن اللحظة الراهنة ستصبح حاسمة. ما دام أن المال لا يستطيع عندئذ أن يحتفظ بالقيمة لتستخدم في المستقبل. وهذا يؤدي إلى إزالة عدم التمييز بين العلاقات الاجتماعية الأخرى، مثل العودة إلى نظام المقايضة والاعتماد على النقاءات المباشرة. من ناحية أخرى، فإن الشيء الأكثر تعقيداً وغرابة، أن تبادل النقود يكون أكثر رواجاً سريعاً في العالم. نظم العولمة المالية تطلبت استخدام التكنولوجيا الرقمية في التعامل ائمالى، بل وغيّرت كذلك العلاقة بين الحكومات والاقتصاد.

إن أثر التغيرات العديدة التي أحدثتها العولمة- وبصفة خاصة في المعاملات المالية العامة- يمكن تفسيرها من خلال تعارضها مع الماضى القريب. فى يوليو عام ١٩٦٦، أعلنت الحكومة البريطانية أن الحد الأقصى الذى يأخذه المسافرين إلى الخارج خمسون جنيهًا إسترلينيًا، أو ما يعادله من أى عملة أخرى. فقد تعرض الجنيه الإسترليني لضغوط خلال أسبوعين ماضيين، كما أن احتياطي الذهب والعملات الأجنبية كانت آخذة فى الهبوط. وفى الشهر السبعة السابقة قام الاتحاد الوطنى للبحارة بإضراب تسبب فى خفض صادرات المملكة المتحدة، وزيادة عجز ميزان المدفوعات، وكان ذلك متوقعاً نتيجة لزيادة الطلب على احتياطات العملة الأجنبية (جريدة التايمز ١٩٦٦م). وكان قرار الخمسين جنيهاً كحد أدنى لكل مسافر جزءاً من حزمة إجراءات

للتكشف، تهدف إلى الحد من الطلب المحلي (لاسيما للسلع المستوردة) ووقف التدفق التجارى مقابل الجنيه. كان ذلك حدثاً فى عصر السيطرة الحكومية على الاقتصاد الوطنى وتدفق تبادل العملة، الذى يرجع إلى نظم العملة المشددة التى فرضت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية (جريدة التايمز ١٩٥١م). كان من الممكن أن تطبق هذه القيود بحزم والقوة من خلال رقابة بنكية مشددة، وتغيير نظام كان قائماً لتدفق الأموال، أثر على الحركة المادية والتغيير بشكل ملحوظ فى قيام الناس لقضاء إجازاتهم فى الخارج (الأمر الجديد نسبياً لكثيرين) الذين لم يكن لديهم القدرة على الحصول على نماذج تلغرافية للانتقال. احتفظت البنوك بمسار الحركة المادية للمال بواسطة أفراد معينين عبر الحدود، وسجلت المعاملات فى جوازات السفر وسجلات رسمية. كانت السيطرة على التبادل المالى والرقابة البوليسية ممكنة فى مجتمع ما قبل انتشار من يملكون البطاقات الائتمانية، والتعامل الإلكتروني لصرف المال، وعولمة التبادل الإلكتروني للأموال، التى تسهل هروب الأموال من قيود سيطرة الحكومات القومية. على أى حال، هذه الضوابط فرضت فى الوقت الذى أصبحت فيه التسهيلات المالية متاحة فى الحياة اليومية وكانت بداية التغيير. قبل شهر من فرض الحد الأقصى بخمسين جنيهاً، كان بنك باركليز قد طرح أول بطاقات ائتمان فى المملكة المتحدة- برنامج بطاقات ائتمان باركليز. وكان ذلك بقصد أن تصبح "شركة بطاقات باركليز"، وفى عام ١٩٧٧م أصبحت حيازة بطاقات الائتمان شيئاً عادياً. تبع ذلك فى العقد التالى "الانفجار الكبير" باستخدام النظام المالى الرقعى^(٦). (باهل 1999 Pahl)

هناك تفاعل وثيق بين النقل الإلكتروني "الخاص بالموارد" والفردية والحدود الحكومية. فى عام ١٩٧٠م، تم إلغاء حد الخمسين جنيهاً، ودخلت البلاد مرحلة جديدة من المعاملات المالية الإقليمية بشكل متزايد، بانضمام المملكة المتحدة للمجموعة الاقتصادية الأوروبية (الاتحاد الأوروبى لاحقاً)

فى ١٩٧٣م، وفى عام ١٩٧٩م قامت حكومة المحافظين بفتح الطريق لانفجار فى التعامل مع العملات العالمية، فأخيراً تم إلغاء السيطرة على التبادل النقدى فى المملكة المتحدة، وفى عام ١٩٨٦، تم تحرير حصة التعامل فى هذا "الانفجار الكبير"^(٧). عالم بطاقات الائتمان اليومى، والتعامل الإلكتروني للنقد، معاملات الإنترنت، وبمجرد الضغط على زر، يتم شراء السلع من كل أنحاء العالم، ويشير ذلك إلى إجراء جدير بالاعتبار خفف الرقابة الحكومية على ما يمكن تداوله بين الأفراد عبر الحدود. أحد الأمثلة على ذلك، التجارة العالمية فى الأدوية دون ترخيص (خاصة الأدوية الحيوية مثل الفياجرا) التى قدرت بثلاثة وعشرين بليون دولار سنوياً. (يار إن. دي) (Yar n.d.). هذه التجارة كانت نتيجة غير مقصودة لحرية استيراد السلع والتهرب من نظم الولايات القومية، والهيئات الدولية.

لكن على الرغم من التداول الإلكتروني العالمى للنقد، وتبادل العملات غير المحدود، فإن ذلك خلق مشاكل تنظيمية جديدة، وهذا لا يعنى بالضرورة أن هناك ضعفاً فى ذلك السياق، أو حالة من الارتباك. بل على العكس، فإن مستويات الثقة شاركت فى المعاملات اليومية المعقدة، ومبدأ الثقة فى العملة يعتمد على شرعية الدولة. فتبادل الروابط ما زال سارياً فى كثير من البلدان خلال العقود التى تلت - خاصة فى الدول الاشتراكية، والعديد من الدول النامية، حيث حاولت الحكومات (إزاء الفشل فى مواجهة الأسواق غير المشروعة وعدم تمكنها من السيطرة على العملات الأجنبية، الاحتفاظ بالاكتهاء الذاتى الاقتصادى والسياسى). أزمات الشرعية السياسية فى الدول الاشتراكية وانهيار النظم الحكومية فى أواخر الثمانينيات، تعنى أن سوق الشارع غير المشروع للعملات الأجنبية أصبحت مفتوحة بشكل متزايد ومسموح به، إلى درجة أن العديد من بلدان وسط وشرق أوروبا أعلنت عن عرض "لأسعار سياحية" بسعر الصرف الرسمى لتبادل العملة عدة مرات فى محاولة للتحايل على التجارة غير المشروعة وآثار الخسارة فى عوائد الدولة.

وإذا دخلت هذه الدول نفق الأزمات، فإن الثقة في العملة المحلية تنهار، وتصبح المعاملات اليومية بشكل عادي بالدولار الأمريكي. في بدايات التسعينيات، قامت روسيا وبعض دول ما بعد الاشتراكية، بإعادة استقرار العملات المحلية، وقامت بتعديلات أكثر واقعية بالنسبة لمعدلات الصرف، فحررت أسعار تبادل العملات الأجنبية وحظرت استخدام الدولارات الأمريكية في المعاملات اليومية⁽⁸⁾. بعبارة أخرى، إعادة تأكيد سلطة الدولة، واستعادة الثقة في العملة المحلية، وكان ذلك شرطاً جزئياً لبداية الاندماج في الاقتصاد العالمي. إن الدول الفعالة، والثقة المجتمعية، واستقرار التمايز الاجتماعي، وترسيخ تحولات السوق، إضافة إلى التحفظات الثقافية، هي الشروط التي تيسر التعامل المالي في العولمة.

التدفقات الجديدة والتكنولوجيا لها أثر جلي على العلاقات الاجتماعية، لكنها في نفس الوقت مقيدة بها وتشكل من داخلها. فالحد الأقصى للخمس جنيهاً إسترلينياً افترض عالمًا مختلفًا تمامًا عن عالم القرن الواحد والعشرين، وعالم العولمة ذي التعامل النقدي الإلكتروني، والتيسيرات الجديدة المتنوعة من التضامات الاجتماعية والاستثناءات. لكن رغم أن بك Beck يرى أن التقسيم الاجتماعي التقليدي في الحداثة الثانية على أساس الطبقة وبين الجنسين قد توقف، فهناك شواهد توحى بظهوره خلال التعامل الرقمي. فهناك شواهد على زيادة الاستقطاب بين أولئك الذين يستخدمون الأشكال الجديدة للتعامل النقدي وبين من لا يستخدمونها. أما أولئك المוסرون الذين لديهم ثقة تكنولوجية فمن الممكن أن يمارسوا "شغفهم" بالدخول على الخط المصرفي وإدارة المحافظ الاستثمارية الخاصة، ومن الممكن أن يمارسها بعض المميزين نسبيًا. أما أولئك أصحاب الدخل المنخفض أصحاب بطاقات الائتمان فمن الممكن أن يكونوا مصدر قلق (لأنهم عبء على الميزانية)، في حين هناك آخرون سعداء بالبطاقات (Pahl 1999).

نعود ثانية إلى التعامل النقدي الإلكتروني الذي أسس من خلال أنماط قائمة على الإقصاء تركز على الدخل، والجنس من حيث النوع، والعمل والسن. قائمة الائتمان الثرية غالبًا ما تعتمد على معلومات ثرية، والعكس بالعكس (Pahl 1999). في نفس الوقت، تظل السيولة النقدية مهمة خاصة في أعمال المجتمعات المحلية، وكثير من العملاء يولى اهتمامًا شخصيًا ودائمًا عند القيام بأنشطة تشمل مخاطر كبيرة مثل الرهون العقارية. (سنگ 2004 (Singh).

هيئة الخدمات المالية (٢٠٠٠م) توصلت إلى علامة التمايز الاجتماعي باستخدام النقود الرقمية، وإنشاء دوائر مفرغة. في حين أن سبعة في المئة فقط (مليون ونصف) من الأسر في المملكة المتحدة ليس لديهم موارد مالية تدر دخلًا مستمرًا (مثل بطاقات الائتمان، والحسابات البنكية، والرهونات والتأمين، والمعاشات)، وعشرين في المئة (أربعة ملايين وأربعمئة ألف) يستخدمونها فقط بشكل هامشي، ولديهم مشروع إنتاجي أو اثنان. في الولايات المتحدة في عام ١٩٩٨م تسعة ونصف في المئة من العائلات (عشرة ملايين) ليس لديها أي حسابات قائمة على المعاملات. في الوقت نفسه نجد تراجعًا في الخدمات التي تعتمد على الإنترنت، والتي تتبدى في المواقع المحلية التي تأثرت سلبيًا من جراء تدهور في البنية التحتية، ومحدودية النمو الاقتصادي والعديد من المشاكل الاجتماعية. النظام المالي يميز بين الناس والمجتمعات بناء على المخاطر وتصنيف الائتمان، وهكذا فإن الإقصاء المالي سوف يكون للبعد الجغرافي أيضًا وعادة ما يكون قائمًا بشكل قياسي في الضواحي المحرومة.

رغم أن الدراسات عن المال والعولمة ركزت على أهميتها الاقتصادية فهناك أبعاد اجتماعية مهمة. فعلى سبيل المثال، المال ليس سلعة عالمية اجتماعية - لكنه على الأصح، نوعيات مختلفة من المال (مثل: الأجور، الميراث، المكافآت، المقامرة والمكاسب... إلخ) وله استخدامات متعددة ومهمة

بالنسبة للناس. (سنغ 2004 Singh) بالإضافة إلى أن نمو التعامل النقدي الإلكتروني، يقوم بتغيير الأساليب المالية التي كانت مسيطرة داخل العائلات. المال بمثابة معلومات تظهر على هيئة أرقام في بيان البنك، بدلاً من النقود السائلة في اليد، التي من الممكن أن تيسر الكثير من الارتباطات في الشؤون المالية للعائلات، وتغير الأوضاع التقنيدية (باهل وسنغ Pahl 2004; Singh 1999) ومن ناحية أخرى فإنه يهب المزيد من السيطرة لأي شخص كان، ليسيّط على تدفق المعلومات في الأسرة، الذين غالباً ما يكونون من الرجال. التجارة الإلكترونية لا تطفو بحرية ودون حسابات لكنها تتكامل عضوياً من خلال علاقات القوة الاجتماعية والتضامن.

هناك أيضاً أبعاد اجتماعية مهمة لظاهرة التحويلات المالية، التي تيسر الروابط الوجدانية في العائلات العالمية (سنغ 2004 Singh)، كثير من الأبحاث تدور حول الأثر الاقتصادي للتحويلات، التي تعد ثاني أكثر التدفقات المالية للبلدان النامية بعد الاستثمار الأجنبي المباشر FDI وأكثر من ضعف حجم التمويل الرسمي، وأضخم من مجموع الأموال التي وهبتها المؤسسات الدولية والمنظمات غير الحكومية INGOs. وهناك تأثير مضاعف ومتعدد الجوانب، فمع كل دولار يصرف، يتولد عنه دولاران أو ثلاثة في النشاط المحلي إذا صرف على السلع المنتجة محلياً. وهناك أيضاً أبعاد اجتماعية مهمة وحميمية للتحويلات المالية. فعلى سبيل المثال، فالعائلة الهندية وحدة ضريبية واحدة (مما يعني أن هناك قصوراً واضحاً لحقوق المرأة في ممتلكات بيت الزوجية) طبقاً لما نص عليه قانون الرعاية الأسرية. فإرسال النقود من قبل المجتمعات الهندية إلى الوطن يحظى بتقدير عاطفي. له أهمية من الأهمية الاقتصادية (سنغ 2004 Singh). العولمة في هذا السياق أصبحت مستأنسة، ما دامت فكرة الذات متأصلة، في خلطة من الوطنية والهوية داخل الأسرة والعمل والأصدقاء. النقاط المرجعية والتوترات، مظاهر اجتماعية مثل المفهوم الثقافي للأسر المهاجرة عبر الحدود، تتصارع مع الفردية الجديدة بين شباب المهاجرين في هذه المجتمعات.

خاتمة

العولمة إنجاز للحياة اليومية تتطوى على الأنشطة الإنسانية لبناء أشكال السلوك الاجتماعي العالمي. وهناك قدر كبير من أدبيات العولمة، قائم على الاقتصاد السياسي، ونظم تجريدية تؤكد الطرق التي تقوض بها العولمة القيود الاجتماعية التي كانت موجودة من قبل، ويمكن القول نسبياً عن كيفية "إنجاز" الحياة الاجتماعية في عصر العولمة. ولا أريد أن أجادل، بأن طبيعة علم الاجتماع خضعت لتغير أساسي، وأن فكرة المجتمعات المحلية ككيانات مترابطة أقل ملائمة الآن مما كانت عليه، في منتصف القرن العشرين. وكما ذكرت في مكان آخر (راي 2002 Ray) إلى أي مدى في الواقع كان علم الاجتماع مقترناً بوجهة نظر، عرضة للتساؤل. وعلم الاجتماع الكلاسيكي بصفة خاصة كما يبدو لي، كان أكثر تركيزاً حول مفاهيم، مثل الرأسمالية، والمجتمع المدني، والتصنيع والبيروقراطية وديانات العالم وهكذا دواليك، مما لا تتصف "بالمحلية" وتوقع مجتمعات ذات أشكال ما بعد - القومية (كما تتبأ ماركس Marx في انبيان الشيوعي ربما بشكل مفرط). كمن علماء الاجتماع على وعى تام، فيما يبدو بأن التدفق الحر، وونوعيات التغيير التي لا كيان لها، خاصة (السوق) تتركز بشكل كامل على الناتج الاجتماعي - ولنسر، على سبيل المثال، نقد ماركس Marx، للولع أو الشغف الشديد بالسلع. وتحذيرات دوركهيم Durkheim عن الأسس غير التعاقدية للعقد. وهذا في الواقع يشير إلى وجود صعوبة إزاء بعض إصدارات نظرية العولمة التي تفسر هذا التطور الذي لا شكل له أو كيان، دون أن نقم - أو على الأقل ترسم اسكتشاً - للنظريات، عن كيفية تدفق هذه التطورات العالمية والعمليات المعدة سلفاً وتنفذ في أماكن معينة. وبالمثل، فإن نظريات الفردية والانعكاسية (المرتبطة بشكل خاص بكل من بك Beck وجيدنز Giddens) تصبح مخاطرة

قبل -اجتماعية ما دام أنها تفقر إلى أى حسابات للحياة اليومية وأدائها، أو أى نقد لأيديولوجية التفرد وكيف يمكن لها أن تعطى فكرة خاطئة عن الواقع بمزيد من القيود الاجتماعية المعقدة والتبعية. نظريات الفردية مبالغ فيها وغير اجتماعية أساساً (أنانية) فى تصويرها للنفس فى "الحداثة الثانية". إن العلاقات المتضمنة وغير المتضمنة فى العلاقات الاجتماعية من الممكن تحديدها من خلال أبعاد الصعيدين المحلى والعالمى التى رسمت فى الشكل (١-٢) القيود الاجتماعية المؤثرة من الممكن أن تكون محلية أو عالمية، على حين أن التوجيه الإعلامى للمال والسلطة يتناول المحلية والعالمية - ففى الحالة السابقة على سبيل المثال، مصنع يقوم بتخفيض الأجور لخفض تكلفة الإنتاج، ويؤثر ذلك على الأسواق المالية العالمية. على أى حال، لن تكون هناك تعاملات اجتماعية حقيقية خالية تماماً من القيود والضغط الثقافية للمواجهة وجهاً لوجه، ولن تكون هناك أى تفاعلات مستقرة، يمكن فصلها عن نظم التوجيه. التنسيق الاجتماعى يمكن تحقيقه بطرق مختلفة، على وجه الخصوص، كالتالى:

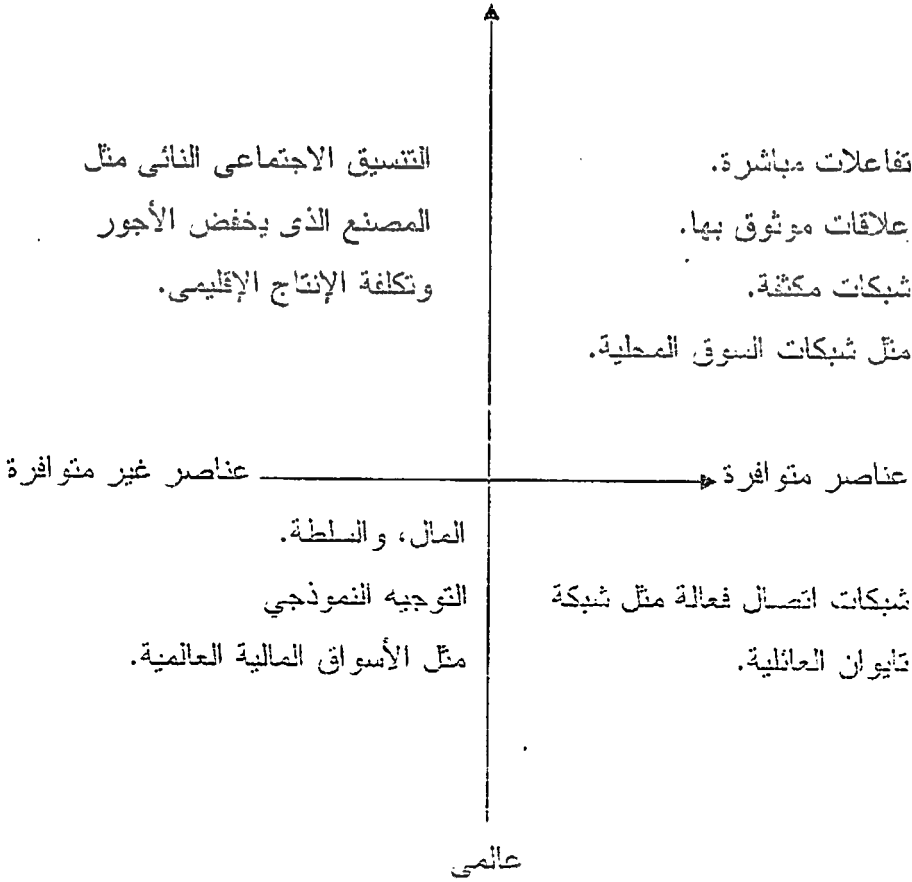
التكافل (نظام التكامل، وهو تشابك غير شخصى إلى حد كبير على ردود أفعال) رغم أن ذلك سيكون قائماً فى الأماكن - المؤقتة. ضمن سياقات من القيم المشتركة، وخاصة المشرفين والعلاقات المؤسسية؛

القيود المؤسسية للتضامن التى توفرها اللغة المشتركة، الثقافة الذاكرة الجمعية والطقوس - وخاصة الأشكال التى يعتبرها "بك" Beck وآخرون، بأنها أفسحت الطريق للعالمية.

لقاءات موضوعية مواجهة لوجه بمشاركة الفضائيات والاتصالات المباشرة عبر فضاء العالم.

- هذه القضايا سيتم متابعتها وبيان علاقتها بالعولمة والحياة اليومية.

محلى



شكل (٢-١) عن أبعاد التضمين/ المصدر المؤلف

الفصل الثالث

ما بعد الدولة القومية؟

من المهام الرئيسية التي تصر عليها كل المجتمعات المركبة، هي إدارة العلاقات الممكنة التي لانهاية لها بين الناس، فالأغلبية انعطى منهم تظل مجهولة من قبل الآخرين. الدولة القومية كمجتمع إقليمي لمواطنيين يحملون نفس الهوية لدولة قومية ذات ثقافة مدنية، أصبحت إحدى الطرق الحديثة للمجتمعات لتنظيم ثنائية التقسيم "الضم/ الإقصاء" لتؤسس مكاناً يسمح بتنظيم الحياة الاجتماعية والثقافية والتواصل، والإدارة والحياة الاقتصادية. بعض الدول أنجزت ذلك بكثير من النجاح عن دول أخرى، وبطبيعة الحال، فإن هذه التنظيمات الأساسية، لم تكن قائمة على مبدأ الإقصاء للعديد من التغيرات (سواء أكانت سلمية أم تتسم بالعنف) مع دول أخرى. في الوقت الحاضر توجد قواعد من القواسم المشتركة، تطالب بالولاء للدولة القومية، مثل أولئك الذين طالبوا بالتضامن عبر الحدود القومية- وبخاصة الحركات الاشتراكية الدولية. في القرنين التاسع عشر والعشرين- وآخرون ضائبوا بمجتمعات قومية بديلة. وتهدف الأخيرة إلى تجاوز الانقسامات القائمة مثل (القومية العربية) أو الانفصال عن دولة قائمة (مثل قومية إقليم كيبك في كندا). ومع ذلك فقد أصبحت الدول القومية أحد الأشكال الرائدة للتضامن الاجتماعي في المجتمعات القومية، وطموح "الناس" المرتبطين بمشاعر عرقية عامة، أو ثقافية ولغوية ودينية، وأى انتماءات أخرى. ولقد رأينا كيف أن بعض منظري العولمة ألمحوا بأن الدول القومية في طريقها للانتهاء بسبب الجذب المزدوج لتدنى الوظائف إلى مستويات محلية أو أدنى من القومية، وانتقال السيادة "إلى مستوى أعلى" من العمليات الدولية. وطبقاً لهذا الرأي، فلو بقي

دور للدولة الإقليمية فلن يكون سوى أن تقوم بتنظيم تدفق رأس المال، والناس والسلع والمخاطر عبر حدودها. وقد اقترح أن تحل العالمية محل الدولة القومية كإطار حاسم للحياة الاجتماعية (فيثريستون ولاش 1995: 2). لكن أن تحل محلها بأى مفهوم؟ معظم الناس يواصلون الحياة داخل نظم حكومية قومية، تلتزم بفرض ضرائب، وخدمات تعليمية ورعاية اجتماعية، ونظم مصرفية ومالية، وتخطيطية وتنموية... إلخ. يعيش الناس داخل مجتمعات تجمعهم لغة واحدة وتاريخ واحد، ويشاركون فى احتفالات قومية عامة وطقسية عادية، ومن ضمنها حب الرياضة بصفة خاصة، التى تقوم بدور مهم.

يعرض هذا الفصل شواهد لتغير دور رأس المال والدولة، واقترح أن تظل الدولة القومية هى المحرك الفعال فى الاقتصاد العالمى، والمجتمع، رغم وجود ناتج بديل وأشكال واضحة لقدرة الدولة (برجر ودور 1996: دور 1996). صحيح أن توسع الاتحاد الأوروبى EU يطرح تساؤلات حول مدى إمكانية تكامل الكتل الإقليمية داخل دولة-شبه هيكلية، أو فى الواقع إذا بزغت بوادر دولة فى مرحلة ما بعد العالمية. ربما لا تكون الإقليمية عنصراً أساسياً بالنسبة للدولة - شبه هيكلية، مثل الاتحاد الأوروبى الذى تشكل من خلال إمكانياته التنظيمية أكثر من اعتماده على الحدود التى يجرى تفكيحها بواسطة التوسعات. على أى حال، فمن غير الواضح إلى أى مدى سيواصل الاتحاد الأوروبى مسيرته عبر طريق لتكامل وثيق بين هياكل الدول، منذ أن سقطت افتراضاته على الأرض⁽¹⁾ ويشير كل من جينز Giddens وبك Beck إلى أن ذلك يرجع إلى عدم الثقة فى العولمة، التى أثارت مشاعر العودة إلى الملاذ الآمن للدولة. (Beck and Giddens 2005). لكن فيما يبدو ربما يعكس ذلك مشكلة أكثر أهمية مع المشروع الأوروبى - وهى أن "أوروبا دولة غير جديرة بالثقة، ولدت

من خلال الفوضى، وحدودها غير واضحة، وغير متسقة هندسياً وصفحة
ستمحي من الذاكرة، مندفعة ومتحولة." (مورين 2002: 126).

وسوف يكشف النقاش عن نماذج متميزة لنظم دول/ معارضة لنموذج
بك Beck ونماذج أخرى ذات هيكلية عولمية سوف تؤكد المزيد عن كيفية
بناء الدولة الإقليمية الذي لم يكن مستنداً على مفهوم المجتمع الوفير لكنه على
العكس نتج من خلال مشروعات التشكيل المجتمعي استجابة لنتائج الاقتصاد
العالمي وإعادة هيكلية علم الاجتماع. وقد ثار نقاش بأن العولمة تخلق فروقاً
أكثر من التجانس، لذا فإننا نتوقع أشكالاً متعددة من الدول داخل النظام
العالمي. هذا بالإضافة إلى أن التميز يحتاج لكي يتم مفهوم الدولة القومية
مشيراً إلى الكيان الإقليمي الذي يشمل معظم المواطنين المتجانسين والدولة
الإقليمية في حد ذاتها والتي ربما تضم مواطنين عالميين ضمن الهويات
القومية المتعددة. مفهوم الانتماء السابق تم فهمه في سياق المعنى السابق
لمؤتمر بوتسدام الذي كان يتعلق برسم خريطة جديدة لأوروبا بعد الحرب
العالمية الثانية، لكنه من بعض النواحي أصبح ضعيفاً مع بداية القرن الواحد
والعشرين. مع مراعاتنا ألا نتجاهل القوة المستمرة للقومية. لكن ذلك لا يعني
بالضرورة أن أشكال الدول الإقليمية أصبحت غير مهمة. قد تظل الدول
مترابطة إقليمياً، وتتظم حكومة داخل حدودها المكانية، لكن قد يقل ولاؤها
بالنسبة للهوية القومية ويزيد بالنسبة لما أطلق عليه هابرماس Habermas،
"الوطنية الدستورية" ويقول: "إن المجتمعات متعددة الثقافات، تتطلب المعرفة
السياسية" لأن هوية كل مواطن تتضافر مع هويات اجتماعية أخرى، وينبغي
أن تستقر في شبكة لتبادل المعرفة." هابرماس (2001: 74). كما
يرى هابرماس Habermas أن حق الثقافة للأفراد ينبع من حقيقة أن كل
شخص لديه اهتمام مسيطر عليه من هويته الشخصية، وأن تضامن
المواطنين يعتمد بشكل أقل على القواسم المشتركة للدولة، كمجتمع ينحدر من
أصل مشترك، وبشكل متزايد على الأسس المجردة لـ "الوطنية الدستورية".

وهذا يعنى أساساً (مطابقة لمفهوم بارسون Parsons عن المجتمع الاجتماعى الذى تناولناه فى الفصل الأول) يمكن للناس أن ترتبط معا بواسطة المبادئ وقيم الاحترام للحقوق الثقافية المتبادلة التى تعد سمة المجتمع الإقليمى، فى مرحلة ما بعد - القومية.

العولمة واندولة القومية

من أهم الموضوعات فى إصدارات العولمة أن الدولة القومية فى تراجع، وأصبحت، كما وصفها دانييل بل Daniel Bell "بأنها فى منتهى الصغر بالنسبة لمشكلات الحياة، وفى منتهى الضخامة بالنسبة للمشكلات الصغيرة" (Bell: 1987).

وبالمثل يدعى كاستلز (Castells 1997:261) أن العولمة "تقوض الحكم الذاتى وسلطة صنع القرار فى الدولة القومية". وأنا أزعم أنه على الرغم من أن هناك بعض الأسباب لهذا رأى، لكنه مبالغ فيه (إذا جاز القول)، لأن الدولة القومية تظل لاعباً أساسياً فى النظام العالمى، وحاسماً لكل الجدل فى هذا الكتاب، وشكلاً ذا أهمية فى التضامن الاجتماعى. بهذا المفهوم فإن الوضع السابق مماثل لوصف هيلد Held وماكجرو McGrew، بأنه "تحولى" وأن وجهة النظر بتدويل النشاط الحكومى، وعبر الأماكن المتخطية الحدود، فهذا يعنى أن إعادة تكوين الدولة وليس القضاء عليها. فيما يعتبران الدولة "مجالاً للتدفقات" من خلال تمرير الأموال، والمهاجرين، والثقافات. والتلوث والتجارة، والاستثمارات... إلخ. (ماكجرو McGrew 2004: 149).

أكدنا على أهمية العوامل السياسية فى تشكيل الحكم العالمى، رغم أن هذا غالباً ما يشير إلى المنظمات غير الحكومية (NGO's) والحركات الاجتماعية ويرى ساسن Sassen نفس الشيء، وأن السيادة والإقليمية تظلان الملامح

الرئيسية للنظام الدولي. رغم إعادة تشكيلهما (29: 1996b). النقاش هنا يؤكد أن الأضراف الفاعلة في الدولة نفسها أو الوسطاء وصانعي القرارات السياسية، يمارسون تأثيراً حاسماً حول طبيعة العولمة.

نهاية الدولة القومية؟

بداية، دعونا نلقى نظرة على المناقشات حول نهاية الدولة القومية. إحدى هذه المناقشات عن نهاية أو اضمحلال الدولة القومية، هي نسخة من انتقال الفوردية القومية في مرحلة ما بعد تطوير الفوردية- لتنظيم رأس المال. بعد الحرب العالمية الثانية تم تنظيم للرأسمالية في الدول القومية الإقليمية من خلال تحالف شركات ذات رأس مال قومي، واتحادات التجارة وتدخل الدولة. كانت الدولة تشارك في الإدارة على نطاق واسع وغالباً في الملكية الاقتصادية (من خلال صناعات قومية واحتكار المرافق العامة)^(*) والحفاظ على الموازنة بين طبقة ما بعد الحرب، متمثلة في رأس المال وحقوق العمالة، من خلال الوقاية باللجوء إلى الكينزية^(*)، والضرائب التصاعدية العالية والرعاية الاجتماعية.

أما الاقتصاد الفوردى فيما بعد الحرب فقد كان قائماً في الغالب على الصناعات التحويلية، وتنافس الاقتصاديات القومية بعضها مع البعض في الأسواق الدولية للسلع المصنعة داخل نظام الدولة التي توفر لها الحماية (وعلى سبيل المثال، من خلال الإعانات المالية وضوابط الاستيراد) للشركات القومية. كان هناك توافق سياسى واسع النطاق بين اليسار (الحزب العمالى الاجتماعى الديمقراطى) واليمين (حزب المحافظين المسيحي الديمقراطى) للحفاظ على عوامل هذا النظام. لكن خلال السبعينيات

(*) نظرية اقتصادية تفيد بأن التدخل الحكومى فى الأسواق النشطة والسياسة النقدية هى أفضل طريقة لضمان الدور الاقتصادى والاستقرار. (المترجم)

والثمانينيات من القرن العشرين خضعت الفوردية العالمية ونظام كينزى للرعاية الاجتماعية لأزمات تراجع مستوى الإنتاج وارتفاع أسعار الطاقة، وانحدار الاقتصاد القائم على الصناعة في خضم التزايد السريع فى قطاع التمويل والخدمات. وإزاء انهيار أسعار الصرف الثابتة بعد اتفاقية "بريتون وودز" عام ١٩٧١م، تزايدت المنافسات الدولية بين العملات المختلفة، سم تنظيم السياسات الداخلية الاقتصادية للدول الرأسمالية. بعد ذلك قامت الأسواق المالية بتنظيم التجارة العالمية إلى حد كبير، بعيداً عن سيطرة أى حكومة قومية، حتى تتمكن الضغوط التنافسية الدولية من إنهاء التوافق السياسى لنظام كينزى.

تأثير العولمة على الدول من أجل نفقات الرعاية الاجتماعية مسألة محل نقاش. يرى بيرسون (1998) Pierson أن تخفيض نفقات الرعاية الاجتماعية ليس بسبب العولمة، بل نتيجة للخيارات الحكومية المحافظة، التي خفضت إيرادات الدولة وهاجمت تنظيم العمالة. ويرى كل من فليجستين (2001) Fligstein، وجيلبن (15- 312: 2000) Gilpin نفس الشيء. أما جاريت (2001) Garrett فاستعرض بيانات من مئة دولة بين عامى ١٩٨٥م و١٩٩٥م، وخلص إلى أن العولمة لم تقم بدور فى تخفيض الإنفاق الحكومى وتوصل إلى أنه ليس هناك ضرورة للمفاضلة بين العولمة والتنافسية. إلا أن بك Beck يصر على أن نظام كنزى استلزم أسلوب التقسيم النوعى بين الرجل المعيل والمرأة غير المنتجة اقتصادياً، ويقول: "أى شخص يرغب فى استعادة أسلوب التضامن القديم، يجب عليه أن يعيد عجلة التحديث ويدفع المرأة للخروج إلى سوق العمل - (بك 34: 1998) Beck). لكن أنانياديس (Ananiadis ٢٠٠٣م)، يرى أن العولمة لا تتعارض مع السياسات الجماعية للرعاية الاجتماعية التى تتعامل مع نوعيات مختلفة مثل المنزل، والحياة الاجتماعية، رغم أن هذا ليس مثل العودة إلى نظام كنزى. على أى الأحوال، فإن الاتفاق على الرعاية الاجتماعية زاد فى دول منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية

OECD فى السنوات الأخيرة. متوسط النسبة المئوية لإجمالى الناتج المحلى GDP الذى تم إنفاقه على الرعاية الاجتماعية زاد ما بين عامى ١٩٨٠م و١٩٩٢م بنسبة ٨,٦ إلى ١٠,٢ (ميشيل 2003 Michael). وقد أثبتت نوعيات الرعاية الاجتماعية فى دول مختلفة مرونة نسبية فى مواجهة العولمة رغم احتمال وجود تكاليف اقتصادية للحفاظ على برامج معينة أو أولويات اجتماعية (هيوبر وستيفنز 2001 Huber and Stephens، شاريف 1999 Scharpf). وإذا حدث وقامت الحكومات بتخفيض البرامج الاجتماعية، قد لا يكون ذلك بسبب قوى عالمية دفعتها إلى ذلك، وإنما بسبب دوافع سياسية أجبرتها على ذلك.

حتى لو كان الأمر كذلك، فإن التجربة الفرنسية ألححت بأن نظام كنزى التقليدى أصبح غير قابل للتطبيق. ولم يعد هناك مكان لهذا الخيار القومى مثلما كان مطبقاً فى فرنسا بحماس، خاصة بعد هزيمتها فى بداية الثمانينيات، فتمت إزالته من جدول الأعمال فى بقية أوروبا. بعد فوز الحزب الاشتراكى فى الانتخابات الرئاسية عام ١٩٨١م، والانتخابات البرلمانية عام ١٩٨٢م، أمتت الحكومة الفرنسية اثنتى عشرة مجموعة اقتصادية وستة وثلاثين بنكاً. واتبعت سياسة كينزى، للتحفيز من خلال زيادة الأجور، وتوسيع امتيازات الرعاية الاجتماعية، وزيادة الإنفاق الحكومى، ورفع الضرائب على الثروات والأرباح. لكن فى أواخر عام ١٩٨٢م زادت البطالة بشكل سريع، وبلغ التضخم إلى نسبة ١٤,٠٪ سنوياً وزاد العجز فى الموازنة القومية. انقسم الحزب الاشتراكى إزاء رد فعل مناسب تجاه الأزمة، مع الجناح اليسارى الذى كان يريد جعل السياسة الاقتصادية راديكالية مصونة وراء جدران تحميها، على حين كان اليمين يطالب بسياسة نقدية متشقة لخفض التضخم وإعادة الهيكلة الصناعية لتشجيع التصدير - لزيادة النمو. وفى حين كان اليسار يريد عزل الاقتصاد الفرنسى عن الضغوط العالمية - واحتمال الانسحاب من الاتحاد الأوروبى -

أراد اليمين أن تكون الصناعة الفرنسية أكثر تنافسًا في الخارج، وخاصة عن طريق التوسع في التجارة داخل الاتحاد الأوروبي. مع بداية عام ١٩٨٣م، كسب اليمين المعركة، ومع حلول التسعينيات من القرن العشرين تولى الاشتراكيون عن نظام كنزى إلى حد كبير. (هوجو 2003 Hooghe).

وهكذا، وحتى إذا كانت الحكومات المحافظة مدفوعة بمنطق سياسى عالمى أو محلى، ففي الثمانينيات من القرن العشرين اتبعت الحكومات المحافظة سياسة الخصخصة إلى حد كبير لممتلكات الدولة، كجزء من برنامج واسع لإعادة هيكلة السياسة الاقتصادية الحرة الجديدة. وانسحبت من الإدارة الاقتصادية المباشرة، مما أدى إلى زيادة البطالة، إلى مستوى كان غير مقبول سياسيًا من قبل، وخفضت مخصصات الرعاية الاجتماعية وأحدثت تغيرات ثقافية من المفاهيم الجماعية والفردية ذات المخاطر وعدم المسؤولية. ارتباط هذه السياسات مع سيولة رأس المال العالمى المتدفق، يعنى أن الاقتصاديات القومية تحررت من سيطرة الحكومات وأصبحت خاضعة للتدفقات الاقتصادية لدول المتخطية الحدود، والبضائع والأنظمة الإنتاجية. فبعد التجربة الفردية، أصبح العالم أكثر تدفقًا وأكثر تشككًا وأكثر فردية، وفوق كل ذلك، أكثر عولمة إلى الحد الذى أصبحت فيه الحكومات القومية أقل سيطرة على التطورات الاقتصادية - الاجتماعية، تقودها مجموعات من القوى المحلية والعالمية. الإنتاج أصبح دوليًا (Kobrin 1998 and 2003) وانمحى الخط بين المحلى والعالمى الذى كان موجودًا؛ ولم يعد هناك مركز واضح بسبب الاقتصاد الإلكتروني العالمى.

تتواصل المناقشات لتشير إلى أن نهاية الحرب الباردة والأنظمة الشيوعية ذات الاكتفاء الذاتى فى أوروبا بين عامى ١٩٨٩م و١٩٩١م، أضعفت بنية الدولة القومية، عن طريق فتح تدفق التنافس الرأسمالى فى

جميع أنحاء العالم. وبالتالي وطبقاً لما كتبه جيدنز Giddens: "إن ما حدث عام ١٩٨٩م، لم يكن مجرد أزمة للماركسية، بل مازالت تشكل أزمات للاستراكية الغربية أيضاً." (جيدنز 1999 Giddens). كانت نتيجة تلك العمليات السياسية والاقتصادية الصعبة تلاشى مشروعات الدولة القومية، مثل الرعاية الاجتماعية ونهاية عهد الدولة القومية على هذا النحو.

بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك مناقشات بأن الدول لا تستطيع إيجاد حلول لقضايا مثل التلوث والإرهاب وتجارة المخدرات وأزمات تداول العملة والأوبئة العالمية كالإيدز (كراسنر 2001 Krasner) وأخيراً إنفلونزا الطيور. السلطة لديها مواقع متعددة، والدولة ذات السيادة تشارك المنظمات الدولية وصندوق النقد الدولي في النفوذ، مثل هذا النفوذ السياسي (يشمل المناطق التي تقع فيها أحداث سياسية) لم تعد تحدد سياسياً بحدوده الإقليمية. الدول لا تستطيع بالضرورة أن تسيطر على السياسات النقدية بسبب أسواق المال المفتوحة، والمخاطر الدولية التي تترك السياسات القومية، مثل معدل الضريبة الذي يحدد باحتمال هروب رأس المال إلى أنظمة أكثر ملاءمة، وعدم سيطرة الدول على التجارة غير الشرعية بسبب حجم التهريب عبر المنظمات القومية، (كراسنر 2001 Krasner) رغم أنه يقر أن هذه الادعاءات مبالغ فيها). وبالمثل يرى كوبرن (Kobrin 1998 and 2003) بأن العولمة تزيد سعر التكلفة، والمخاطر وأيضاً تلك التكنولوجيا المعقدة التي لا تستطيع الكثير من الأسواق القومية الصغيرة جداً أن تتواصل مع التنمية الإنتاجية. ولا يمكن لأي سوق قومي يقوم بتسويق الطيران، والأدوية، والتكنولوجيا الحيوية والاتصالات، وأن يتواصل مع البحوث والتنمية العالية (R&D) وتكاليف منتجات جديدة. خلال تطوير هياكل التجمع والتوزيع يجب مراعاة أن تكون هناك شبكات اتصال مرنة أكثر من كونها منظمة بتدرج هرمي في بلدان متفرقة ومجاورة لدولة قومية بيروقراطية. فذلك له دلالات سياسية

لأنه ليس هناك وضوح في التمييز بين العام والخاص مع البنوك الكبيرة جدًا، التي أصبحت منشآت عامة، ولو حدث أى فشل أو تقصير فسيكون له انعكاسات اقتصادية كارثية ودولية، في الوقت الذى تؤثر فيه المنظمات الدولية غير الحكومية مثل السلام الأخضر والهيئات العامة التي تؤثر على الرأى العام والسياسة. يختتم كوبرين Kobrin كلامه قائلاً:

"أنا لا أرى أى دليل يشير إلى أن الدولة القومية قد عفا عليها الزمن، وأن عناصر أخرى للولاء والهوية ستحل محلها. فى حين تقوم العولمة بإضعاف السيادة الإقليمية، إلى الحد الذى ترى فيه أن الاقتصاد والحكم السياسى القائم أساساً على الولاية الجغرافية وسن التشريعات، قد لا يكون قابلاً للبقاء." (كوبرين 2003 Kobrin).

بيد أن النقاش حول مشروع الدولة القومية لم يقتصر على الاقتصاد السياسى. فالتدفقات العالمية للتمويل، والإعلام المرئى، والمخاطر وأنماط الاستهلاك، والسكان والسلطة، تزعزع المفاهيم العديدة فى الأماكن الحدودية. الشكل التقليدى للدولة كان يهدف إلى خلق تجانس ثقافى داخلى، ووحدة للحدود الإقليمية التى لم تكن تسمح بالتعصب (بايومان 1992 Bauman). ومن ثم فقد فرضت الدولة القومية لغات رسمية على مجموعة من أنماط التعبير، التى يمكن تفسيرها، بأنها محاولات لطمس اللغة العامية، كوسيلة فعالة لتأسيس الدول الموحدة. وتوازياً مع ذلك أصدرت الدولة عملة مشتركة، وسنت قوانين قومية، أما الولاء فهو للدولة ذات الحدود المرسومة بوضوح؛ والتاريخ (المتصور) والمصير. مع ظهور العولمة حدثت هجرات على نطاق واسع من قبل الناس، وأشكال الصور والنضائع عبر الحدود، لكن قبل ذلك حدث انغلاق معقد وعميق للأماكن الإقليمية بسبب التدفق الشديد للأموال والثقافة. الدول تتكامل على نحو متزايد من خلال النظم الدولية للمناطق عبر الوطنية وشبكات المنظمات الدولية غير الحكومية، التى ارتفع عددها من (٦٠٠٠) ستة آلاف عام ١٩٩٠م، إلى (٢٦٠٠٠) ستة وعشرين ألفاً عام ١٩٩٦م؛

وعدد يصل إلى ١,٥٠٠ مسجلة كمراقبين في الأمم المتحدة (ماكجانون وجونستون 2005 McGann and Johnstone)^(٣) في الوقت نفسه فإن سمة التجانس الداخلي بدأت تتآكل من خلال تزايد عدم تجانس الهوية الثقافية، وأنماط الحياة والولاءات والمشاركة المرتبطة بالتجانس المتزايد في سياق ثقافة الحملة التجارية الإعلانية للشعارات التجارية مثل كوكاكولا وماكدونالدز، والعولمة التليفزيونية والأشكال المتعددة للاستهلاك الثقافي. وهكذا فإن الصورة المتخيلة لشعب موحد، تتضاءل لصالح المستهلكين لأنماط الحياة، ولظهور النزعة القومية الانفصالية أيضاً. والبعض يرى أن هذا الانفصال، نوع من السطحية وفقدان عميق للروابط الوجدانية في مزيج من الهويات الظاهرية. هناك أشكال متعددة لأنواع من اضطرابات الوظائف العقلية للذات، حيث يتشبع الناس بمعلومات وعلاقات، لكنهم يفقدون الإحساس بالذات الآمنة، (جرجن 1991 Gergen). كتب ميلوتشي Melucci (1984) عن البدو الذين يتجولون في أماكن غير متصلة. في هذه الحالة من اللامأوى، يلجأ هؤلاء الناس إلى الأساطير والخرافات العقائدية حتى يشعروا بالأمان، وهكذا فالإلى جانب وهم الذات، هناك كثافة عاطفية للقومية العرقية المتفرقة. (بلج 140: 1997 Billig) عندئذ تظهر ثقافتان متباينتان - الالتزام العاطفي الشديد بثقافة المكان المقدسة وثقافة الدولة، وثقافة استهلاكية عالمية الهوية، وانفصال هادئ تحظى فيه القومية باهتمام قليل. والثقافتان، بأى حال من الأحوال، من مظاهر العولمة وخسوف المجتمعات القومية حصرياً.

استبدل عدد من منظرى علم الاجتماع بمفهوم علم الاجتماع القائم على الاحتواء الإقليمي (الذى عفا عليه الزمن) مفهوماً عولمياً أكثر مرونة. ولذلك أشار بعض الكتاب إلى ما بعد نظام وستفاليا القومى الذى أصبح حق الدولة فى الحكم والتشريع بمثابة مشكلة (Kobrin 1998 and 2003). كتب جيوهينو (Guehenno 1996) عن "موت السياسة"، ما بعد تنشيط الأشكال القومية، حيث أصبح الدين يفرق بدلاً من أن يوحد، والعنف الذى كان حكرًا على

الدولة تمت خصصته. ووفقاً لما أشار إليه هؤلاء الكتاب فإن انبثاق العلاقات الاجتماعية يتشكل بمستويات متعددة، تتخطى الحدود الإقليمية - مثل، تدفق رؤوس الأموال العالمية والتجارة، والسلع ونظم الإنتاج والصور الثقافية والهجرة والصراعات والإرهاب. وهكذا، فإن التغيرات الاقتصادية والسياسية، يصاحبها ضعف في الدولة: "الأمور الأكثر أهمية لتحقيق حياة طيبة لمواطنيها خارج نطاق سيطرة الحكومات إلى حد كبير: هي في يد ما يسمى "قوى السوق" - ذلك الكيان الغامض الذى يذكرنا بالعناصر البدائية، مثل الكوارث الطبيعية والمصير الأعمى، أكثر من القرارات المدروسة، والهادفة، والرشيقة. وقد تتمكن الحكومات من فعل القليل لتقلل من تأثير ما يجرى، ويؤثر على رعاياها".

(بومان 1998 a)

يتضمن ذلك تلميحات للتضامن الاجتماعى. فقد لوحظ فى فترة ما بعد الحرب، أن الرعاية الاجتماعية فى الدول الغربية كانت عنصراً أساسياً فى دائرة التجربة الفوردية القائمة على الإنتاج الكمي المتواصل، والاستهلاك بشكل كبير، الذى أحدث نزوعاً للاستقطاب الاجتماعى، والصراع الطبقي. كان المفهوم الاجتماعى الديمقراطى الغربى للرعاية الاجتماعية أحد الأسباب التى تجمعت حوله الأزمات، ولم يلبث الأفراد أن واجهوا عدم اليقين وحدهم، لكن كجزء من مجموعة (بالدوين 2: 1990 Baldwin). ومع اندثار الإدراك فى التصور المشترك للمخاطر والثقافة وممارسة التمايز فى التضامن الاجتماعى وإضعاف دور الدولة فيما يتعلق بضمان أسس التماسك، بطرق مدونة أذناه. أحد الأمثلة على ذلك، هو الهيمنة العالمية للمزيد من الفردية ونظم الإعلان للدولة عن الرعاية الاجتماعية، مصحوباً بالتوسع السريع للمعاشات الخاصة وخطط الرعاية الصحية. هذا الاتجاه انعكس بإفراط إلى حد ما فى النظريات الاجتماعية الفردية الانعكاسية، حيث أصبح الحياة مجرد مشروع ويتم فيه بناء الهويات اعتماداً على التجربة. هذه

النظريات تأخذ المعنى الظاهري لادعاءات الليبرالية الجديدة، بأن الدولة لها دور محدد حتمًا بالنسبة للحياة اليومية، التي يتم تنظيمها من خلال الشبكات غير الرسمية للمجتمع المدني.

ومن هنا جاء الادعاء بأن لب علم الاجتماع قد ضعفت مكانته من قبل تشكيلات ما بعد القومية من ناحية، والتحركات العالمية للناس والبضائع من ناحية أخرى، وكذلك الأشكال الجديدة للفردية. على أى حال، فقد تم نقاش ذلك سابقًا وتبين أنه كلما تكون التدفقات الاقتصادية عالمية، فإن استتساخ ناتج اجتماعي يحتل مكانًا في المناطق الإقليمية. هذه التوترات الرئيسية للعلومة، لكنها بداية لمعالجة بعض الشكوك والالتباسات التي سبق ذكرها. في حين يقوم الاقتصاد باستتساخ نتائج اجتماعي بنطاق عالمي، داخل وحدات إقليمية يمكن تحديدها - الأسرة، والمدن، والمناطق، والدولة القومية (بيرونز 2004: 239) وهكذا يصبح المكان عنصرًا مهمًا في الضرورة التنافسية الاقتصادية والترابطية. إلا أن المواقع المكانية، تقع فيها أيضًا أزمت فشل الليبرالية الجديدة بوضوح. يرى بك (Beck 2000a) أن الاستتساخ الاجتماعي في المحليات أصبح مشكلة متزايدة ما دامت الحياة غير آمنة وفردية. على عكس ما كان عليه أصحاب العمل في العصر الصناعي السابق، الذين كانوا يوفرّون عملاً وأجرًا دائمًا مدى الحياة، والتركيز على تشكيل شبكة اجتماعية. كما أن تغيير أماكن العمل يؤثر أيضًا على الأسرة. فما دام العمال يتنافسون كعوامل اقتصادية، فهم مطالبون بأن يكونوا أكثر مرونة وقضاء ساعات أطول في العمل، أو ينغمسوا في أنشطة لا تتلاءم مع الحياة العائلية. هذه التغيرات، والتغيرات الأخرى المتعلقة ببنية الأسرة، تجعل الأمر صعبًا عليها لتقوم بدورها كمؤسسة أولية، تيسر انتقال المعرفة بين الأجيال. ومن المفارقات أن ذلك يحدث على وجه التحديد في الوقت الذي يعتمد فيه النجاح الاقتصادي على نقل المعرفة (كارنوي 2000: 143) (Carnoy 2000) ومن ثم فإن مشكلة التلاحم الاجتماعي تصبح رئيسية في سلسلة الشبكات

العالمية، وأنماط العمل غير المنظمة، والهجرة والحركة، والسلوك الاجتماعي العالمي. وهذه قضية مهمة إلى حد كبير من قبل نظريات العولمة، التي تفترض أن هذا التفاعل الاجتماعي المعقد يمكن أن يتحقق من خلال وجود ترابطات معقدة وهذه قضية ضمنية عند يورى (Urry 2003).

نهاية الدولة القومية ليست فعلية.

كثير من الادعاءات السابقة توضح بدقة تغير العلاقات بين الدولة الإقليمية والنظام العالمي، لكن المناقشات تتسم بشيء من المحدودية. هناك بالفعل سلسلة من الادعاءات حدثت في هذه المناقشات. فالسيادة تشير إلى عدة أشياء مختلفة- مؤسسات الدولة، النزوع إلى الصفة القومية، الهوية القومية، سيادة الديمقراطية والشرعية، (هولتون 2005 Houlton). هناك ادعاءات بشأن حدود السيادة القومية داخل القوميات الإقليمية، والعلاقات الخارجية مع نظام دول العالم. السيادة لم تعد قابلة للتجزؤ إطلاقاً. لكنها بالطبع لم تكن كذلك قط عبر الأزمنة التاريخية والحديثة. كانت قدرة الدول على الفعل، مرتبطة دائماً بالمعاهدات، وموازين القوى، والموارد المحدودة، والوطن، والحركات الاجتماعية الدولية. (كراسنر 2001 Krasner). إلا أن الكثير من السياسات الرئيسية للدولة القومية- مثل فرض الضرائب والتخطيط للبنية الأساسية، والهجرة والتعليم والأبحاث والتنمية والتدريب والسياسة الاجتماعية- تبقى قومية بالضرورة، حتى لو كانت مقيدة بارتباطات واتفاقيات دولية. كتب روبرتسون (Robertson 1992) عن "أوج الدولة القومية" الذي كان ما بين عامي ١٨٨٠م و ١٩٢٠م، هذه الفترة التي كانت مرتبطة بذروة التحديث الأوروبي. لكن يمكن القول إنه في ذلك الوقت كان معظم سكان العالم لا يعيشون في دول قومية، لكن حدث ذلك فقط في

الفترة الأخيرة من القرن العشرين. مع نهاية الاستعمار الأوروبي، وتفكك الاتحاد السوفيتي. إذ أصبحت الدول القومية وحدة سياسية معترف بها (فالكر 2000 Fulcher). وفي حين كان عدد أعضاء الأمم المتحدة إحدى وخمسين دولة عام ١٩٤٥م، أصبحت الآن مئة وسبعًا وعشرين دولة عام ١٩٧٠، ثم مئة وتسعًا وثمانين بحلول عام ٢٠٠٠م، ومن المفارقة أيضًا أن العولمة أصبحت أيضًا عصر انتشار الدول الإقليمية.

نعود ثانية لمسألة التطورات الاقتصادية التي تخفف من قيود سيطرة الدولة إلى الحد الذي يصعب فيه بعد الآن الحديث عن الاقتصاد "الياباني" والاقتصاد "البريطاني"،... إلخ. يرى فالكر Fulcher أن العولمة قد عززت الدولة القومية، أكثر من أن تضعفها، على الرغم من أن النظام العالمي للتنظيم المالي، قام بتفكيك الاختلافات السياسية القومية، فإنه مازال ذا تأثير على تدفق رؤوس الأموال. يرى بوير (Boyer 1996) أن تدفقات رؤوس الأموال العالمية تأثرت بواسطة نمو عوامل ذاتية قومية، مثل سرعة التغيرات التكنولوجية (التي قامت بهيكلية الاستثمار فيما سبق، والبحث والتطوير، وسياسة التعليم وأنماط الإنتاج المتميزة) وعناصر سوق العمالة مثل معدلات الأجور ومستوى المهارات، بالتوازي مع الاستقرار وطبيعة البيئة السياسية المحلية. يرى ويد (Wade 1996) أن الشركات أساسًا ليست "مطلقة الحرية" لكنها مرتبطة بقواعد جذور الوطن، التي تجعلهم عرضة للضغط من قبل الحكومة المحلية. وفي الواقع أن:

- دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية تعرض نوعيات مختلفة على مستوى نمط قطاعات التكنولوجيا والتخصص.
- معظم الصناعات التكنولوجية تتم في البلد الأم.
- يوجد ارتباط وثيق بين شركات التنمية التكنولوجية والبلدان الأم.

وينهى كلامه، بأن "الحدود القومية" مازالت ترسم النظم الخاصة بالتعليم، والتمويل، وإدارة الشركات والحكومة، وينتج عن ذلك أعراف اجتماعية، ومعايير سلوكية وقوانين، وبالتالي تحدث انتشاراً مؤثراً في مجال التكنولوجيا والأعمال الحرة. (ويد 73: 1996 Wade).

هذا بالإضافة إلى أن الإقليم يظل لب بنية الدولة، رغم أن قضية الهجرة تبرز بشكل أكثر عن غيرها من المشاكل، مما يدل على أن الدولة لم تدبل بعد في عصر الرأسمالية الأخير. (بلج 141: 1997 Billig) لقد أعادت الدولة تكوين نفسها كدولة ذات بنية إشرافية، إزاء الادعاء بأنها "جوفاء" وتكشف عن حقيقة وضعها كحكومة كبيرة ومستمرة. (لوك 2002 Luke). كما تغيرت علاقات السلطة في الدولة من خلال إعادة توزيع الوظائف، الذي لا يعد تقليلاً من سلطة الدولة، بل يعمق ويعزز قبضة الدولة على أوجه التطورات الاجتماعية والحياة اليومية. فالخصخصة، على سبيل المثال، لا تعنى تقليل سلطة الدولة، لكنها تعكس السياسات التي تسهل حركة رأس المال. (لوك 2002 Luke). أحد هذه الأمثلة ما تحدث عنها سيمون (Simon 2005) عن زيادة الرقابة الإشرافية على الناس من خلال تجميع وتخزين المعلومات والبيانات الشخصية لهم. وأصبحت المقاييس الحيوية، أى استخدام الجسد كمقياس للهوية، هى سمة عادية من سمات الحياة اليومية وحالة موضوعية داخل الهويات، بصفتهم مواطنين فى دولة، ذات نظرة تنظيمية تجسدت فى الظواهر الحضارية مثل الدوائر التليفزيونية المغلقة CCTV، لمراقبة الانضباط على الطرق السريعة وصلات الوصول فى المطارات، وتسجيل حركة انتقال المواطنين من مكان إلى آخر ومن منطقة ثقافية إلى أخرى. يقف وراء ذلك إداريون وبيروقراطيون، وعلماء، تتكامل إنجازاتهم لصالح العملية كلها. خلال التعداد السكانى تستخدم الدولة بيانات الرصد، لمعرفة الملامح المختلفة من السكان، وترشيد تنمية السياسات الحكومية، وتنظم الحياة اليومية والتشريعية داخل حدود الدولة الإقليمية

ويصبح المواطن مركز اهتمام الدولة بشكل متزايد من حيث الإشراف من خلال قاعدة البيانات الشخصية. وتنتج عن هذه البيانات الحياتية موضوعات جديدة وسيراً ذاتية، تظل موجودة في ملفات الأرشيف، وتتصف بوجود مستقل عن المواضيع المنضمة وما تمثله من معنى. لكن هذه مجرد مظاهر عولمية، تمثل سلطة الدولة من خلال الإشراف والمراقبة بدلاً من عدم وجودها.

الجهات الفعالية، والسياق العالمي والنتائج

تساند العولمة عناصر توجه سلوكها تجاه مفهوم "العالمية"، بطريقة لا إرادية وتعيد صياغتها. تتماثل التطورات العالمية بشكل مختلف في الأماكن المتباينة، لكن هذه التطورات تأثرت باستجابات محلية واستراتيجيات، تستطيع بدورها أن تغير نمط العولمة. وخير مثال لتوضيح ذلك، تطور الاتحاد الأوروبي كشكل من أشكال العولمة الإقليمية، التي تظهر أيضاً أهمية الاستجابة لعناصرها، حتى لو كانت لها نتائج غير مقصودة. وكما يقول هووجي (Hooghe 2003) إن الاتحاد الأوروبي أصبح ساحة معركة لأنصار العولمة وخصومها. البعض يرى أن الاتحاد الأوروبي يجب أن يكون حصناً ضد الضغوط العالمية، والبعض الآخر يرغب في الإسراع بالخطى لزيادة العالمية، كمعارض للقومية أو الترابط الأوروبي. هناك معارضة واسعة النطاق في أوروبا ضد العولمة - مثل احتجاجات جوسيه بوفيه Jose Bove، وتحطيم منتجات "جنرال موتورز"، والحملة ضد دستور ٢٠٠٥م. إلا أن تقارير القياس الأوروبي التي تتم بانتظام تشير إلى أنه في الوقت ذاته هناك تأييد قوي للاتحاد الأوروبي كوسيلة لحماية مصالحها وتجنب النتائج السلبية. جوردن (Gordon 2004) تتمثل هذه الحماية في شكل اعتمادات هيكلية (مساعدة للأقاليم الفقيرة)، الفصل الخاص بمعاهدة ماستريخت والإنفاق

المرتفع في الاتحاد الأوروبي (بنسبة ٤٨٪ من إجمالي الناتج المحلي) مقارنة بالولايات المتحدة (٣٦٪). وحماية الزراعة التقليدية من خلال السياسة الزراعية العامة. كما أن الاستثمار في الاتحاد الأوروبي في شكله الحالي، هو نتيجة لاستجابة عملاء العولمة، التي أثرت في نفس الوقت على طبيعتها.

ولمواجهة الأزمات الكينزية العالمية، ظهر نموذجان من الاستجابة القومية في الثمانينيات من القرن العشرين. فمن ناحية طالبت الليبرالية الجديدة الأنجلوأمريكية، بتحول عالمي في سياسة عدم التدخل، ومن ناحية أخرى، دعا النموذج الألماني إلى حماية النظم الاقتصادية القومية في الإقليم الأوروبي، رغم توطيد السوق الدولي، وتقوية التكامل السياسي في الاتحاد الأوروبي. (هوجي 2003 Hooghe). فضلت العديد من الشركات المتعددة الجنسية الخيار العالمي لأن فوائد التخصص في التجارة الحرة أكثر بكثير في التعامل مع الشركات الأوروبية وغير الأوروبية، عن التعامل مع أوروبا (ساندهولتز وزيسمان 1989 Sandholtz and Zysman). والذي أصبح الممر الإقليمي المفضل، نتيجة لتقارب العناصر السياسية المتباينة والتعاون المشترك،^(٤) في ذلك السوق العميق المتكامل، على أجندة المفوضية الأوروبية لعدة سنوات وبحلول عام ١٩٨٥م، كانت نصف التشريعات الداخلية، في شكل مسودة كاملة. (هوجي 2003 Hooghe). صدرت دراسات اقتصادية متنوعة، أشارت إلى أن السوق الأوروبية الموحدة سوف تسفر عن زيادة تراكمية بنسبة ٤,٣ إلى ٦,٤٪ من إجمالي الناتج المحلي. في نفس الوقت كانت جولة أورجواي^(٥) قد وصلت إلى طريق مسدود وسط صراعات المصالح بين الأوروبيين والولايات المتحدة حول قضايا، مثل الزراعة وحقوق الملكية الفكرية. وعلى النقيض فإن فكرة التكامل الأوروبي الإقليمي، بدت وكأنها تقدم حلاً معقولة لتنسيق المشاكل، وسيافاً واضحاً للتكامل العالمي (هوجي 2003 Hooghe).

كان عنصر الترابط فى إنجاز هذا الممر واضحاً لطبيعة المؤسسات القائمة من قبل على المستوى الأوروبى ومكنت من تنفيذ الاتفاقيات. برنامج السوق الدولى سبقه تعقيد المفوضية الأوروبية وترسيخ سيادة قانون الاتحاد الأوروبى، من قبل محكمة العدل الدولية. بحلول منتصف الثمانينيات من القرن العشرين كان للشركات فوق وطنية السلطة، لتنفيذ لوائح الاتحاد الأوروبى. (جاريت 1992، وبيرسون 1998)، فى حين كانت هناك شركات عالمية تعادلها، تختص بمراقبة الالتزامات القومية، وتمتلك سلطة أقل من مؤسسات الاتحاد الأوروبى. كما أن منظمة التجارة العالمية WTO كانت أساساً ذات كيان ضعيف لأنها لا تتطلب اعترافاً شرعياً لسيادة الدولة،^(٤) وتستطيع أى دولة عضو أن ترفض الانصياع لقراراتها، رغم أن هناك دولاً صغيرة فى الواقع، أو أكثر تبعية اقتصادية ربما تجد من الصعب ممارسة حق السيادة هذا (هوجى 2003). وفى المقابل، فإن غرامات المفوضية الأوروبية وأحكام محكمة العدل ملزمة لكل الدول صغيرة أو كبيرة.

على أى الأحوال، وإضافة إلى هذا المنطق المؤسسى، فإن أهم الدروس المستفادة من هذه التطورات، أن النتائج فى سياق البنية المؤسسية للدول المتخفية الحدود، غالباً ما لا يكون مقصوداً، بدلاً من أن تقودها تطورات العولمة العنيدة. أحد الأسباب الرئيسية للنجاح السياسى لبرنامج السوق الداخلى، كان غموضه تحديداً الأمر الذى مكنه من أن يبدو مناسباً لكل الأطراف الفاعلة. أما بالنسبة لمجموعات الليبرالية الجديدة، وتحرير الأسواق فقد تحد من التكامل الأوروبى وتحوله إلى مؤسسة اقتصادية تديرها النخب الحكومية. لكن بعض الأحزاب الأخرى، اعتبرت أن القانون الفردى الأوروبى أول خطوة تجاه التنظيم الرأسمالى على المستوى الأوروبى، فى نفس الخط مع الديمقراطية الاجتماعية الأوروبية وتقاليد الديمقراطيين المسيحيين. الاتحاد الاقتصادى النقدى عام ١٩٩١م فى ماستريخت، كان من

المقرر أن يقوم بقاء مماثل حول المصالح المتباينة. لكن الليبراليين الجدد رأوا أن الاتحاد الاقتصادي النقدي EMU بمثابة وسيلة لفصل النشاط الاقتصادي عن التنظيم السياسي، وإجبار الحكومات القومية على المنافسة في مجال الاستثمار من خلال خفض الضرائب، وتحويل العبء الضريبي، من رأسمال متحرك، إلى عوامل إنتاج أقل حركة. لكن المناهضين الليبراليين الجدد، رأوا أن الاتحاد الاقتصادي النقدي، بمثابة تنظيم سياسي عميق على المستوى الأوروبي وأن الحكومات القومية، قد تدفع تجاه إجراءات توزيعية بعض أشكال السياسة المالية الأوروبية. يختتم هوجي (Hooghe 2003) بقوله: "إن مفاهيم الاتحاد الاقتصادي النقدي، لا تقل غموضاً عن مفاهيم برنامج السوق الداخلي، الأمر الذي جعل الاتحاد قادراً على جذب التأييد من اليسار واليمين". وهكذا فإن التنمية حتى لو قامت على تكامل متقارب، فهي عرضة للتحدى والخصومات القضائية، من جانب العناصر السياسية المحلية، ويمكن استيعاب كليهما، كمنتج ومنظم من قبل العولمة.

إعادة تشكيل المجتمع:

ستظل الدول عاملاً فعالاً في مجالات العمل المعقدة، والعواقب غير المقصودة التي تصدر عن المفاهيم العالمية بطريقة انعكاسية. وبدلاً من رؤية "المجتمع" أو السلوك الاجتماعي في الواقع، وقبل إبداء ملاحظات أو اعتراضات اجتماعية (سواء أكان موجوداً داخل الدول القومية أم لا) فلا بد أن ينظر إليها على أنها تشكل سمات خاصة بها من خلال إجراءات حكومية. الدول لا تتحول بالعولمة فقط، ولكن بعناصر نشطة تنتشر طبيعة العولمة. وهناك أيضاً عملاء لهم دور كوسطاء في تأثيرات العولمة، وفي عمليات بإمكانها أن تشارك في إعادة تشكيل المجتمع. إذا كان أحد أدوار الدولة أن تضاعف القدرة التنافسية وربحية رأس المال المحلي، فإن الدولة

سكنون في حاجة إلى معالجة قضايا الترابط الاجتماعي، ورأس المال الاجتماعي، وتثبيت العالمية في مكانها وتأمين المخاطر الخاصة. (ليز 2001 Leys). واعتمادًا على مفاهيم رأس المال الاجتماعي والترابط الاجتماعي، يمكن للمسؤولين في الدولة إعادة تشكيل المجتمع بطريقة تلقائية. هناك قلق ومخاوف بشأن قلة الترابط الاجتماعي حاليًا على الأجندة السياسية في العديد من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية. (جنسون 1998 Jenson) فهو يقول: "الترابط الاجتماعي يتضمن بناء قيم مشتركة ومجتمعات متفاهمة، وتقليل الفروق في الثروة والدخل، وتمكين الناس بشكل عام، بالإحساس بأنهم مشاركون في مشروع واحد." هذه الأجندة (أو جدول الأعمال) تتسم بروؤية متقدمة على وجه التحديد في الرد على الاعتقاد بأن "تماسك المجتمعات قد تأثر بفعل العولمة، والضغط التكنولوجية والديموقراطية"^(٥). مما يدل على أننا بدأنا نفهم على الأقل". (جينسون 1998 Jenson). هذه التطورات ظهرت في أجزاء عديدة من الاتحاد الأوروبي، وكندا في التسعينيات من القرن الماضي، من خلال العودة إلى قوة الأحزاب الاجتماعية الديمقراطية، و"بأجندة واقعية" لإصلاح بعض العواقب الاجتماعية لليبرالية العالمية الجديدة. (خاصة تزايد عدم المساواة) في حين كان هناك اعتراف بعدم إمكان العودة إلى نظام كنزى للرعاية الاجتماعية.

وبشكل ما تعود المناقشات لنفس الاهتمامات التي عبر عنها دوركهيم Durkheim في منتصف القرن التاسع عشر، وعبر عنها أيضًا فرانس France وتالكوت Talcot وبيرسون Parsons، في منتصف القرن العشرين في أمريكا.

في مواجهة الصراع الطبقي والخلل الاجتماعي الذي أحدثته السوق التقليدية الليبرالية، طور دوركهيم Durkheim منهجًا مشابهًا لحركة

(٥) أدراسة الإحصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والزواج... إلخ (المترجم).

التضامن، كما أن بيرسون Parsons، كان أيضاً مدركاً لمحدودية قدرة الرأسمالية في خلق الظروف الملائمة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي. أما الترابط الاجتماعي فتم تعريفه بأنه مجموعة من العمليات الاجتماعية التي تساعد على غرس شعور الانتماء في الأفراد، لنفس المجتمع والشعور بأنهم معترف بهم كأعضاء في نفس المجتمع. (خطة- معاهدة الكوميسا ١٩٩٧م). عالجت أجندة الترابط الاجتماعي بشكل مباشر التفكير الاجتماعي اندي يُعد من نتائج العولمة، وإعادة هيكلة الليبرالية الجديدة، ومن المفارقة أيضاً، سعت بعض الهيئات تحديداً مثل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، لتطبيق سياسات ليبرالية جديدة. في عام (١٩٩٧م) حددت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مجموعة من المشكلات الاجتماعية داخل الدول، التي نتجت عن إعادة هيكلة الليبرالية الجديدة العالمية. تضمنت الخوف من التدهور الاجتماعي وعدم الاستقرار وتزايد اللامساواة، والتشرد. وارتفاع معدل الجريمة وسياسة عدم انتساح والإقصاء.

القضية المهمة هنا، هي أن أجندة الترابط الاجتماعي، مشروع دولة تعتمد على الحفاظ على شرعية المؤسسات العامة، التي تعمل وسيطا، لإيجاد مسافات بينها حتى يتبدى ذلك. (جينسون 1998 Jensen).

يرى كل من كيمليكا ونورمان (Kymlicka and Norman 1995) أن استقرار الديمقراطيات الحديثة، (في الدول) لا تعتمد فقط على بنيتها الأساسية، بل أيضاً على قدرة الناس في التعامل مع الأشكال التنافسية القومية، والإقليمية، والعرقية وهويتها الدينية- وهي قدرات قوضتها السياسات الليبرالية الجديدة من خلال إضعاف روابط الانتماء. منذ التسعينيات من القرن العشرين ظهرت حركات قومية لتنمية مفهوم الاقتصاد الاجتماعي، ومعالجة "الإقصاء الاجتماعي" من خلال مبادرات حكومية وغير حكومية. الاقتصاد الاجتماعي يتطلب استدعاء الروابط التعاونية المتبادلة القائمة على مبادئ تقديم الخدمات للمجتمع، وقرار ديمقراطي يفوض السلطة

للمجتمعات (ليبيتز 2000 Lipietz). لكن هذه الاقتصاديات التبادلية، رغم ارتكازها في مبادرات المجتمع، فإنها تتطلب دعم ومشاركة الدولة على نطاق واسع لتيسر إعادة التجارة المحلية، وتجديد وبناء البيئة، وأماكن ثقافية للشباب، ووسائل انتقال للأماكن المجاورة، وخدمات محلية مثل دور الحضانة، وجلب حرفيين... إلخ. (جارمادي 2000 Garmadi).

ربما تزيد نتائج العولمة من مطالبة الحكومات لتوفير خدمات الرعاية الاجتماعية، بسبب الخلل الاقتصادي. وفي حين تدير الحكومات المخاطر الاجتماعية دون تحملها - تقوم بتوزيع المخاطر بين الأفراد والأسواق والدول، على حين تقوم هي بتمتية قرارات الاستثمار الاجتماعي وموازنة الاستراتيجيات التجارية. (ميتشل 2000 Mitchell). هذه الاستراتيجيات بدورها تتطلب مشروعية المؤسسات الحكومية، في إطار ثقافة قومية ورأى عام. بمعنى آخر، تستلزم نجاحاً نسبياً مترسخاً للدولة على نطاق واسع مرتبطاً بالمجتمع القومي.

في الثمانينيات من القرن العشرين، كتب سكيول Skocpol عام (١٩٨٥م) عن زيادة الاهتمام داخل الدولة بالعلوم الاجتماعية بعد فترة من الإهمال وشيء مشابه، يبدو أنه يحدث اليوم حول قضايا الدولة والعولمة، خاصة فيما يتعلق بدور الدولة في تطورات العولمة. وبغض النظر عن وصفها بالجوفاء أو أنها انحدرت إلى درجة متخلفة بين المجتمعات المتكاملة عالمياً، فإن الدولة يكون لها موقف حاسم سواء كانت عميلاً للعولمة أو إعادة تنظيم سياسة الفشل الذي حاق بإعادة هيكلة الليبرالية الجديدة. الدور السابق اتضح، على سبيل المثال، في دور الدولة في الخصخصة، (وهي شروط ضرورية لتدفقات رأس المال العالمي) والسيطرة على الحدود (تنظيم وتسهيل تدفقات الهجرة)، والقرارات الاستراتيجية، والدخول في معاهدات (السماح بالتكامل السياسي وحق الدولة ذات السيادة في التشريع) وإنشاء نظام رقابي (ضروري للتدفقات الاستثمارية) وكسب التأييد السياسي لأشكال الرعاية الاجتماعية. (زيادة التنافسية والتقارب).

ليس ذلك فقط لكن مسئولى الدولة يحاولون جاهدين إعادة تشكيل علم "الاجتماع" فى قالب جديد من السلوك الاجتماعى الحكومى، انعكاساً لخلاصة المناقشات التى تمت فى الجزء السابق. من أمثلة ذلك، عندما تم إعادة تنظيم فشل تأثير الليبرالية الجديدة، نراه فى رد الحكومة البريطانية تجاه أحداث العنف التى حدثت فى مدن شمال إنجلترا عام ٢٠٠١م وما ترتب على ذلك. خلال ربيع وصيف عام ٢٠٠١م، كانت هناك صراعات عنيفة بين شباب آسيا الجنوبية ونظرانهم البيض (غالباً) فى برادفورد (فى أبريل ويوليو) وفى بيرنلى (فى يونيو) وأولدهام (فى مايو). كان هناك أكثر من ١٥٠٠ حادث عنف وشغب، جرح فيها ٤٧٦ شخصاً، وناهيك عن خسائر قدرت بـ ١٠ ملايين جنيه إسترليني. (بيان وزارة الداخلية البريطانية ٢٠٠٢م). كانت الخلفية معقدة (انظر راي وسميث ٢٠٠٤ Ray and Smith) لكن الصراعات كانت تتعلق بأشكال مختلفة بنتائج إعادة الهيكلة العالمية. خلال فترة الستينيات من القرن العشرين كانت المدن التى حدثت فيها التظاهرات، مثل "أولدهام" و"روشديل"، قامت بالاستثمار فى اتكنولوجيات الجديدة، التى كانت تعمل طول أربع وعشرين ساعة، لمضاعفة الأرباح. الثروات النيلية التى لم تكن شائعة بين أفراد القوى العاملة، أصبحت الآن ملمحاً أساسياً فى عمل الباكستانيين والبنجلاديشيين. كان لإعادة الهيكلة العالمية فى الثمانينيات من القرن العشرين آثار درامية فيما بعد على هذه المدن الصناعية. منذ أن أحدث انهيار قاعدة الصناعات الإقليمية، مستويات مرتفعة من عدم المساواة الاجتماعية، والبطالة، وعززت الفروق العرقية. أحد أهم الملامح الواضحة لهذه المناطق وبدرجة عالية هى الفصل السكانى والتقسيم العميق للمجتمعات على أسس عرقية وعمرية وخطوط دينية. الكسر الذى حدث فى الصف الطبقي والشبكات الاجتماعية، كان من أهم الملامح العامة لهذه التغيرات، بالإضافة إلى عولمة الثقافات، وكذلك القيود الاقتصادية، وتحول البيئة المحلية بطرق، نتج عنها بلورة هويات متعارضة بين شباب البيض والآسيويين.

فى أعقاب الصراعات بدأت الحكومة البريطانية سلسلة واسعة النطاق من التشريعات، بقصد تقليل الصراعات المجتمعية وبناء ترابط اجتماعى، ففرضت عقوبات قضائية مشددة ضد الجريمة والفوضى. أحد هذه التشريعات على سبيل المثال، للحد من الجريمة وتنفيذها - وكذلك الفوضى والمشاركة فيها، قامت بها السلطات المحلية والشرطة وجماعات أخرى مثل ، جماعة رعاية الثقة الأولية، والمراقبة وفرق الإطفاء. كما يسمح التشريع الحديث للعدالة، بإصدار أوامر بمقاضاة أى فرد، استجابة لشكاوى ضده، بالقيام بسلوك غير اجتماعى حتى لو لم يكن ارتكب جريمة. وهذه سلسلة من التشريعات المحلية:

- إعادة تجديد الجوار، وهى استراتيجية من قبل الحكومة البريطانية تهدف إلى معالجة الفصل الاجتماعى فى مناطق تعاني من الحرمان الاجتماعى. وتهدف أيضا إلى تشجيع الازدهار الاقتصادى، وأمن المجتمعات، وجودة التعليم، والإسكان والصحة الجيدة، وتشجع المجتمعات لكى تكون موجودة فى قلب عمليات اتخاذ القرار.

- الترابط المجتمعي، الذى بادرت به وحدة الترابط المجتمعي بوزارة الداخلية، التى ترصد اعتمادا مالياً لعدد من رواد المجتمع لضرب المثال على كيفية تحقيق فكرة الترابط.

- التجديد المدنى - مبادرة الحكومة البريطانية، التى تهدف إلى تعزيز التجديد الاجتماعى عن طريق تقوية المجتمعات التى يعمل فيها الناس سوياً، لإيجاد حلول للمشاكل، من خلال المشاركة فى الاجتماعات العامة لتلبية الاحتياجات.

- التحدى لتصرفات المجرمين، مثل التصدى للبلطجة، من خلال إجراءات منع البلطجة وعدم الاستجابة لها، وتحسين الإشراف على الملاعب، وتشجيع الضحايا للإبلاغ عن الحوادث. ويجب على المدارس أن

تقدم تقارير للسلطة المحلية للإبلاغ عن أى حوادث عنصرية. مع متابعة من خلال خطة لمعرفة الخطوات التى تم اتخاذها لمنع تكرار ذلك.

- منع الجريمة (أى خفض معدل الجريمة، والسلوك غير الاجتماعى، والخوف من الجريمة) من خلال تحسين البيئة- ومعالجة القمامة والكتابة على الجدران، والعمل على المستوى العام لإصلاح الممتلكات والمناطق العامة.

هذه المبادرات وأخرى غيرها "للترباط الاجتماعى" تحاول بوضوح إعادة تشكيل المجتمع- لخلق رأس مال اجتماعى وترباط مجتمعى- الذى يبدو وكأنه قد تم تقويضه بواسطة الاقتصاديات العالمية لليبرالية الجديدة. وهذا فى حد ذاته استراتيجية عالمية، وشكل من الحكومات تركز على رؤية "الطريق الثالث" التى تقرر أن الاشتراكية غير قادرة على تحقيق نمو اقتصادى على حين دمرت الليبرالية الجديدة الترباط الاجتماعى. وهى أيضاً تجسد وصف هابرماس Habermas، بأنها تمارس حق السلطة فى سن القوانين والتشريعات. 'وتستطيع من خلال تلك التشريعات القانونية الرسمية أن تزيد من تنظيم التكامل الاجتماعى، الذى بُعد تدخل فى نظام الحياة (هابرماس 1996 Habermas). وهكذا فإن الاستراتيجيات الحكومية الجديدة، لإعادة تشكيل المجتمع بطرق تعلن عن قوة ونفوذ الدولة، دون أن تستطلع المفاهيم التقليدية للدولة- والمجتمع التى انشطرت. الأشكال الجديدة لإدارة السلوك الاجتماعى وحركة المجتمع تشكلت بواسطة هيئة الرقابة التنظيمية للدولة، من خلال الاستجابة لنتائج إعادة هيكلة الاقتصاد العالمى.

هذا بالإضافة إلى أن زيادة تنظيم الدولة، يمكن أن يفرز أشكالاً جديدة من السلوك الاجتماعى وموضوعات اجتماعية، وتثالة تأثيرات من العولمة. والعلاقة بين سياسة الاغتراب، والسيطرة على الحدود توضح ذلك. فكل الدول انامية شددت الإجراءات الأمنية على الحدود. كرد فعل للهجرات

العالمية الجديدة، والتصاعد العالمي ضد سياسات الهجرة، منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، والمخاوف الأمنية المحتملة. الأشكال الجديدة من السلوك الاجتماعى، تبلورت فى مناطق "مفترق الطرق" بين الحدود، نظراً للضوابط التنظيمية. يقول بورتس (Portes 1997): (ماذا فعل الناس إزاء استجاباتهم لتطورات العولمة، هل مجرد خلق مجتمعات تفرد ساقاها بين الحدود، أم هى فى واقع الأمر، "لا هى هنا ولا هناك" لكنها فى كلا المكانين فى وقت واحد) ويمكن أن نضيف أن الأنشطة الاقتصادية التى تدعم هذه المجتمعات تتركز على وجه التحديد على المزايا المختلفة التى أوجدتها حدود الدولة، بالإضافة إلى أن هناك علاقات تكافلية بين نظم الرقابة والتحرك العالمى. ما دامت الحدود مراقبة بشكل جيد، والهجرة أكثر تنظيمًا، خاصة بالنسبة للمهاجرين الذين لا يملكون وثائق رسمية. والذين يجبرون بشكل كبير على الارتباط بشبكات عمل محلية تعرف الكثير عنهم. فى نفس الوقت، نجد أنه كلما أصبحت الحدود أكثر تشددًا، زادت المخاطرة فى تهريب الناس؛ وبالتالي يصبح الاتجار بالتهريب تجارة أكثر ربحية وتنافسية. ويخلص أوبوكاتا 2001 Obokata إلى: "أن زيادة الرقابة والتشديد على المهاجرين، هى من أحد أسباب تجارة التهريب... فقوانين الهجرة الصارمة والسياسات المشددة هى السبب فى هذا الوضع" ونتيجة لذلك فإن من يريد الهجرة يقع فى دائرة شبكات جنائية عالمية، ونقل المعرفة خلال المجتمعات عبر الوطنية، والمبادلات غير الرسمية للسوق.

ترى ساسن (Sassen 1996b) أن الهجرة أعادت تأميم السياسات فى نفس الوقت الذى يتم فيه خصخصة التكامل الاقتصادى. حدود الدولة تقع فى قلب الجهود التنظيمية، لكن سيكون لذلك تبعات غير مقصودة. فهى تستشهد بدعم سعر السكر الأمريكى فى الثمانينيات من القرن العشرين، حيث دفع مسدود الضرائب ٣ مليارات سنوياً لدعم سعر السكر للمنتجين الأمريكيين. وهذا جعل دول الكاريبى خارج المنافسة، ونتج عنه فقدان أربعمئة ألف وظيفة

هناك فيما بين عامي ١٩٨٢م و١٩٨٨م. وكما هو متوقع، فقد شهدت فترة الثمانينيات من القرن العشرين زيادة كبيرة في الهجرة إلى الولايات المتحدة من هذه المنطقة. (ساسن 1996b: 78-9) وفى الواقع، فقد كان لتطورات العولمة أثر كبير على الهجرة. فالضغوط التنافسية من ناحية، وتفضيل المنتجات البعيدة عن الشاطئ، والاستثمار الأجنبي المباشر (FDI) المرتبط بالتصدير - أدى إلى زيادة النمو وتفضيل الأجور المنخفضة، كنوع من المعارضة للعمال النقابيين فى الوطن. فتقدم هؤلاء العمال النقابيون بطلب احتجاج بالنسبة للأجور المنخفضة، للعمال المهاجرين، بينما الإنتاج المؤسسى لعبور البحار يزيد من الروابط الثقافية بين الدول المتحضرة والنامية؛ الذى يزيد بدوره الهجرة الموثقة وغير الموثقة.

تشكيل شبكات الاتصال عبر الدول الوطنية، عادة ما تقع فى وضع معقد يؤدى إلى تبعات غير مقصودة فى استراتيجيات الدولة. المهاجرون دائماً ما يسعون للتضامن، واللجوء إلى ملاذ مجتمعات تشاركهم نفس اللغة والهوية. وعلى عكس مفهوم "بك" Beck عن المظهر السطحي للكونزيرفاتيكية، فإن هاننرز Hannerz، يشير إلى أن هؤلاء المتحضرين لديهم القدرة على خوض تجربة دون اقتلاع الذات من جذورها، على حين يشعر المهاجرون اللاجئون والمنفيون بشكل حاد جداً بالتفكك والتشرد إزاء أى تجربة. (هاننرز 1990 Hannerz). من أهم الأسباب المتكررة لاختيار المهاجرين لمكان إقامتهم ما نقله إليهم المهاجرون السابقون العائدون، من أفكار وحكايات عن فرص العمل من خلال الوكلاء، (باباسترجياديس 2000 Papastergiadis). شبكات العمل هذه تخلق سلسلة من التأثيرات تمتد من بلاد بعيدة لتجد صداها فى المحليات والقرى والعائلات. وهذا يؤكد أهمية شبكات ترتبط بهم، شبكات فعالة للهوية والسلوك الاجتماعى، والتواصل معهم وجها لوجه تدعم وتعزز الشبكات العالمية. فى إنجلترا يتركز المهاجرون فى لندن، بسبب حجم سوق العمالة، والطلب المستمر على الأيدي العاملة، ويتواصلون مع الآخرين بواسطة شبكات أخرى، تتضمن شبكات

للمهاجرين غير الموثقين، تقدم لهم فرص العمل، والوثائق المزورة، والإقامة... إلخ. (جلوفر وآخرون 2001 Glover et al). من خلال هذه التفاعلات فإن المعرفة المحلية أمر حاسم - مثل "حائط المبكى"، أو النافذة الجانبية التي تعمل كوكيل صحفى، تعلن عن الوظائف بمختلف اللغات. (جيني 2001 Gibney). الهجرة (خاصة اللجوء السياسي) الذى يتطلب حركة معاصرة، لكنه أيضا متضمن فى تلك الشبكات والبنية التضامنية من خلال العلاقات المتداخلة بين الدول والاقتصاديات.

هناك أربع نتائج لهذه المناقشة. أولاً، أن دور الدولة وبنيتها قد تحول من خلال العولمة. ثانياً، وبأى حال من الأحوال، تظل الدولة برغم ذلك تقوم بدور تنظيمى حاسم، (وفى بعض الأحيان تقوم بتعزيز) دورها فى العلاقة مع التطورات العالمية. ثالثاً، بدلاً من أن يكون مفهوم علم الاجتماع زائداً عن الحاجة أو إضافياً، فهو يتشكل من تأثير التداخلات العالمية/ المحلية واستراتيجية الدولة. لإدارة عواقب سياسة العولمة الليبرالية الجديدة. وتقوم الدولة بتنظيم مواقف جديدة من التداخلات التنظيمية بوسائل مقصودة أو غير مقصودة على حد سواء. رابعاً، ولكي ندرك كيفية إنجاز السلوك الاجتماعى العالمى، فنحن نحتاج لفهم تفصيلى للمواجهة وجهاً لوجه، أو على الأقل روابط شخصية تتواصل عبر الفضاء.

الكوزموبوليتانية فى مواجهة المجتمع القومى

الدولة الإقنيمية أصبحت فى كثير من حالاتها دولة عالمية متعددة الجنسيات كتب بك Beck عنها:

"إن التفوق الذى تحقق للحدود المحيطة بالمواقع القومية ... (إلى هذا الحد) ... يجعل من الواضح أنه لا يمكن للمجتمع فى الحداثة الثانية، أن يظل قيد المفاهيم وفئات الدولة القومية، بل يجب أن يتم تطوير منظور جديد للمدينة العالمية لهذه المهمة." (بك ولايو 2005 Beck and Lau)

المجتمع الكوزموبوليتاني (العالمي) يجعل ما يخص الآخرين أمراً مختلفاً خاصة عند التفاوض، على عكس التجارب الثقافية، في مركز الأنشطة. فمع استخدام صيغة الجمع للحدود، هناك إنجاز للثنائية بين القومي والدولي، مما يشير تجاه الحاجة لحوكمة عالمية ومفاهيم عالمية داخل المواقع الجديدة للعالمية (بك 2002b) فالقومية لم تعد قومية، بل استيعاب عالمي للمحليات، بمعنى آخر، إن التداخل بين المحلية والعالمية والانصهار بين المكان والعالمية، يعني أن المحلية والأماكن القومية هي ببساطة مواقع امتزجت فيها العالمية وعبر الوطنية. التطورات التي حدثت داخل الحدود القومية تم تطويرها الآن عالمياً- لذا فإن الإنتاج قد تأثر (إلى حد ما من ناحية الطلب بالتأكيد) بسبب الاحتمالات العالمية والتنافس، ومفهوم الطبقة الاجتماعية "الذي أخفى ضعف طبقة الدولة القومية". خاصة ونحن نمارس كل يوم صدام الثقافات، يشترك فيها العالم بأسره بشكل جماعي مستقبلي، وتزايد المسؤولية عن "مخاطر مجتمع عالمي"، والانعكاس اللاإرادي تجاه هويات عالمية متباينة متشابكة. (بك 2002b).

ودعماً لمفهوم المجتمع العالمي فقد اختار بك Beck نظريات ليفي Levy وزنايدر Sznajder (٢٠٠٢) عن الذاكرة العالمية للثقافات. وسوف أبحث هذا الموضوع، من أجل تسليط الضوء على بعض الصعوبات في براهين بك Beck. يرى كل من ليفي Levy وزنايدر Sznajder أن العولمة، وخاصة وإن ظهور الهوية الأوروبية المشتركة أدت إلى توليد شكل جديد من الذاكرة (الذاكرة العالمية) التي تجاوزت الحدود القومية. ويرى كل منهما أيضاً أن أوروبا لم تعد مقسمة بسبب الحرب الباردة، وتحررت من القومية القائمة على البعد التاريخي والحكايات الأخلاقية، وأصبح اليولوكوست^(٥) هو المحك الأخلاقي الشائع كرمز للشر والعنصرية والإبادة الجماعية، خلال تطورات الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، ليس بقصد الدلالة على إبادة يهود

(٥) محرقة يهود أوروبا من قبل النازيين. (المترجم).

أوروبا، بل أصبح رمزاً للتضامن مع الدول عبر الوطنية واكتسب صفة شرعية استناداً إلى نقطة مرجعية لقيمة أخلاقية لا جدال فيها. هذا الوضع بالنسبة للهولوكوست في الدول المتخطية الحدود، تم بثه عبر وسائل الإعلام (بمسلسل الهولوكوست التلفزيوني في السبعينيات من القرن الماضي، ومسلسل قائمة شندلر) والاحتفال بذكرائها، من خلال متحف الهولوكوست في واشنطن، ويوم ٢٧ يناير باعتباره يوم الهولوكوست. بهذه الطريقة احتل الهولوكوست وضعاً في الذاكرة العالمية، بأنه يوم ذكرى (المعاناة) التي لا يمكن أن تتكرر، إلا أنه حدث من خلال صراعات معاصرة مثل الصراعات في يوغوسلافيا السابقة- مثل حملة الناتو (معاهدة حلف شمال الأطلسي) للتدخل في البوسنة وكوسوفو، تضمنت صوراً لمعسكرات الموت استحضرت صورة النازيين تجاد الصربيين. وهكذا أصبح الهولوكوست رسمياً بعد الحرب الباردة، جزءاً من الذاكرة الأوروبية، ولحظة تأسيس جديد لفكرة الحضارة الأوروبية. (نيفي وزنايدر 2002 Levy and Sznajder).

أصبح الهولوكوست رمزاً للمعاناة والإبادة الجماعية، والمعسكر النازي للموت (أوشفيتس Auschwitz) بصفة خاصة يجسد بشاعة الحدث وقدرته الإنسانية على أن تصبح لا إنسانية. وعلى أي حال، فمن خلال دراسة الاختلافات حول الأوشفيتس والأسانيب، التي أصبحت شيئاً مفسداً داخل روايات الذاكرة القومية والدولية والمبررات، فقد كشفت الدراسة عن تعقيد التفاعل بين التطورات العالمية والقومية.

ومن الواضح أنه لم يتم تجاوز القومية في هذه التطورات لكنها بالأحرى ارتبطت بجذور ذات معنى وذكرى. أصبح المعسكر موضع تنافس بلاغى تنافسي للملكية. (كابراسكى 2001 Kapralski). أولاً، يجب ملاحظة أنه في عام ١٩٤٧م قرر البرلمان البولندي أن معسكر أوشفيتس، "سيظل إلى الأبد تذكيراً لشهداء الدولة البولندية وأناس آخرين"، وسيكون موقعاً دولياً لإحياء ذكرى ضحايا الفاشية. وفي واقع الأمر، وللمزيد عن فترة الحكم الشيوعي

فى بولندا (١٩٤٨ - ١٩٨٩م) فإن متحف المعسكر لم يقر أو يعترف بأن مليوناً من مجموع مليون وواحد من عشرة من القتلى الذين كانوا فى معسكر أوشفيتس كانوا من اليهود^(٦). لكن مع استرخاء السيطرة العقائدية على الذكرى التاريخية، أكد معاناة اليهود بصفة خاصة فى الإطار الدولى لهذا الأمر. ثانياً، وبالنسبة للبولنديين، فإن "كابراسكى Kapralski" يرى أن معسكر أوشفيتس يرمز للمأساة البولندية خلال الحرب العالمية الثانية، التى كانت تاريخاً مكثفاً للمحاولات الألمانية لفرض التبعية وتدمير الدولة البولندية نهائياً. أنكر دعاة القومية البولندية وجود فرصة للتعبير عن هويتهم القومية بحرية خارج نطاق قنوات الدولة، وأعادوا تعريف الهوية عبر ذكرى أوشفيتس، كمكان "بولندى" فقط ورمز دينى وقومى. وصلت هذه الصراعات إلى قمة ذروتها مع بداية التسعينيات من القرن الماضى من خلال النزاع الذى نشب حول قيام راهبات كارمليت Carmelite، بتخصيص مكان لبناء دير داخل المعسكر وغرسنا فيه أكثر من ١٠٠ صليب (میزتال Misztal 2003: 121-2). أسفر ذلك عن نزاع دام خمسة أعوام وسط اتهامات بتتصير الأوشفيتس، وانتهى الصراع عندما تم نقل الدير خارج نطاق المعسكر، فيما عدا صليب خشبى ضخيم كان قد غرس أثناء احتدام انصراف عام ١٩٨٩م سمح ببقائه فى المعسكر. (كلين Klein 2001)^(٧). ورغم ذلك، استمرت صراعات الملكية (القومية لرمز المعسكر. فى عام ٢٠٠٦م، طلبت الحكومة البولندية من اليونسكو، إعادة تسمية موقع المعسكر ليصبح "المعتقل الألمانى النازى سابقاً، أو أوشفيتس - بيركيناو"، تبع ذلك تصريحات من البرلمان الأوروبى والصحافة البريطانية عام ٢٠٠٥م، الموافق للذكرى الستين لتحرير المعسكر) تشير إلى "المعسكرات البولندية" مما أثار الاستياء العام فى بولندا. ليس ذلك فقط، لكن متحف أوشفيتس الأول تم تصميمه بشكل قومى، بعروض منفصلة فى الثكنات العسكرية السابقة إحياء لذكرى معاناة مختلف الجنسيات - وأحد الأقسام الجديدة الكبيرة، خصص للمقاومة البولندية ضد الاحتلال الألمانى.

وهكذا تتصارع الذاكرة العالمية مع الحكايات المتعددة حول امتلاك رمز الهولوكوست. ويمكن أن يتضح ذلك عندما نلاحظ ازدياد المواقع اليهودية لإحياء الذكرى عبر أوروبا. التعويضات والذاكرة أصبحتا شيئاً رئيسياً لسياسات ما بعد الشيوعية، والحركات المزدوجة تجاه القومية والهويات الأوروبية. يتضح ذلك من خلال إعادة إنشاء "الأحياء اليهودية" مثلما في "كازميرز (كراكاو) Kazimierz (Krakow) وسبانداور فورستادت (برلين) Spandauer Vorstadt (Berlin) وجوزيفوف (برا Prague) Josefov. سجل معهد بحوث السياسات اليهودية في إنجلترا أحداثاً ثقافية في عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠١م، في دول ذات كثافة يهودية قليلة - إيطاليا، السويد، بلجيكا وبولندا، وأحصى أكثر من ٤٥٠ حدثاً فردياً، و ٢٨٠ حدثاً آخر كانت جزءاً من احتفالات، منها ٢٧ في بولندا (شيشاو وبرنشتاين Schischa and Berenstein 2002). إعادة تقييم الماضي عملية مستمرة ولها تأثير على بناء الأماكن، لكن طبيعة تنافس سياسات الذاكرة السياسية تفسر أيضاً ضعف الروايات القومية والتوصل إلى تفاهم مع الماضي الذي هو تطورات متعددة الطبقات. هذه النزاعات ليست أولية فيما يتعلق بوجود يهود الحاضر عضوياً (وعددهم قليل جداً) بل حول السبل التي تتمكن الدول الأوروبية من خلالها دمج الذاكرة اليهودية والتاريخ والهولوكوست داخل إدراك واحد لتاريخهم القومي. (بينتو 1996 Pinto). هذه الذكريات وهذه النصب التذكارية المتعددة تدل إلى حد ما على إعادة دمج الشعب اليهودي المحلي (غائباً) من ناحية التراث القومي - وبالتالي فإن هذه المبالغة في التكريم قد تؤدي إلى دمار الدولة كلها. أن إعادة إحياء اليهود في الأماكن الحضرية مرتبط أيضاً بنمو السياحة وتقديم الثقافة القومية على أنها (شيء غريب) ومتعددة الثقافات. ومن الممكن أن يُعد ذلك بديلاً من قبل ألمانيا للتعبير عن شعورها بالأسى (رملر 1997 Remmler) فوجدت مرجعية مشتركة في المحرقة كرمز للفقدان والمعاناة. وفي الوقت ذاته يمكن للثقافة اليهودية أن ترمز "للأيام الخوالي الطيبة" للحياة في فترة ما

قبل الشيوعية التي تجلت من خلال الحنين إلى الماضي وتجسدت في عرض مسرحي "عازف الكمان فوق السطح". أخيراً، وبدلاً من أن تصبح ذاكرة عالمية لأوروبا، فهناك مخاطرة بالتهوين من شأن الماضي، بإقحامه بقوة في عدسة الحاضر. (تودوروف 2003: 161). ربما تكون إعادة سن تشريع للاحتفال بإحياء الذكرى، تراجعاً عن الحاضر، الذي يعتمد فيه على مقاتل شجاع من الماضي، لكنه لا يجازف بمواجهة مخاطر الحاضر. (تودوروف 2003: 175).

لا بد إذن أن يكون هناك حوار حاسم بين العالمية والأشكال القومية للذاكرة، والهوية، التي سوف تحل بطرق وأزمنة مختلفة. وهذا يعيدنا إلى قضية الدستورية الوطنية، التي ذكرت في بداية الفصل. هناك موضوع متكامل في علم الاجتماع، يتبدى بطرق مختلفة عند دوركايم Durkheim وويبر Weber، مفاده أن المجتمعات المتعددة العضوية، استناداً إلى القيم الثقافية المتنوعة والتخصصات المهنية، سوف تطور أشكالاً من التكامل المتزايد بشكل رسمي وحقوق الفرد. ويرى دوركايم Durkheim أن ذلك يتطلب التزاماً شبه مقدس لقيمة حقوق الإنسان، التي إذا دُنت (مثلاً حدث في قضية دريفوس Dreyfus) "التي بعثت فينا شعوراً بالفزع، يماثل ذلك الشعور الذي ينتاب المؤمن عندما يرى قدسية معبوده تنتهك". (دوركايم 1969). أما ويبر Weber فلم يكن راضياً إلى حد كبير عن الأشكال الجديدة للتكامل التي كانت تتجه لاتساع الدور الرسمي لترشيدي والإجراءات العالمية التي أصبحت القاعدة التالية، وأغفلت عينا لخصائص معينة للأفراد. مفاهيم بك Beck عن الديمقراطية العالمية، ومفاهيم هابرماس Habermas عن الدستورية الوطنية، هي صدى لهذه التقاليد بشكل ما. مفهوم هابرماس Habermas عن ما بعد أشكال التضامن القومي ترتكز على نظريته "أهلية التواصل" في حين أن البيروقراطية والرأسمانية تقومان على التفاعلية والترشيدي، اللذين يسلطان الضوء على الكفاءة والنتائج، الحياة هي مكان للترشيدي التواصل، التي يركز على المتطلبات الأساسية لتوفير الإجراءات

الاضطرارية. الحقوق ذات طابع شخصي وتقوم على الاعتراف المتبادل للتعاون الشخصي الاعتباري. ومن ثم يربط هابرماس (Habermas 2001: 74) الحقوق الفردية بمفهوم الاستقلال الذاتي للفرد ويركز بشكل خاص على الصلة الحيوية بين الديمقراطية وسيادة الشعب والدولة والدستورية. الوطنية الدستورية تفترض نموذجًا ما بعد الشكل القومي للتضامن، يستطيع المواطنون من خلالها التلاحم سويًا عن طريق الإجراءات الديمقراطية ذاتها. غير أنه يوضح أن المبادئ الدستورية وحدها لا تكفي لتحقيق هوية مدنية متماسكة. بل على العكس، فمن أجل أن يختبروا أنفسهم كأعضاء مشاركين في مجتمع معين فهم بصفة خاصة في حاجة إلى مفاهيم ثقافية-عرقية، وقيم، للتعريف بالهوية "السياسية- المحلية"، داخل المجتمعات التعددية. (هابرماس 2001: 74) وعلى أي حال فإن الوطنية الدستورية "محايدة" إزاء القيم الخاصة، التي تهيمن على الهويات انجماعية. وفي حين يجيب ذلك بطريقة ما على النقاد الذين يعتبرون الدستورية عالمية للغاية، وغير كافية "في اعتقادهم" لإحداث تضامن اجتماعي، (انظر المناقشة لدى كُم (Kumm 2005)، وتترك مشكلة أخرى بلا حل. الحيادية تقوم بدورها مادام الكل وبصفة خاصة الثقافة العرقية والجماعات الدينية، تتقبل المبادئ الليبرالية، لكنها تواجه مشكلات عندما تواجه هذه القيم صعوبات - مثلما حدث على سبيل إزاء الرسوم الكاريكاتيرية عام ٢٠٠٥م في الدانمرك، عندما نشرت صحيفة جيلاندز-بوسطن Jyllands-Posten الصور المسيئة للنبي محمد، التي قوبلت باحتجاجات عنيفة نظمها الجماعات الإسلامية في كل أرجاء العالم. وبداهة يمكن إيجاد وسيلة لحل هذا التوتر، وربما يكون هيوارد (Hayward 2004) على حق في قوله: "التوتر بين المبادئ الديمقراطية والمثل المدنية، توتر مزمن. إلا أنه... يمكن أن يكون نتاج نزاع ديمقراطي". ما يهدف هذا النقاش إلى تحقيقه، رغم وجود أشكال ما بعد القومية للتكامل الاجتماعي، تعمل على كل المستويات الإقليمية وما فوق الإقليمية، ولا تستطيع إحداها منع الأخرى، ولا تأخذ ميزة تحليلية عن الأخرى.

خاتمة

يكتب العديد من علماء الاجتماع ومن ضمنهم بك Beck، وباومان Bauman، وجيدنز Giddens، عن نهاية "النظرية الحاوية للمجتمع" وهو زعم قائم بشكل كبير على افتراض نهاية الدولة القومية. يشير بك Beck إلى القومية بأنها (مفهوم غيبي) مستمد من علم اجتماع القرن التاسع عشر، الذي مات، لكنه لا يزال على قيد الحياة، رغم أنه فقد كل معانيه في عصر العولمة. لقد تناول هذا الفصل وجهات نظر مختلفة. وتطرق النقاش إلى أن الدولة القومية، تمتلك من الأسس الاجتماعية الكثير والفكرة على إدارة التعقيدات والتضامن الاجتماعي. السلوك الاجتماعي العالمي مستويات متعددة من العمل المتكامل، وينبغي أن نكون على يقين - أنه مثل غيره من العلاقات الاجتماعية المعقدة - ومن الممكن أن يؤدي إلى توترات. يستطيع الناس التعامل مع هويات متعددة، ونقاط مرجعية - ويمكنهم الشراء في تعاقب سريع من الأسواق المحلية، والتعاقد على صفقات البضائع عبر الإنترنت، ويعقدون اجتماعات لجماعات الضغط المحلي المهمة بقضايا البيئة للتخلص من النفايات، ويدلون بأصواتهم في الانتخابات القومية ويتابعون أخبار مباريات كرة القدم المحلية والقومية. ويثرثرون مع الجيران، ويبحثون برسائل فورية لأصدقاء على بعد آلاف الأميال. كما أنهم يستطيعون التعامل مع الهويات المهجنة المتداخلة تاريخياً وقومياً، والأنساب العالمية - مثل الأفريقي الأمريكي، والأمريكي الآسيوي، والبريطاني الآسيوي، والصيني البريطاني، والبريطاني اليهودي، والمسيحي العربي... إلخ. إلا أنه في بعض الأحيان قد ينبعث داخل ذواتهم الولاء لأصولهم ومع الآخرين. في نفس الوقت فإن الناس تعيش في نطاق تشريعات داخل دول معينة، مستثمرة ذكرى تاريخها

ومضامينها وكذلك نظام الحكم. وفيما عدا عدد قليل من الاستثناءات نسبياً، فإن الحيز المكاني العالمي نظم في إطار المجتمعات المدنية الإقليمية المترابطة، الأحزاب السياسية، والمواطنة، والحدود والمؤسسات، واللغات الرسمية والنظم السياسية، والتعليمية، والثقافية... إلخ. الدولة القومية المتجانسة عرقياً، تُعد جديدة نسبياً وقد تعايشَت مع أشكال أخرى لدول منظمة عبر العصر الحديث. لكن بسبب تنوع السكان الآن، والاقتصاد والثقافة والحياة السياسية المعقدة، فليس معنى ذلك بالتبعية أن تكون الدولة والإقليمية لم تصبحا ذات أهمية. بل على العكس من ذلك، إذ يمكن القول بأنها أصبحت أكثر أهمية، كعنصر فعّال في النطاق العالمي أكثر مما كانت عليه من قبل.

موضوع هذا الكتاب، أن التطورات العالمية تتضمن بالضرورة التطورات المكانية، ومن خلال هذا الإطار العام من الإدراك، فإن التوتر (النسبي) بين رأس المال المتحرك، وبين العمالة الثابتة (نسبياً) يشكل عقبة مهمة بالنسبة لتكامل السوق المتحررة وبعيداً عن كون الدولة تعاني بسبب التكامل العالمي المتزايد، إلا أنها تلعب دوراً حاسماً في إعادة هيكلة المشروع الرأسمالي للتنمية. (راديس 2000 Radice). الناتج الاجتماعي يحتل مكاناً في المواقع الإقليمية في مفترق التدفقات العالمية، حيث تمارس إعادة هيكلة فشل تجربة الليبرالية الجديدة. من بين تبعات إعادة هيكلة الاقتصاد العالمي (كما ادعى بك وآخرون Beck) إضعاف التضامن الاجتماعي، والدعم المؤسسي (وبصفة خاصة الرعاية الاجتماعية) وعدم اليقين وعدم توفر الخبرة العملية- وجزئياً نتيجة لتقويض بعض الأشكال التقليدية للذكورة- والمستويات المرتفعة من الحركة، مع التوازي بزيادة الإدراك بالمخاطر العالمية. وعلى أى حال، فمن الأهمية بمكان أن نشير إلى استجابات الوكالات الدولية، في

مناطق عديدة من العالم النامي، التي كانت تهدف إلى إعادة تشكيل السلوك الاجتماعي اعتمادًا على العولمة كوسيلة للتدخل. خلال تطوير فعاليات الدولة ظهرت بعض التبعيات المقصودة وغير المقصودة، مما كان له أثر في خلق أشكال جديدة من الشبكات الاجتماعية والعمل (مثل تلك الآثار المتناقضة لضوابط السيطرة على الهجرة).

إنها حالة تغيرت فيها طبيعة السيادة، وهناك عدد من المشاكل تجاوزت قدرة الدولة الإقليمية لدرجة الاستجابة الفعالة للانعزال عن الدول الأخرى. هناك خيارات محددة للسياسة الاجتماعية غير قابلة للتطبيق، فربما تكون الدولة مرتبطة بمعاهدة. (مثل اللوائح المفروضة على مستويات القطاع العام للاقتراض من الدول التي تستخدم اليورو عملة لها.) أو بسبب التكاليف المفروضة غير المقبولة (عودة إلى نظام كنزى KWS). على أى الأحوال، فهذه الدول ستكون مؤثرة فقط، بقدر ما تتمتع به من شرعية بين الثقافات المدنية التي يمكن تحديدها محليًا. الشرعية يمكن أن تكون إجرائية جزئيًا، قائمة على التطورات الديمقراطية ذاتها، وكذلك أيضًا في الأشكال المعقدة للذاكرة القومية والثقافة.

الفصل الرابع

واقعية السلوك الاجتماعي

"توجد وحدة القرب أو البعد في كل علاقة إنسانية عضوية، فبالنسبة لظاهرة الغريب، فقد يحدث أن نقول بشكل مختزل أن العلاقة تتمثل في البعد، بمعنى أنه، رغم قربه منا، فإنه بعيد عنا، فالغربة تعني أنه، رغم بعده، فهو قريب بالفعل." (سيمميل 1971: 143)

أصبح تقدم التقنيات الرقمية عاملاً رئيسياً في زيادة سرعة الاتصالات الاجتماعية ومداها، ويخلص بعدة وسائل تطورات العولمة ذاتها. فتسيرة الاتصالات والمعلومات، تعتبر بمثابة "الثورة المعرفية- الخامسة" تلي القطن، وقوة البخار، والهندسة والكهرباء- وتزيد من سرعة الاتصالات وتسهيلها بين الحكومات والمصانع والمواطنين. وتأثيرها الهائل على الحياة الاجتماعية، (بيرسونز 2004: 169) (1). وكما كان الحال مع التقنيات الجديدة في الماضي، فقد تم استثمار الإنترنت وكأنه آمال المدينة الفاضلة لعصر الاتصالات الجديدة الحرة، كما أنه في نفس الوقت، دون تحذيرات خارجة عن القياس، "يحتشد بها وحدة". ومرة أخرى، وكما هو الحال مع العولمة ذاتها، فهناك الكثيرون يعتبرون أن ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بداية لوقف نوعية مع الماضي. لكن تداول التطوير وتأثيرات التطورات للأشكال الجديدة للثقافات والتقنيات العلمية، سوف تنظم من خلال العلاقات الاجتماعية. أحد الموضوعات التي سيتم تناولها في هذا الفصل، هي ردود الأفعال المتزايدة بالنسبة للعولمة بشكل عام، وكناتهما معيبتان. هناك بعض التطبيقات الحيوية، تتوافق معها، وهناك ما لا تتوافق منطما حدث مع التكنولوجيات المبكرة- لأن الإنترنت أصبح مندمجاً مع إيقاع الحياة اليومية.

أحد الموضوعات التي سيتم تناولها أيضًا، التفاعلات الشخصية ضد التفاعلات غير الشخصية، وتباين السلوك الاجتماعي إزاء ذلك. فى مقال لسيمميل (Simmel 1971) الشهير، عن الغريب، صور شخصًا "ليس مجرد عابر" لكنه "يأتى اليوم ويبقى إلى الغد" داخل مجموعة معينة فى مكان ما، لكن دون أى انتماء أو تجذر. هذا الغريب هو شخص، من المحتمل أن يكون فى حالة عبور، لكن داخل مجموعة، يواجه تصرفاتها "بطريقة موضوعية" سواء عن قرب أو بعد. وهذا يمنح الغريب وضعا متميزًا لتلقى الأكثر إثارة ودهشة وأسرارًا، فى لحظة استرجاع ذكريات أحيانًا، حول بعض الأمور التى يتم الاحتفاظ بها بعناية، ومجهولة لأى شخص، حتى من المقربين إليه (سيمميل 145: 1971: Simmel). فى إطار هذه الحياة الاجتماعية الحديثة ذات التنقل الجغرافى يصبح الغريب الشخص المثالى "العالمى صاحب الجذور"، ويعيش تمامًا وكأنه فى وطنه وفى مجتمعاتهم، ومجتمعات أخرى، والأماكن المتخطية الحدود (Tarrow 2003). هذه العلاقات تصبح أكثر وضوحًا مع مستخدم الإنترنت، بكونه غريبًا بعيدًا مكانيًا وأيضًا قريبًا فى الإطار الفضائى من خلال مزيج من المسافة والبعد المكانى، وكذلك قريبًا من خلال مزيج من بعد المسافة، والقرب الاجتماعى العالمى، حيث يكون الفضاء ممتدًا ومضغوطًا فى نفس الوقت. الإنترنت يوفر قربًا بلا حميمية، ويفرز موقفًا من ملذات الحياة، ويرى سيمميل (Simmel 1971) أنه يوجز الحياة المدنية الحديثة. وعلى الرغم من أن الإنترنت، وكما يراد البعض، بأنه مكان للانعزال وعدم الخصوصية، مثل غريب "سيمميل Simmel"، فإن المشارك على الإنترنت يمكن أن يكون مطلقًا على تفاصيل خاصة يخفيها الناس، عن أقرب الناس إليهم، ما دام أن الإنترنت يوفر إمكانية المخاطرة النسبية للإفشاء أو البوح، مع محاورين عابرين.

هذا بالإضافة إلى أن البيانات الرقمية، من الممكن اعتبارها جزءًا من التطورات. فبواسطتها تكتسب الفعاليات الاجتماعية المزيد من الرمزية والنوعية التجريدية، التى يعتبرها سيمميل Simmel بمثابة نزعة عميقة

وممتدة للثقافة الإنسانية (Simmel 1990). كان ذلك جزءاً من التطورات الفعلية الناجمة نحو الترميز وبصفة خاصة في الاتصالات البصرية التي تجلت في ظهور النقود. فعندما أصبحت المقايضة تزداد تعقيداً، ظهرت النقود كقيمة رمزية، تتميز بسهولة الحركة، وحفظها على مر الزمن (وهذا يسمح بالتعامل عبر الزمن) وتسهيل العمليات التبادلية المعقدة. عبر معظم دول العالم القديمة والعصور الوسطى في أوروبا، تطلب صك النقود معادن صلبة ثمينة وتوازي قيمتها. لكن تدريجياً في الصين ثم في أوروبا حلت أشكال رمزية من الورق موثوق فيه، محل القيمة الصلبة للمعادن كنقود، واكتسبت قيمة أكثر تحرراً وتجريدية، ومنفصلة عن القياسات الخارجية وتماثل معيار الذهب. النقود بمثابة مثال عن كيف أصبح التفاعل الاجتماعي أكثر تجريدية في التطورات التي أصبحت أكثر تجريدية في حد ذاتها. ففي حين كانت النقود مرتبطة بضمان قيمة الذهب، فالآن تطفو بحرية وعلى نطاق واسع من أشكال غريبة مثل الائتمان والتجارة وأسعار المستقبل. كان ذلك عوالم خيالية رمزية لم يتوقعها سيمميل Simmel بشكل مباشر، لكن اقترحها من خلال تحليلاته. أصبحت النقود "أيقونة" بالنسبة للعصر الحديث، وأحدثت مرونة وحرية، لكنها أيضاً تلغي السمة الشخصية والقرب والمسافة في وحدة شمولية متناقضة.

بالإضافة إلى أن سيمميل Simmel لاحظ أن الأفراد أصبحوا في مفترق طرق الدوائر الاجتماعية، أينما يتجهون (سيمميل 1971: 95-110) ولذلك يترقبون نتائج تحليلات الشبكات المركزية لدراسات المجتمع المعلوماتي^(٢). الفرد المعاصر مندمج داخل شبكات شخصية متفردة حيث ينتج التضامن الاجتماعي من خلال تنسيق الأنشطة عبر الشبكة أكثر من الالتزامات المشتركة في الإدراك التقليدي. (باربسينو 1997 Barbesino) يكثف الإنترنت هذه العملية، ما دام أن واقع المجتمعات توفر نوافذ متعددة للذات - ذات مضطربة - توجد في عوالم كثيرة، وتؤدي أدواراً في نفس الوقت (نيركل 1999 Turkle). بهذه الطريقة فإن المظهر العام للحياة الحديثة

المعقدة- يقدم نفسه بطرق مختلفة في المواقف المختلفة- وبالتالي يصبح شخصاً مختلفاً في العمل، والتعامل مع المجتمع، والبيت- بشكل واضح.

وعلى حين يبدو أن حداثة تقنيات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وسيلة لانتهاء المسافة، فإنها قد أحدثت انتشاراً وافراً في الاتصالات الاجتماعية من خلال الشبكات المتاحة. كانت المجتمعات في الماضي تعيش في أماكن منظمة اجتماعياً، لكن الوضع تغير رغم البعد، فهناك صفقات تعقد، و لقاءات عبر الكمبيوتر، وأسواق العمل الإلكترونية، والصرف الآلي، والنشر- كل ذلك يتم بوساطة غير مباشرة بين المحلية والعالمية بطرق معقدة. وهذا يثير تساؤلات عن "احتكاك المسافة"، وعما إذا لم يعد مهماً، ولا صلة له بالأمر، حيث أصبح الناس والمنظمات طلقاء، على الأقل في الفضاء وليس على الأرض. هل يعنى هذا تقدماً مجرداً من الشعور، مثل ذلك "الإحساس بالبهجة الدافئة الحميمية للموانسة الاجتماعية، قد استبدلت بها سعادة باردة من خلال ذلك الاتصال التقنى؟" (بودن ومولوتش 1994: 257). هل حل الأثر الإلكتروني محل انقراض الحديدى للبيروقراطية والعقلانية لويبر Weber. أم، على العكس، هل هذر رؤى غير وهمية مبالغ فيها، ما دام أن النظم الحديثة تركز حتماً على أنظمة مصغرة للتفاعل والاتصال؟ هل ستسهل التطورات الرقمية العولمية وتعزز الحياة الاجتماعية، وتخلق أشكالاً مجتمعية جديدة؟ ولكي نبدأ الإجابة عن ذلك، دعونا نستعرض المناقشات عن التضامانات الاجتماعية.

التضامانات الاجتماعية

من أهم الموضوعات الرئيسية في هذا الكتاب، هو التساؤل عن كيف استطاعت أشكال السلوك الاجتماعى العولمى أن تبقى خلال تقنيات الحياة اليومية على النقيض من الزعم بأن العولمة مدمرة للأشكال السابقة للتضامن

الاجتماعي، وأنا أرى أن العديد من الروابط والعلاقات الاجتماعية، يعاد تأكيدها من خلال الاتصالات العولمية، وأن التطورات متواصلة فقط من خلال الأنشطة المعرفية ومشاركة الناس في الحياة اليومية. وأرى أيضاً أن الأشكال العولمية للاتصالات متأصلة في المعاني الاجتماعية وشبكات الاتصال، التي غالباً ما تحدث داخل أشكال السلوك الروتيني المشترك. ورغم أن التفاعلات ذات الصبغة العولمية والوسائط التكنولوجية غالباً ما تكون غير شخصية، فهناك هيئة بحثية تقترح أن الناس والمنظمات يفضلون التفاعل وجهاً لوجه، وأن نمو الاتصال العولمي لن يكون بالضرورة على حساب العلاقات المباشرة. إضافة إلى أن التفاعلات التي تتم عن طريق الإنترنت يمكن أن تكون بذاتها وسيلة لأشكال جديدة من السلوك الاجتماعي.

هناك تناقض معناد يكمن في هذه المناقشات. المجتمع الإنساني يعتمد على قدراته لتنسيق العمل بطرق مختلفة. يتبدى ذلك من خلال التفاعلات المباشرة (وجهاً لوجه) والروابط المتبادلة، وعبر سلسلة معقدة من الوساطة غير المباشرة أيضاً، من خلال تقنيات الاتصال، والبيروقراطيات والأسواق. فالعلاقات (الأولية) المباشرة تعيش مع الناس الذين نتعامل معهم بشكل منتظم - وجهاً لوجه وغالباً ما تكون علاقات حميمية - مثل العائلة، الأصدقاء، الجيران، وزملاء العمل. وهذه تميل إلى أن تكون منتشرة، وبالأخص في العديد من مظاهر حياتنا. كما أن الشخصية تقوم بدورها في التفاعلات، متضمنة روابط مؤثرة (قائمة على الحب، والثقة، والعلاقات الشخصية القريبة وهكذا) بدلاً من المساعدات (القائمة على ما يستطيع الناس أن يفعلوه من أجلنا في أي موقف) وتصير هناك خصوصية، لنرى الناس يتصرفون بشكل مختلف إزاء ذويهم طبقاً لطبيعة علاقتهم. هذه النماذج مركبة وقابلة للتغيير ثقافياً. الهيئة المالية قد ينظر إليها على أنها رمز للصدقة في إحدى الثقافات، وتعتبر رشوة في ثقافة أخرى. الثقافات الغربية تميل إلى الفصل بين العمل والصدقة، في حين أن المفهوم الصيني (جيانكسي Guanxi) يربط

بين الصداقة وشبكات العمل والتعهد بالالتزام المتبادل. (ليو 1997 Luo). الحياة العصرية الحديثة تعتمد على الجمع بين العلاقات الاجتماعية المساعدة، وغير الرسمية وغير الشخصية، على حين تنتج شبكات الاتصال نماذج جديدة تنسم بالغربة والحميمية.

وعلى سبيل المثال - هناك نموذج على النقيض (علاقات الحياة الحقيقية لن يمكن على الإطلاق أن تكون واضحة إلى هذا الحد) فالعلاقات غير المباشرة ستعمل على تقليل الاقترب من الطرف الآخر والتعددية والاكتمال. وستميل إلى أن تكون غير شخصية (وعادة ما تتضمن "التفاعل" مع عناصر غير بشرية مثل برامج الكمبيوتر والردود الصوتية الأتوماتيكية) المخصصة إلى أعلى درجة. (عندما تريد أن تتحدث بالفعل مع شخص حقيقي في التلفون، فأنتما الاثنان تركزان في الموضوع شراء، بيع، تأمين، دفع فاتورة، أو الاستعلام عنها... إلخ) فهذه وسيلة، وينتهي الاتصال حتى يتم الاتفاق على العمل المحدد⁽³⁾. "عدم المباشرة" تشير هنا إلى نوعين مختلفين من العلاقات. أحدهما يتولى فيها الوكلاء العمل مثل المكاتب التي تعمل بشكل بيروقراطي، (دون اعتبار للشخص) كما أوضح ويبر Weber، أى إنها اتباع إجراءات وقواعد تتطلب أحكاماً غير شخصية تؤدي إلى خلق نتائج موحدة⁽⁴⁾. أما النوع الثانى من العلاقة غير المباشرة، فهو نتيجة لتصرفات العديد من الأفراد غير المقصودة من خلال التفاعل المتبادل ولا يمكن شرحها ولا تعزى إلى سلوك شخص بعينه. المثال التقليدى لهذه الحالة، هو السوق الذى يتأرجح بين عدم التوازن والتوازن من خلال عملية آلية التسعير. النوع الأخير غير المباشر (الذى أطلق عليه هابرماس Habermas وآخرون "التسقي") يتم تسييره من خلال تغيرات وسائطية ذات أشكال معقدة للقيمة والعلاقات الاجتماعية، لبلورتها داخل شكل رمزى (النقود) يكون ذا سيولة وسهل الانتقال به. من الواضح أن العلاقات المباشرة وحدها لم تعد أساسية فى المجتمع الحديث وفى الحياة اليومية التى تتضمن مطالب معقدة

ذات وسائط غير شخصية على مستوى عالٍ من العلاقات غير المباشرة. ومع ذلك، فإن الجدل هنا، بأن العولمة والتي تمثل قمة الأشكال غير المباشرة للاتصالات، تظل إنجازًا للجهات الفاعلة المشتركة والمعرفة الضمنية للمجتمع.

وإذا كان العالم الحديث شارك في تكاثر العلاقات غير المباشرة، فهذا شيء أشار إليه علماء الاجتماع الكلاسيكيون بشيء من الانزعاج وأنه نذير شر. أما ماركس Marx، فيرى أن سيطرة نموذج السلع وتقلبات منتجات السوق وعدم المساواة، والاعترا ب والاستغلال والصراع، رغم أن هذه الحالات كان ينبغي أن يتغلب عليها أثناء الثورة الاشتراكية. أما دوركهيم Durkheim فيرى أن التصنيع قد دمر تنظيم الكوميونات لمجتمع القرون الوسطى وخلق حالة من الانقسام الفوضوى غير الأخلاقى بين العمال، بالرغم من أن ذلك كان يمكن التغلب عليه من خلال التعليم الأخلاقى، والتنظيم فيما يشبه نقابة للجمعيات الحرفية. أما ويبر Weber، فيرى أن سيطرة نظم العمل الترشيدية والبيروقراطية، كانت حركة تاريخية عالمية أتاحت إمكانية قليلة للمهرب، فيما عدا خلال الفترات الثورية العارضة، للقيادة الكاريزمية. نعود ثانية لما يراه سيممبل Simmel، من إن الحداثة أدت إلى سيطرة "الموضوعية" (غير الشخصى والرسمى) على "الثقافة الذاتية" (الحقيقية والمعبرة)، التى اعتبرها مأساة بالمعنى الكلاسيكى - مثل الشخصية التى بخلاف صفاتها الحميدة، نجدها معيبة بشكل مهلك، إن تدمير الموضوع الموحد هو نتيجة ضرورية لطبيعة الحياة الاجتماعية. عندما كتب جيدنز Giddens عن العولمة، بأنها "عالم مندفع" فإنه كان يعبر مرة ثانية عن ذلك المعنى لتجربة عالم وكأنه تحت سيطرة ذاتية. (جيدنز 1999 Giddens).

يبدو أن حداثة العولمة تمثل انتصارًا لمنهجية وموضوعية العلاقات الاجتماعية، حيث حلت العلاقات غير المباشرة محل المباشرة بشكل متزايد متمثلة فى الاتصالات التكنولوجية والبيروقراطية والأسواق. وعلى أى حال،

فإن الأنظمة الموضوعية غير الشخصية، لا تُدار من خلال ذاتها أو مستقلة عن الفعل البشري. يرى كالهون (Calhoun 1991)، على سبيل المثال، أن العلاقات الملموسة (أو المباشرة) نوع من الدعامات لكل أشكال التكامل الاجتماعي، وكذلك العلاقات غير المباشرة أيضاً، "فنحن نعلم أنه توجد خلف النماذج غير الشخصية للسوق ووساطة البيروقراطية (تجارة الجملة والمناجم وما شابه ذلك) توجد سلسلة من التفاعلات الملموسة." وعلى أى حال، فإن تقنيات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تأخذنا إلى ما وراء ثنائية التقسيم، من خلال محاكاة لعبة الفورية. فالتلفزيون خلق بالفعل علاقات أولية وهمية، تتلقى النجوم السياسيين، وتنسب لشخصياتهم معارف شخصية ومعلوماتية ويتخيل المشاهدون أنفسهم أعضاء مجتمعات يتسمون بهوية عامة وأذواق وعادات واهتمامات. هذه الإمكانية تم استغلالها مبكراً من قبل القادة السياسيين الذين أدركوا أنه يمكنهم أن يظهروا وكأنهم معهم فى حجرة المعيشة، ويدعمون الثقة. من أول الأمثلة على هذا الأسلوب ريتشارد نيكسون نائب الرئيس الأمريكى عام ١٩٥٢م، كان يشتري أوقاتاً فى التلفزيون ليدافع عن نفسه إزاء اتهامات مالية. واشتهر ذلك باسم "بحديث تشيكرز" Checkers speech، الذى حاول من خلاله أن يلقي الضوء على أمانته السياسية بإذاعة تفاصيل دقيقة عن حياته العائلية، تتضمن قصة مؤثرة عن كلب ابنته "تشيكرز" Checkers. واستطاع أن يخلق إحساساً زائفاً بالحميمية ليقدم صورة صادقة لأمانته، ودعى الأمة لمحاكمته ليس كسياسى، ولكن كشخص عادى، وقد لجأ لهذا الأسلوب العديد من السياسيين فى العقود التالية. (جالاجر 2004) Gallagher وكان من نتيجة ذلك، أن أعيد تشكيل النظام السياسى، بنسب تتوافق مع عالم الاتصالات التلفزيونية الذى دخل عالم الفضائيات مباشرة. أما اتصالات الإنترنت فهي تيسر آليات قوية لتسييق العمل من خلال علاقات غير مباشرة، تماثل الاتصالات المباشرة. لكنها فى ذات الوقت من الممكن أن تصبح وسيلة إعلامية، يتم من خلالها خلق علاقات شخصية مباشرة والإبقاء عليها.

حوارات حول الإنترنت

بدأ الإنترنت كنظام اتصال عسكري أمريكي، لكنه اكتسب إمكانياته المعاصرة تقريباً عام ١٩٩٠م. عندما طور "تيم بيرنيرز لى Tim Berners Lee" طريقة لربط الوثائق بعضها ببعض على شبكة كبيرة، لكن الرغبة - أو على الأقل الممارسة الاجتماعية - للاتصال عبر مسافة أكثر من سرعة سعاة البريد العاديين على الأرض، تبدو غير واردة. الجدول رقم ١-٤؛ يمدنا بموجز مختصر عن مراحل تطور الاتصال بواسطة الأشخاص عبر المسافات. ورغم أنه بيان أولى انتقائي، فلو حظ أن سرعة الابتكار ازدادت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وبسرت تكثيف المكان - وضغط الوقت. هذه السرعة المتزايدة من خلال قانون "موور Moore" في الستينيات من القرن الماضي، الذى استطاع مضاعفة عدد وحدات الترانزستور على شريحة صغيرة كل عامين، فى حين كانت تكلفة المكون تتناسب عكسياً مع عدد المكونات، الأمر الذى أدى إلى أن أصبحت أجهزة الكمبيوتر أقل حجماً وأرخص سعراً وأكثر قوة عبر العصور التالية. (موور 1965 Moore)^(٤).

رغم أن الإنترنت هو آخر الإنجازات فى سلسلة التطورات التكنولوجية تقدماً، التى تشابكت مع التغيرات الاجتماعية. مثل التطورات السابقة. فبناءً قوبل بمزيج من الحماس والقلق، إزاء احتمال إضعاف المجتمعات. التلغراف فى القرن التاسع عشر أزال المسافة الحسية فى الاتصالات، فمن خلال طريقة موريس استطاع الناس معرفة الأحداث فى أنحاء بعيدة من العالم. خلال ساعات من حدوثها. ونشأت علاقات من خلال عاملى تلغراف "على الخط" بين مجتمعات مكونة من آلاف الناس، الذين قضوا أوقات العمل فى التواصل مع بعضهم. رغم أنه من النادر أن قابلوا بعضهم وجهاً لوجه. خلال فترات العمل التلغرافي، كان عمال التلغراف يتواصلون اجتماعياً، وبعض

هذه العلاقات تطورت إلى علاقات حميمة (خارج نطاق الخدمة) - فعلى سبيل المثال، فتوماس أديسون، الذى بدأ حياته كعامل تلغراف، تقدم لخطبة زوجته "المستقبلية" مينا Mina عبر التلغراف (بارج وماكينا Bargh and McKenna 2004) على أية حال، فإن كل هذه المجتمعات التى "على الخط" كانت مقصورة على عاملين متخصصين، ولم تكن الوسيلة تستخدم يوميًا، حتى تخلق روابط متعددة عبر العالم، وتوفير وصولها إلى الملايين مثلما يفعل الإنترنت.

تنشئ تكنولوجيا المعلومات والاتصالات شبكات نمطية معقدة فى وقت واحد للتفاعل الاجتماعى. يرى يورى (Urry 2003:63) أن الإنترنت يمكن أن يعد بمثابة "استعارة للحياة اليومية المتدفقة التى تتضمن آلاف الشبكات، من الناس والمكينات والبرامج والنصوص والصور التى تختلط فيها شبه المواضيع وشبه الكائنات أشكال جديدة مهجنة. ومع ذلك فإن الإنترنت يظل قائمًا ويتشكل بالتيسيرات الاجتماعية للثقافات والهيكلية. وهناك شىء يمكن أن يوضح ذلك، وهو ثبات "القواسم الرقمية".

القواسم الرقمية

كما هو الحال فى مناطق أخرى من العولمة، فنحن فى حاجة لأن نكون حذرين تجاه المغالاة فى تقدير آثارها التحولية. فى التسعينيات من القرن العشرين قال كاستلز Castells: "تم ربط الكرة الأرضية بشبكات الكمبيوتر... فالنشاط الإنسانى بأسره يعتمد على قوة المعلومات." وفى الواقع، هذا فيه شىء من المبالغة، لأن الوصول إلى شبكات المعلومات بصفة عامة متفاوت. لكن مع بداية الألفية، كما يقول كيوهان ونانى (Keohane and Nye 2000) استخدم ربع سكان أمريكا الشمالية الشبكة العالمية الواسعة النطاق، مقارنة بواحد فى المئة من سكان جنوب آسيا. ورغم أن عدد مستخدمى الإنترنت

تزايد عالمياً، من ١٦ مليوناً عام ١٩٩٥م، إلى ٣٠٠ مليون بحلول عام ٢٠٠٠م، والرقم الأخير يمثل خمسة في المئة من سكان العالم. وكما هو الحال مع وسائل الاتصال الأخرى فإن الاستخدام يتركز في العالم المتقدم، حيث تم رصد ٩٧ في المئة من الإنترنت هناك. (ديماجيو وآخرون ٢٠٠١).^(٦)

الجدول (٤-١) رسم تخطيطي لتطور الاتصال الإنساني.

- عام ٧٧٦ ق.م: أول تسجيل لاستخدام الحمام الزاجل لنقل رسالة الفائز في الألعاب الأولمبية إلى أهل أثينا.
- عام ١٠٠ - ٢٠٠ ق.م.: كان حاملو الرسائل من البشر يسرون على الأقدام أو على ظهور الخيل، من الأمور الشائعة في مصر والصين، وكانت هناك محطات للتأوب. وفي بعض الأحيان كانت الرسائل ينوء عنها من محطة إلى محطة لتسليمها، بدلاً من الرسل.
- عام ٣٧م: الهليوجراف - أول تسجيل لاستخدام المرايا في نقل الرسائل قام به الإمبراطور الروماني نيبيوس.
- عام ١٤٥٥م: اخترع يوهانز جوتنبرج آلة الطباعة من المعدن وممتلئة.
- عام ١٥٦٠م: اختراع ظلام الكامير - صنع بدائي للكاميرا.
- عام ١٧١٤م: هنري ميل توصل إلى اختراع الآلة الكاتبة. (لكن لم يتم تطويرها تجارياً).
- عام ١٧٩٣م: اخترع كلود شابييه أول "سيمافور" للإعلام بالإشارة (مرئي) للتلغراف.
- عام ١٨١٤م: "جوزيف نيبش" ينجز أول صورة فوتوغرافية.
- عام ١٨٢١م: تشارلز ويتسون - ينتج صوتاً من صندوق بدائي. أول ميكروفون.

- عام ١٨٣٥م: اختراع صامويل مورس أول شفرة مورس.
- عام ١٨٤٣م: اختراع صامويل مورس أول خط تلغرافى كهربائى للمسافات البعيدة. كما اختراع ألكسندر بين أول مكينة فاكس.
- عام ١٨٦١م: اختراع كولمان سيلر كنيما تيسكوب - مكينة تومض بسلسلة من الصور الثابتة على شاشة.
- عام ١٨٧٦م: اختراع توماس إديسون الميموجراف - مكينة نسخ وألكسندر جراهام بل اختراع التليفون الكهربائى.
- عام ١٨٨٩م: اختراع ألون ستروجر تليفون الاتصال المباشر.
- عام ١٨٩٤م: اختراع جيو ليمو ماركونى التلغراف اللاسلكى.
- عام ١٨٩٩م: اختراع فلاديمير يولسن التسجيلات المغناطيسية الأولى - باستخدام شريط صلب مغناطيسى كناقل للتسجيل - الذى أصبح أساس حفظ البيانات الضخمة على أسطوانة أو شريط وصناعة التسجيل الموسيقى، اختراع مكبرات الصوت.
- عام ١٩٠٢م: اختراع ماركونى أول إشارة إذاعية من كورنيل إلى نيوفاوندلاند. أول إشارة إذاعية عبر المحيط الأطلنطى.
- عام ١٩٠٦م: أرسل لى ديفورست الأنبوبة المكبرة، أو التريود (الصمام الثلاثى) الذى أدى إلى تكبير كل الإشارات الإلكترونية وتحسين كل الاتصالات، تليفون وراديو.
- عام ١٩١٤م: أول مكالمة تليفونية تمت عبر القارات.
- عام ١٩٢٥م: أرسل جون لوجى بيرد أول إشارة تجريبية للتلفزيون.
- عام ١٩٤٤م: أول كمبيوتر امتلكته الحكومة، جهاز هارفارد مارك ١، دخل الخدمة العامة، وبدأ عصر المعلومات.

- عام ١٩٥٨م: اختراع الدوائر المتكاملة- التي أسهمت فى تصغير الأجهزة الإلكترونية والكمبيوتر.

- عام ١٩٦٩م: أول إنترنت. ARPANet.

- عام ١٩٧١م: اختراع الأسطوانة المرنة بالكمبيوتر. اختراع المُعامل الصغير وهو بمثابة كمبيوتر على شريحة.

- عام ١٩٧٩م: أول شبكة اتصالات للتليفون المحمول بدأت فى اليابان.

- عام ١٩٩٤م: حررت الحكومة الأمريكية سيطرتها على الإنترنت، والشبكة العالمية الفائقة القدرة وتسمح بالاتصالات بسرعة الضوء.

المصدر: معلومات مأخوذة بتصرف من كتاب تاريخ الاتصالات.

النموذج العالمى لاستخدام الإنترنت طبقاً للإقليم موضح فى الجدول ٢-٤، فمن الإجمالى العام لمجتمع الإنترنت يعيش ٨٤ فى المئة فى دول نامية، وخمسة وثلاثون فى الدول ذات المستوى المنخفض من النمو، تتمتع بحوالى واحد فى المئة من سكانها فى التعامل مع الإنترنت. (نورس 45: 2001 Norris). ويتمتع عشرون فى المئة من سكان العالم باستخدام التليفونات، بالرغم من أن استخدام التليفونات المحمولة تنتشر بسرعة، لكن الأمية فى أجزاء كثيرة من العالم تعوق استخدام الإنترنت. (ميزال 175: 2000 Misztal). معظم التجارة الإلكترونية داخل دول منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OECD، وخمسة وسبعون إلى ثمانين فى المئة من العمليات الإلكترونية، تقوم من قبل شركات الأعمال أكثر منها مع زبائن خصوصيين. (بيرونز 172: 2004 Perrons). صحيح أن الدخول على الإنترنت بدأ ينتشر، لكن ليس بشكل مطرد ويتأثر بعدم المساواة العالمية والمحلية، التى تعد ضمن أمور عديدة، نفس الطريقة التى تستخدمها التقنية العالمية لهيكله بنية العلاقات الاجتماعية. هناك أسباب تدعو للاعتقاد بأن التنمية المكانية والاجتماعية للإنترنت (القواسم المشتركة) ستظل باقية فى الانقسامات الاجتماعية. سجل الإنترنت الإنتاج العالمى - فصاديق الفاكهة يمكن متابعتها

وملاحقتها في رحلتها من المزرعة حتى تصل إلى رفوف السوبر ماركت، على سبيل المثال - لكن الإنترنت لا يستطيع أن يوقف العلاقات الاجتماعية التي تعزز التنمية المتقطعة. (بيرونز 180: Perrons 2004) هناك نظم متوازنة للاتصالات - منها ما يرتبط بالدخل، والتعليم، والعلاقات، وعنصر آخر لأولئك المحتجزين خلف أسوار الزمن، والتكلفة وعدم اليقين. هناك معدل معقول من النمو لاستيعاب الإنترنت، مع بدايات أماكن مختلفة عالية المستوى، وإذا استمر هذا الاتجاه سيظل القاسم الرقمي العالمي بشكل نسبي ثابتاً. في إحصاء قائم على استخدام الناس للإنترنت في خمسين دولة، تبين أن هناك علاقة عالية بين استخدام الإنترنت والنتائج القومية (بيرسون Pearson 78، طبقاً لهيوسطن Houston 2003). لذا فإن الدول الأكثر ثراءً لديها مستوى أعلى من الناس الذين يستخدمون الإنترنت بانتظام.

أما في الدول النامية فهناك تباين في الاستخدام أيضاً. في الولايات المتحدة في الفترة من ١٩٩٥م إلى ٢٠٠١م، ارتفع عدد المتعاملين مع الإنترنت من ٢٥ مليون (بنسبة ثلاثة في المئة للبالغين) إلى ١٠٦ مليون أمريكي (بنسبة ٥٦٪ للبالغين) وهذا الرقم يرتفع بنسبة ٧٦ في المئة من المراحل السنية من ١٢-١٧. (ديماجيو وآخرون 2004; DiMaggio et al 2001). أغلب مستخدمي الإنترنت من الشباب، الذين يدرسون في الجامعات التي يزيد دخلها عن خمسة وسبعين ألف دولار (٧٥,٠٠٠) سنوياً وحجمها أكثر عشرين مرة، من نظرائها الأقل دخلاً. (بيرونز 196: Perrons 2004). وعلى أي حال، فإن القاسم الرقمي لا يشير بوضوح إلى فجوة واحدة في تقسيم المجتمع إلى فريقين، إلا أنه في الواقع يشير إلى المساوي التي تنتج عن الدخول إلى الإنترنت من خلال أجهزة كمبيوتر ذات نوعية أقل جودة، أو غالية الثمن. (مثل الاتصال من نطاق ضعيف أو من خلال التليفون)، وكذلك صعوبة الحصول على مساعدة تقنية، والاتصال بشكل صحيح للدخول على الإنترنت. هناك نوع جديد من الازدواجية المدنية بين مجالات التدفقات القائمة على قيمة السوق وانعزال الناس أصحاب الدخل المنخفضة وقلة الاتصالات. (بيرونز 188: Perrons 2004).

جدول رقم ٢-٤ عن استخدام الإنترنت ٢٠٠٤م

السكان بالمليون	مستخدمو الإنترنت عام ٢٠٠٤ بالمليون	النمو عام ٢٠٠٢م حتى ٢٠٠٤ %	مدى تغطيل السكان	
٣,٥٩٠,١٩٦	١١٤,٣٠٣	٨٤,٥٠	٥,٩٠	آسيا
٢٥٩,٣١٨	١٢,٠١٩	١٢٨,٠٠	٤,٦٠	الشرق الأوسط
٨٧٩,٨٥٥	٨,٠٧٣	٧٨,٠٠	٠,٩٠	إفريقيا
١٤١,٦٤٠	٥,٧٩٩	٨٥,٨٠	٤,٢٠	أمريكا الوسطى
٣٢٣,٤٨٨	٢٠١,٣٣٩	٨٦,٣٠	٦٢,٢٠	أمريكا الشمالية
٣٥٩,٥٩٥	٢٨,٠٧٥	٩٦,٤٠	٧,٨٠	أمريكا الجنوبية
٤٠,١٣٠	١,٤١١	١٥٢,٣٠	٣,٥٠	الكاريبي
٣٧٨,٠٠٢	١٧١,١٩٩	٩٧,٢٠	٤٥,٣٠	الاتحاد الأوروبي
٣٤٤,٥٠٦	١٨,٣٣٥	٨٤,٦٠	٦,٨٠	الأعضاء خارج الاتحاد
٣١,٥٢٨	١٣,٠٥٨	٧١,٣٠	٤١,٤٠	أوشينيا

الاتحاد الأوروبي قبل انضمام أعضاء جدد

المصدر: إحصائيات الإنترنت العالمية

من ناحية أخرى فإن المناطق الإقليمية والشركات التي تمتلك تقنيات إنتاج أكثر تقدماً وما تمتلكه من إنتاج متميز ونظم إدارية قادرة على جذب المهارات العالمية من المهاجرين، في حين يتم إيعاد نسبة كبيرة من السكان

المحليين التي لا تتناسب مهاراتهم وتعليمهم مع متطلبات نظام الإنتاج الحديث. فعلى سبيل المثال، فالمهندسون والعلماء في بانجلور ومومباي أو سيول، يعملون من خلال محاور تقنية عالية، مرتبطة "بوادي السليكون" حول العالم، في حين أن هناك نسبة كبيرة من السكان تظل في وضع منخفض، ويمارسون أعمالاً أقل مهارة، إذا حالفهم الحظ وحصلوا على عمل. (كاستلز 1999 Castells). وفي الواقع فإن ٤٪ ممن يعملون في "وادي السليكون" في شركات عالية التقنية من السود، و ٧٪ فقط من أصل إسباني - وحوالي نصف ما يمكن أن يتناسب مع السكان المحليين. على الرغم من أن شركات الكمبيوتر في كاليفورنيا حكومية، فمعظمها لا تلبى الأهداف الاتحادية لتوظيف الأقلية. في العقد السابق تم رصد أكثر من اثنتي عشرة حالة من الانتهاكات المؤكدة، ومن بينها شركة "أبل" Apple التي دفعت غرامات ضخمة. (جاكوبي 1999 Jacoby).

لكن إلى أي حد يتغير هذا النموذج؟ لدينا مناقشة هنا تتوازي مع مناظرات أوسع عن العولمة. فالمتفائلون بالنسبة للإنترنت يرون أن عدم المساواة للوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فإن اتساع المجال لعدم المساواة الإنتاجية الاقتصادية سوف يتلاشى بالتدريج، عندما تنتشر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عالمياً. بعض الدول المنبثقة اقتصادياً في شرق آسيا تحاكي نماذج ناجحة في نشر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ومن الممكن أن تتخطى مراحل التنمية والابتكار التي خاضتها الاقتصاديات السابقة. (نوريس 2001: 41 Norris). وآخرون يبدون أكثر تشككاً بشأن دوام القاسم الرقمي سواء داخل الدول والأقاليم. الدول الأكثر فقراً لديها مشكلات متعددة، خاصة بالديون والأمراض والبنية التحتية المتهاكلة لذا فإنها قد لا تتمكن من اللحاق بالركب الرقمي العالمي لعدة عقود. (نوريس 2001: 5 Norris). طبقاً لهذا التحليل فإن الإنترنت لن يقوم بالقضاء على مشاكل التنمية المتفاوتة

وليس في نيته (أن يكون أكثر من العولمة) ليصبح وسيطاً عالمياً للالتقاء العالمي حول أشكال الفردية والانعكاسية، لكنه سوف يعكس بشكل كبير الفوارق العالمية في الدخل وفرص الحياة. هذه الملاحظة يدعمها الربط بين وفرة الأشكال الموجودة للاتصالات الإلكترونية، ووفرة الإنترنت - فحيث يوجد العديد من أجهزة الراديو والتليفون والتليفزيون، فعلى الأرجح كذلك أن يكون هناك إنترنت للكمبيوتر. وسوف يتسع الاتصال بالإنترنت بشكل دال، عندما ترفع الدول مستوى دخل الفرد إلى ما يزيد عن تسعة آلاف دولار في الناتج القومي الإجمالي GNP^(٧).

وعما إذا كان استخدام الإنترنت في حد ذاته يمكن أن يزيد الإنتاجية الاقتصادية، فإن ذلك يعتمد جزئياً على كيفية التفاعل مع النماذج التكنولوجية والثقافية. إن الحكومات أكثر تحفظاً واستبداداً في المجتمعات. يعتبر الإنترنت مصدر تهديد، ولذلك فهناك محاولات لحماية الثقافة القائمة، على حين المجتمعات الأكثر انفتاحاً ومرونة ترى أن يكون هناك انتشار أوسع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. على الرغم من ذلك، فمن الممكن أن يكون للإنترنت تأثير أقل من التقنيات السابقة، مثل الكهرباء، والتليفون، والمحركات ذات الاحتراق الداخلي، وقد ينتج ذلك بسبب الثقافات الجامدة الكامنة جغرافياً. التعليم الثقافي سيكون أقل بطناً عن طريق الوسائل الإلكترونية المعارضة للمواجهة والاتصال وجهاً لوجه. وبرصد الجانب السلبي والإيجابي، فسنجد أن تأثيرها قد يكون أكثر تعزيزاً بدلاً من الانقلاب الذي تحدثه النماذج الموجودة للتميز الاقتصادي، رغم أن ذلك سيكون معقداً وبعيداً عن العلاقات التنظيمية. وبالنسبة للبعض، على أي حال من الأحوال، وبعيداً عن خلق "عالم بلا حدود" أو "موت المسافة"، والدخول الحالي غير المتسق لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات يشير إلى أن عدم المساواة الاجتماعية والمكانية، سوف يزداد بين الدول في حين تكون هناك مراحل تنموية يتم تجاوزها، وستظل عدم المساواة قائمة. (بيرونز 1985: Perrons 2004)

الإنترنت - المتفائلون والمتشائمون

هناك متحمسون للثناء على إمكانيات الإنترنت كمثال لديمقراطية المعلومات. ويرى البعض الآخر أن التقنية أصبحت منفصلة عن الضغط الاجتماعي والثقافي، الذي يتضمن منطقتها الخاص وتأثيراتها.^(٨) يرى فريدمان (Friedman 2000: 61) أننا مع الإنترنت يمكننا رؤية "كل ما هو قابل للتصور" ما دامت القيود على الإرسال قد تلاشت وتم خلق مشاهدين عالميين. الإنترنت، كما يقول، هو "قمة ديمقراطية المعلومات، حيث لا يستطيع أحد أن يسيطر على الإنترنت، فهو لا مركزي تمامًا، ولا يستطيع أحد أن يمنع بثه، كما أنه يستطيع الوصول إلى أي بيت في العالم. لم يحدث من قبل في تاريخ البشرية أن استطاع الكثير من الناس أن يتعرفوا على حياة أناس آخرين، فعلى سبيل المثال، من خلال الملايين من المنتديات وصفحات الإنترنت، التي ينصفحها الملايين. يرى فريدمان من خلال ذلك ظهور مجتمع متواز وذاتي الحكم ويشير إلى تسهيلات مجانية مثل موسوعة الإنترنت، Wikipedia، هذه الموسوعة التي يستطيع القارئ المساهمة فيها والتحرير أيضًا.^(٩) وهناك صحيفة كورية (Ohmy News) يحررها قراءها.^(١٠) الدول البوليسية لن يكون في قدرتها منع وصول الإنترنت، وبالتالي لن تستطيع التحكم في المعلومات، مما يفتح الطريق أمام نشر الديمقراطية. (فريدمان 2001: 70). نفس الشيء يراه ("بوسنر" 2001: 109) بأن الإنترنت أحبط المحاولات الحكومية لتنظيمه أو منعه- وفي الواقع، فإن الإرهاب يمثل قوى عبر الحدود ولا يمكن مناهضته داخل الدولة. نعود ثانية إلى تلك التحليلات عن سقوط الاتحاد السوفيتي، التي تشير إلى قصور التخطيط المركزي للاقتصاد والدولة السلطوية، لتطوير عدم المركزية والانفتاح والأشكال الديمقراطية التي يعمل بها الكمبيوتر من خلال الشبكات. (شين 1995).

على أى حال، فإن هذا التفاؤل مبالغ فيه ما دام أن القوى المركزية والتسويق تجد طرقاً لإبطاء أو منع الدخول على الإنترنت كعنصر للتنمية، كما حدث فى الصين على سبيل المثال. من الأفضل القول بأن الإنترنت أصبح موقعاً مركزياً للمنافسة وللسيطرة والاستقلال فى مجال الاتصالات. فى ضوء الاستخدام العالمى للإنترنت، فإن ما حدث فى الصين شىء مهم، حيث جاوز عدد مستخدمى الإنترنت بين عامى ١٩٩٥م و٢٠٠٥م أكثر من ١٠٠ مليون شخص، ويُعد ثانى أكبر عدد من مستخدمى الإنترنت فى العالم بعد أمريكا حيث وصل عدد مستخدمى الإنترنت إلى ١٨٥ مليون شخص عام ٢٠٠٥م. ويمثل هذا العدد ثمانية فى المئة من عدد سكان الصين. ولن تمضى سنوات قليلة وسيكون هناك أكبر تجمع قومى من مستخدمى الإنترنت. عندما أدركت الصين الاحتمالات التدميرية لاتصالات الإنترنت، قامت السلطات ببناء ما سُمى "سور الصين العظيم الملتهب"، وهو مشروع معروف باسم (الدرع الذهبى). النظام يضع عقبات تمنع المحتويات وعناوين البرامج (من خلال تعريف محدد لكل جهاز كمبيوتر على الشبكة) ولا تكون متاحة خلال الجهاز ويحتوى على برامج حماية نموذجى (الجدار النارى) وخدمات عبر بوابات الإنترنت. النظام أيضاً يشارك انتقائياً فى نظام الخبيثة المسممة وهو أسلوب خداعى لنظام DNS (اسم نطاق النظام) لتصديق معلومات مؤكدة، على حين هى فى الحقيقة ليست كذلك. واستطاعت الحكومة أن تعيق البحث من خلال كلمات سرية معينة، مثل الديمقراطية، التبت، أخبار البى بى سى، جوجول، المواقع الإباحية، والعديد من المدونات^(١١). فى عام ٢٠٠٤م، أغلق ٤٧ ألف مقهى للإنترنت (طبقاً لجريدة 2005 People's Daily Online). لدى الصين ٢,٨٠٠ مركز لمراقبة نصوص الرسائل، وفى يوليو ٢٠٠٤م، أدخلت نظاماً يسمح للسلطات بانتقاء الرسائل "التي تروج إشاعات سياسية زائفة" و"أى ملاحظات كردود أفعال"، وكذلك أى إشارات استدلالية لمنظمة العفو الدولية، أو الإذاعة البريطانية، أو عن التبت، ومذبحة ميدان تيانانمن عام ١٩٨٩م،

أو حركة فالون هونج الدينية. وابتكرت الحكومة نظام إنذار آلى لثلاثين ألف ضابط لمراقبة الرسائل الإلكترونية. ومن بين ١٠٧,٠٠٠ رسالة غير قانونية تم تتبعها منذ نوفمبر ٢٠٠٥م، تم إرسال ١٤,٠٠٠ رسالة مراهقات غير شرعية، و٧,٠٦٢ تتعلق بالدعارة والإباحية، و١١,٠٠٠ رسالة من جماعات، تعرض رسائل زائفة عن كسب مالى، أو معلومات مالية أخرى^(١٢).

على أى الأحوال، فإن الحكومة الصينية لا تبدو فى حالة مراقبة مستمرة لمحتوى الإنترنت، لأن ذلك لا يبدو عملياً من الناحية التقنية كما أن "جدار النار" أو نظام الحماية ليس ناجحاً تماماً. ساعدت كل من "ياهو!" و"ميكروسوفت" و"جوجل" الصين عام ٢٠٠٦م، فى نظام الرقابة، عن طريق أجهزة محلية لمنع أى محتوى سياسى مرفوض. لكن مستخدمى الإنترنت فى الصين استطاعوا التحايل على بعض هذه القيود- عناوين الوكلاء المعروفة، أما الذين يسجلون اتصالات خارج الصين بالمواقع المحظورة فمن الممكن أن يتعرضوا لخطر الاكتشاف. قد تكون حاجة الصين إلى جذب رؤوس الأموال، تؤدى إلى تدعيم الاتصالات بتوسع، وبالتالي قد يحدث ذلك ضغطاً لتحرير الدخول إلى الإنترنت، وفى الوقت المناسب، كما توقع فريدمان Friedman وآخرون، فقد يكون من المحتمل تحقيق الديمقراطية اللامركزية للإنترنت. ومن الواضح تماماً، رغم الجهود التى تبذلها الحكومات لتنظيم استخدام الإنترنت سوف تتكثف مع جهود الأفراد الذين يبحثون عن بدائل للحكومات والمجتمعات القمعية.

محاولات السيطرة على الإنترنت، ليست مقصورة بطبيعة الحال، على الأنظمة الديكتاتورية، لكنها تتضح فى عالم التجارة أيضاً، حيث يمتلك لوبى رجال الأعمال حق تطبيق النشر وشركات الإعلام مثل شركة نيوز كورب News Corp التى تستحوذ على أدوات البحث، التى يتم الاعتماد عليها وتأجيرها. الإنترنت تستخدم على نطاق واسع فى التجارة، ووصلت إلى ٣٠٠ مليار دولار أمريكى فى التجارة السلعية عام ٢٠٠٤م. ومع استخدام ٩٥٪ من

أجهزة الكمبيوتر لنظام ميكروسوفت، وبالتالي يصبح الإنترنت آلة تجارية هائلة (مجلة أخبار التكنولوجيا ٢٠٠٧م)^(١٣). المزيد من الاستثمارات التجارية والحيارة الملكية قد يكون لها عواقب فى التنظيم، كما هو موضح فى مبادرة حقوق الملكية الفكرية هناك عدد قليل من الشركات العالمية وبعض الشركات القومية، تسيطر على معظم ملفات السينما، والصور الفوتوغرافية، والتأليف، والموسيقى، والأرشيفات البحثية، وهذه السيطرة تم التضيق عليها. فعلى سبيل المثال، فإن منظمة الملكية الفكرية العالمية (WIPO)، تقترح معاهدة دولية توسع نطاق قوة أصحاب الإنتاج للسيطرة، على كيفية إعادة تسجيل الأفلام وتسجيل الأصوات وكيفية استخدامها فى المجال العام. وما أن يتم إذاعة هذه المادة (حتى لو لم تكن تخضع لقانون حق النشر) فإن أصحابها سيحصلون على حقوق الملكية الفكرية (IPRs) لمدة خمسين عامًا. وقد أدى ذلك إلى المطالبة بحق المقايضة المالية للموسيقى المحملة على الأسطوانات المدمجة. وفى حين يبدو ذلك معقولاً، فإن هناك بعض النشاط ضد منظمة الملكية الفكرية العالمية، تدعى أن ذلك موجود لصالح الفرق الموسيقية، حيث ٤٠٪ من عوائد الحفلات الموسيقية الحية. فى الولايات المتحدة، تصل إلى المؤدين، مقابل ٤٪ فقط من عائد مبيعات الأسطوانات المدمجة. وطبقاً لما صرح به أحد المؤدين الموسيقيين، فإنهم لا يتضايقون من مستخدمى الإنترنت لتبادل الملفات الموسيقية، بل من الصناعة التى تسرقهم بالخداع.^(١٤) ومهما كانت الحقيقة وراء هذه الادعاءات، فهى توضح أن الإنترنت أصبح موقعاً للصراعات السياسية والاقتصادية والقوى التشريعية التى تشيد "تدفقات" العولمة.

انحدار المجتمع (ثانية)؟

مجال آخر من مجالات النقاش يدور حول آثار الإنترنت على المجتمعات ورأس المال الاجتماعى والتفاعل الاجتماعى العام، التى ينعكس على المناقشات حول العولمة. (مورس 1998 Morse). ففكرة الحداثة

الدميرية لها جذور عميقة في علم الاجتماع، منذ أواخر القرن التاسع عشر. عبر نقاد الاجتماع الحديثين عن أسفهم لرحيل الأواصر الاجتماعية، التي تحدث عنها تونيز (Tonnie 1971) بوضوح عن التمايز في مجتمع الكوميونات والعلاقات بين الجيمينشافت "Gemeinschaft" والجسلسchaft "Gesellschaft" وقلق سيممبل "Simmel" إزاء الآثار الثقافية للمجتمعات الحضرية والتجارية. هنا نجد التفاؤل المتزايد السابق يتلاشى خلف حافز ودافع حنيني متزايد متشائم، يرى أن الإنجازات العلمية التكنولوجية للحداثة قد دمرت شيئاً أصيلاً ذا معنى، كان موجوداً سابقاً. يشير بريان تيرنر Bryan Turner، إلى أن ذلك لم يكن مجرد حالة عابرة، لكنه أصبح موضوعاً مهيمناً، له أصداء عميقة في الثقافة الأوروبية، كما يتضح من تعليق ويبر Weber، بأن اكتساب الحكمة من شجرة المعرفة ينطوي على تجاوز وعدم أهلية إلى جنة ساذجة لا عودة منها. (تيرنر 1992: 133-5). إن معرفة الطبيعة التي يمكن تسخيرها في الحضارة الصناعية- التكنولوجية، تعني أنه لن يكون بالإمكان العودة إلى ثقافات الماضي. الانتقادات الحالية للعلومة والإنترنت "تختزل ما يزيد عن قرن من مناقشات علم الاجتماع عما إذا كان المجتمع قد أصبح مفقوداً، أو منقذاً، أو متحرراً منذ الثورة الصناعية." (ويلمان وهامبتون 1999 (Wellman and Hampton)).

وقد اتضح ذلك من خلال نقد ريتزر Ritzer "لعلومة الأشياء" ويميزه بين "المكان واللامكان". العولمة تميل إلى الارتباط بالأشياء متكاثرة (73: 2003). يقول: "هناك أشياء تبدو أصغر مثل المكان، وتبدو أكثر تنقفاً على الإنترنت وشبكاته... (وذلك) يقدم مثلاً تاماً لتجريد الإنسان من إنسانيته المرتبطة بالأشياء وباللامكان الذي ينتهي إلى لا مكان للتواصل" (8-127: 2003). يرى ريتزر Ritzer "الأشياء" هو "شكل اجتماعي يتم تصوره مركزياً ويتم السيطرة عليه، وخال نسبياً من المحتوى الموضوعي المميز" مثل بطاقات الائتمان. (3: 2003) هناك شيء ما، وهو هل الشكل الاجتماعي يتم تصوره بشكل عام، ويتم السيطرة عليه وثرى نسبياً في المحتوى الموضوعي المميز،

مثل بطاقة الائتمان التي يتم التفاوض عليها بين موظف البنك والعميل. إن الفجوة العميقة المرتبطة بالإنترنت (لا سيما ذلك الجزء المرتبط بالاستهلاك) يؤدي إلى مخاوف من فقدان الذات في هابوية الإنترنت، وتشتت الذات إلى جزيئات متضاربة، حينما ينتقل الفرد إلى ذوات مختلفة في غرف الدردشة. اللامكانية هي "تدفقات مكانية" - فتخطيط المنازل يتم مركزياً من خلال المهندسين، وذات نماذج محدودة تكرر في أجزاء كثيرة من العالم (41: 2003). وبالتالي فإن مقاومة رموز اللاشيء^(*) "grobalization" (أى نحو اللاشيء خلال انتشار العولمة) التي تأخذ شكلاً مناهضاً - للأمركة- والهجمات العالمية على مطاعم ماكدونالدز، التي تعكس... الوعي الزائد بأن الرأسمالية والأمركة وانتشار مطاعم ماكدونالدز،... بمثابة تهديدات لثقافة السكان الأصليين (93: 2003) الذي يعد جزءاً من النضال ضد العالمية.

هذه الانتقادات تكرر أو تعيد العبارات المجازية في نقدها للحادثة لأنها تقوم بإبعاد وتدمير العلاقات الحميمية الطائفية- وغير الشخصية مقابل الحميمية، والعلاقات المتجزئة مقابل تلك التي لا تتجزأ، والمجهولة المصدر والعابرة مقابل العلاقات العميقة ذات المغزى (واللقاءات الاجتماعية- لكن ريتزر Ritzer يحاول ترسيخ نقد "اللاشيء" القائم على ما يبدو، أفضليات شخصية، على حين لا يولى اعتباراً كبيراً للسياق الاجتماعي والمفاهيم. مدينة ملاهى ديزنى لاند ذات معنى لطفل فى العاشرة من عمره مثلاً، وقد تكون "شيئاً مهماً" أكثر من الأشكال الثقافية والقيم الحياتية التي يقدر قيمتها الكبار. من ناحية أخرى، فإن القرض الشخصى المتفق عليه بين البنك والعميل، سوف يتأثر بالحركات العالمية لرأس المال، وأسعار الفائدة، وأهداف البنك من الإقراض، - وقد يبدو هذا ليس أكثر من وهم- لعملية تبادل شخصى، وهذا بمثابة تنظيم عالمى مثل الحصول على قرض على الإنترنت. الإنتاج الواقعى على نطاق واسع من الممكن أن يصبح "حقيقة"، بمعنى أن ذلك، سينتج عنه معانٍ متعددة من خلال المستخدمين، ويتوحد

(*) الصفة التي أطلقها جورج ريتزر (٢٠٠٤م) فى كتابه "عولمة اللاشيء". (المترجم).

داخل الحياة اليومية. المجتمع والأصالة منذ فترة طويلة، توقف عن أن يكونا متعايشين (لو كان ذلك قد حدث على الإطلاق) في أماكن متجاورة ومتكاملة اجتماعاً. تمييز ريتزر Ritzer بين الأصالة وعدم الأصالة، يرتبط بمفهوم يفترض أن يكون راسخاً للحفاظ على الطبيعة والأبدية، ولم يراع كيف أصبح الاجتماعي والطبيعي متشابكين عبر مئات السنين. ويقول بأن لوحة رمبرانت "وردية ليل" قد أثر عليها القدم والتمزق والترميم ويمكن القول بأنها كانت أصيلة، لكن من "الواضح" أنها لم تعد كذلك. (203: 2003) وهذا في الواقع يوضح أنه من خلال العمل الاجتماعي تصبح الأشياء حتماً ضمن العمليات الاجتماعية وأطر المعاني. ويعترف ريتزر Ritzer أن هذا التمييز عرضة للاعتراضات المألوفة، مثل تلك التي أثرت ضد آراء النخبوية الأخرى عن الثقافة الشعبية، لكنه يستجيب بالإشارة إلى دفاع هابرماس Habermas عن مشروع الحداثة، الذي يرى فيه وجهة نظر لصالحية الأحكام النقدية. لكن ذلك لا يصلح. فهابرماس Habermas يقترح إعادة هيكلة الاتصالات التي يجد فيها إجراءات أخلاقية عملية، تتعارض صراحة مع وجهات نظر تأسيسية (راى 2003 Ray). وبدلاً من تقديم مبررات وجيهة لاقتراح ينقسم قسمين "أصيل" وغير "أصيل"، فإن ريتزر Ritzer يستنتج بضعف أنه إذا كان القارئ قد فكر بشكل كاف، بالنسبة لهذه القضايا، فمن شأنه أيضاً أن يشعر بالقلق إزاء الاتجاه على المدى الطويل إلى لا شيء والخسارة المرتبطة بذلك.

(ريتزر 2003: 216).

مزيد من الدراسات التجريبية أيضاً حدد بتحديد فقدان السلوك الاجتماعي المرتبط بالإنترنت في دراسة قائمة على عينة من ٤,١١٣ شاباً أمريكياً ينتمون إلى ٢,٦٨٩ أسرة. يستنتج كل من "تاى" و"إربرنج" Nie and Erbring 2000، فإن الإنترنت خلق "حشداً منعزلاً في فضاء الإنترنت"، لأن الوقت على الإنترنت يستلزم بالضرورة قضاء فترة طويلة بعيداً عن الأصدقاء. ووجد أنه كلما أمضى الناس وقتاً أطول مع الإنترنت، فقدوا بشكل أكبر الاتصال مع بيئتهم الاجتماعية. والتأثير يبدو ملحوظاً بالنسبة لأولئك الذين

يقضون فترة ساعتين إلى خمس ساعات أسبوعياً على الإنترنت، ويرتفع التأثير بشكل فعلى بالنسبة لمن يقضون عشر ساعات على الأقل، وهؤلاء يشكلون نسبة انخفاض ١٥٪ بالنسبة للأنشطة الاجتماعية. على عكس التليفزيون الذى يمكن التعامل معه كخلفية من الضجيج أثناء الحديث، أما الإنترنت فيتطلب المزيد من الارتباط والانتباه، وبالتالي يتيح وقتاً أقل للتفاعل مع البشر الحقيقيين. أدلى ٦٠٪ من مستخدمي الإنترنت فى استطلاع أجرى معهم، إنهم خفضوا من مشاهدة التليفزيون وقراءة الصحف. ويضيف كل من "ناى" Nie " وإربيرج" Erbring أن مراكز التجارة العالمية "تقتحم كل جانب من عناصر حياتنا"، مما يطمس الخطوط، ما بين العام والخاص، وهذا موضوع تناوله كل من سيبيل وفيرهايم Siebel and Wehrheim 2003. ويرى الأخير أن المجالين العام والخاص، قد تركزا عند حدود البيت ومكان العمل وتم اختراقه من قبل التليفون المحمول، وامتدت الضوابط غير الرسمية للبيت ومكان العمل، للمجال العام. يوجد الناس جسدياً لكنهم يكونون مشغولين عاطفياً فى أماكن أخرى. التليفونات المحمولة، كما يراها سيميل Simmel، تنتهك اللامبالاة المتحفظة لسكان المدينة الذين يعلنون وبصوت عالٍ عن أعمالهم وشنون عائلاتهم التى لا يرغب أن يسمعها أحد.

(سيبيل وفيرهايم Siebel and Wehrheim 2003).

نعود ثانية، إلى أن غياب الشخصية وعدم الكشف عن الهوية على الإنترنت تضعف الروابط الاجتماعية الأصلية. هذه "المبتكرات الغربية المصطنعة، تنفقر إلى المحتوى العاطفى، وتعنى المعاملة بالمثل". وتؤدى إلى الانفصال السريع عن التفاعلات على شبكة الإنترنت، التى تنفقر إلى الارتباط اللصيق بالثقافات المتمركزة جغرافياً. (هاوستون 2003 Houston). إضافة إلى ذلك، فإن الاتصال بواسطة الكمبيوتر يحد من نطاق التواصل الاجتماعى، خاصة الملامح غير اللفظية وملامح الوجه. على الرغم من الإنترنت فى المقام الأول وسيلة بصرية، فمعظم التفاعلات من خلال

الكمبيوتر لا تتطوى على نظرة العين للعين، وذلك ويُعد مستبعدًا من السلوك الاجتماعي. يعلق سيمميل Simmel على ذلك بقوله: "العين مُعدّة لإنجازات ذات أهمية اجتماعية: فاتصال الأفراد وتفاعلهم يكمن في نظر الأفراد بعضهم إلى البعض. وأهمية "أقصر خط" بين العيون هو أنه "لا تبقى آثارًا مدركة بالحواس في اللحظة التي ينتهي فيها التفاعل، وتنتهي "الفورية" الخاصة بالتبادل. (Simmel 1997: 111- 12).

يرى بوستر (Poster 1995) أن المجتمعات المتقدمة تكنولوجياً، وصلت إلى نقطة في تاريخها، مماثلة لتلك التي بزغت فيها الثقافات الحضارية والتجارية في المجتمع الإقطاعي. الإنترنت شكل جديد من أشكال الهوية، وتقليد للتليفونات اللامركزية، ويقدم لنا عصرًا إلكترونيًا جديدًا يتميز "بالعديد والعديد من الاتصالات." وأسلوب البث ينتج عنه سلاسل جديدة للنزعة الاستهلاكية والسلبية، الإهمال والوسطية. الموضوعات الجديدة في الإنترنت غير مستقرة ومتعددة ومنتشرة- فالمرسلون هم أيضًا مستقبلون، ومنتجون ومستهلكون، يزعجون منطق عصر الإعلام الأول. ونتيجة لذلك، فإن المجتمعات "الحقيقية" في حالة انحدار، ورسخت هويات مستقرة، في حين أن مجتمعات الواقع "مائعة"، ودون ملامح مُدركة من حيث النوع والعمر والعرق، والوضع الاجتماعي،" مما يخلق إمكانيات جديدة لتزوير الذات. ومن ثم فإن هناك نوعيات من الموضوعات يتم خلقها من خلال الإنترنت، حيث يتحول الزمان والمكان والجسد والعقل، بشكل موضوعي/ غير موضوعي. (بوستر 2001). وسائل الإعلام المطبوعة خلقت موضوع القراءة المتسامية، والاستجابة المعرفية، التي تقدم صورة للعالم الخارجي، لتشجع القارئ على التفكير. وسائل الإعلام الإلكترونية، هي بمثابة منظر طبيعي نقافي نقني بشكل مفرط، منتشر بشكل مستمر ومتشظ. وبالتالي فإن العلاقة بين تمثيل وسائل الإعلام الرقمي لا تدعو لأي استجابة معرفية، ولكن التعرف على النص اترقمي، بمعنى أن التساؤل عن كيفية تمثيل الواقع بشكل

جيد، في نفس الوقت المقيدة فيه بتدفق النص والرسومات. وبتأوله موضوع "فوكولت" Foucault عن موت المؤلف، فإن بوستر Poster يصف العصر الرقمي بأنه عصر "ما بعد المؤلف" الذي يصبح فيه "من يتكلم" لا علاقة له بمفهوم الاتصال. إن النص غير الرقمي Analogue (النظير) يشابه الأصل في الوظيفية التمثيلية للاتصالات، لكن الاتصالات الرقمية تذيب "الأنا" في الكثير من الاتصالات إلى اتصالات أخرى. فالإنترنت يفصل التواصل الفعلي عن العلاقات المكانية الإقليمية عن الكيان الجمعي، وينقل الموضوع عبر اتصالات الإنترنت إلى المجتمعات، ابتدعه شخص ويعلم أن آخرين ابتدعوه. أضفت فورية الاتصال العالمي الموضوعية على شبكات الاتصال، وفتحت مجالات اجتماعية وثقافية وعالمًا على استعداد لإعادة تحديد ما يعنى أن نكون آدميين. (37: 2001). وإذا كانت العلاقة بين المنتج والمستهلك، لأن محور الاقتصاد، تحول إلى الصناعات الاستهلاكية فهذا بالنسبة للإنترنت يعنى "إنتاج ثقافي بقدر ما يُستهلك" (48: 2001).

يرى بوستر Poster أن "المناطق الجغرافية الإلكترونية ... تعيد تحديد ما يعنى أن نكون آدميين." (37: 2001)، يعتمد على الادعاء بأن وجود الناس على الإنترنت يبتدعون أنفسهم من حيث الجنس (من حيث الذكورة والأنوثة) والهويات المتقلبة، مما يخلق أزومات في التقديم. الذات غير الرقمية analogue (البعيدة عن الإنترنت) مشابهة للذات الأصلية (أو المفترض أنه يعنى أن هذه الذات متأصلة في الممارسات المستمرة الصحيحة الإدراك)، لكن الذات الرقمية يتم تمثيلها فيما بعد بشكل كامل، و"توجد" فقط في الواقع الافتراضي في نظام من الميوعة، حتى لو كانت تصور بشكل صحيح بعض التفاعلات عبر الإنترنت. ربما يكون من الأهم من ذلك، الادعاء بأنه مع نمو المراقبة الرقمية، والمحفوظات البيومترية (التحقق من الهوية)، هنا تبرز "قاعدة المعلومات الموازية للذات". "مما يجعل هذه" تختلف عن ذواتنا الفعلية"،

ويقول سيمون (2005) Simon "هل قاعدة المعلومات الذاتية أيسر منالاً ويمكن ملاحظتها والتحكم فيها والتنبؤ لها أكثر مما نحن عليه؟ يثير ذلك بعض القضايا المهمة حول العلاقة بين الهويات على الإنترنت والبعيدة عنه، والتي يتم بحثها الآن. لكن تجدر الإشارة إلى أن مساندة قاعدة "المعلومات الذاتية" كنتاج لمرحلة ما بعد المراقبة، لا يقضى على تضامن اجتماعي لأناس "حقيقيين".

الإنترنت والحياة اليومية

برز نهجان في العلاقة بين مستخدمى الإنترنت والحياة الاجتماعية. أحدهما يؤكد قدرتها التحويلية للأفضل أو الأسوأ بالنسبة للحياة اليومية، في حين النهج الآخر يؤكد على أهمية استمرارية القرب المكاني والزمانى فى العلاقات الاجتماعية باعتبارها الأساس لنمو السلوك الاجتماعى على الإنترنت. وتمشياً مع ما طرح من نظريات عامة هنا فيما يتعلق بالعولمة- ذلك الشكل المعقد من العلاقات الاجتماعية التى تيسر المعاملة بالمثل- فإن الإنترنت سيكون له مكان ضمن هذا السياق الاجتماعى. خلافاً لادعاءات النقاد التى سبق ذكرها، فإن الإنترنت يعزز الروابط الاجتماعية المعروفة بطرق متعددة (ديماجيو وآخرون 2001 DiMaggio et al.) بل ويسهل تشكيل رأس المال الاجتماعى فعلاً. يؤكد بوستر Poster، أن الطابع التأسيسى لوسائل الاتصال بحكم حقها الخاص، وكذلك يرى هاوستون (2003) Houston، لكن هناك أيضاً أدلة على وجود تفاعلات معقدة بين ما هو على الإنترنت، وتداعيات الواقع وإن التقارب يظل ضرورياً لتنمية الثقة واستمرارية الصلات الاجتماعية (بودن 1994 Bodin). بهذه الطريقة فإن الإنترنت يعكس ثانية تطورات العولمة، وبيسرها، ما دامت تندمج بشكل متزايد فى الحياة اليومية، وتستخدم فى كل من الأساليب المبتكرة والتقليدية التى تغيرها، لكن لا تحدث فيها ثورة.

السلوك الاجتماعي على الإنترنت:

هل أحدث الإنترنت عزلة اجتماعية، وتآكلًا في التقاليد الاجتماعية وتفككًا أم أحدث نوعًا جديدًا من الاتصال بأشكال جديدة من التنظيم الاجتماعي؟ النقاش الدائر هنا يتساءل عما إذا كان استخدام التكنولوجيا يتكيف مع أنماط مستخدميها، وبالتالي يختلف الناتج باختلاف الناس. نحن بحاجة إلى التفريق بين "المجتمعات" التي تستخدم الإنترنت منذ نشأته^(١٥)، والعالم كله المرتبط إلكترونيًا (ويل WELL)^(١٦)، وبين أولئك الأشخاص الذين يلتقون وجهًا لوجه، ويستخدمون الاتصالات الإلكترونية. اللقاءات والتجمعات الإلكترونية تلبى الحاجات الاجتماعية- للانتماء والدعم العاطفي، والاتصال مع الآخرين من ذوي المصالح المشتركة والتعرف على معلومات، سواء للترفيه، والقيام بالأدوار المختلفة، والسياسية والأنشطة الاجتماعية. ومعرفة أحوال الاقتصاد غير الرسمي. (هورنسباي 1998 Hornsby). كما تنشأ أشكال تعاون تقني جديد في شكل منح اقتصادية، حيث يتعاون الناس بعضهم مع البعض في مشروعات انطلاقًا من روح بناءة، كما يرى ريهانجولد (Rheingold 2000) متفقًا مع ويل WELL. يشجع الإنترنت العلاقات المتخصصة، لأنه يتيح للناس اختيار من يتصلون بهم من منازلهم؛ والإحساس بالقرب من الممكن أن يكون مبنياً على المصالح المشتركة، بدلاً من الخصائص الأخرى مثل السن والنوع والمكان إلى آخره.

تتساءل العديد من الدراسات عن أن استخدام الإنترنت يسبب العزلة الاجتماعية، فقد لوحظ أنه قد غير أنماط التفاعل بين الناس. وقد أشار مشروع إنترنت المنزل (كراوت وآخرون 1998 Kraut et al.) إلى أن مستخدمي الإنترنت لديهم شبكات اجتماعية، أكثر بكثير مما لدى غير المستخدمين أو غير دائمي الاستخدام، بدلاً من أن يكونوا معزولين، الإنترنت يوفر دعمًا متعددًا. ويرى "نابي" و"إبرنج" (Nie and Erbring 2000) أن الإنترنت خلق حشدًا منعزلاً في فضاء الإنترنت لأنه يستلزم بالضرورة وقتًا

طويلاً بعيداً عن الأصدقاء، لكن هناك شواهد كثيرة تشير إلى نتيجة معاكسة. وقد لاحظ كل من ناي (Nie) وإربرنج (Erbring) تحولاً في استخدام التلفون ومشاهدة التلفزيون (ويعتبرونه نشاطاً اجتماعياً منعزلاً). لكن الإنترنت من الممكن أن ينظر إليه كنشاط تفاعلي واجتماعي في حد ذاته- في هذه الحالة يكون ناي (Nie) وإربرنج (Erbring)، قد حددا فقط تغيراً في الوسيلة، بدلاً من تحديد انخفاض في التواصل الاجتماعي في حد ذاته. ولقد اكتشف كاتز وآخرون (Katz et al. 2001) أنه كلما قضى الناس وقتاً أطول على الإنترنت، انخرطوا على الأرجح في أنشطة بعيدة عن الإنترنت. في الدراسة عن القرية الإلكترونية يتحدى هامبتون وويلمان (Hampton and Wellman 2002) فكرة غياب التعارف الشخصي الحميم على الإنترنت، فعلى العكس، فكلما قضى الناس وقتاً طويلاً على الإنترنت كانوا على الأرجح يسعون إلى بناء رأس المال الاجتماعي. يتيح الإنترنت المجال للبحث المباشر غير المتزامن بين شخص وآخر، وبين شخص وآخرين، كما أصبح أداة للتواصل بين العديد من الوسائل التي يمكن للناس أن تتفاعل بها. الاتصال غير المتزامن منخفض التكلفة بالنسبة للناس يسمح بتنظيم حياتهم، لكنه ليس نظاماً اجتماعياً مستقلاً ومنفصلاً عن بؤرة النشاط الموجودة. وخلصوا إلى أن الإنترنت قد كشفت حجم علاقات حسن الجوار ونطاقها بدلاً من الحد من الصلات الاجتماعية.

كتب ويلمان Wellman عن "المجتمع غير المحلي" وعن قلاع "الشبكات القائمة على الثقافة"، وجغرافية وتسلسل هرمي على وشك فقدان نفوذه. وهذه مبالغة زائدة، فهناك العديد من التفاعلات الاجتماعية لا تزال تتم وجهًا لوجه- ومازال الناس يدرشون مع جيرانهم، ولا يزال لديهم طابور من المديرين، والعديد من المنظمات القائمة تشبه التي كانت موجودة منذ عشرين عامًا. لكن الشبكات غير الرسمية قد تكون في تزايد ملحوظ- في حين أن التضامانات الاجتماعية المعتمدة على التفاعلات وجهًا لوجه، قد تستكمل من خلال اتصالات إلكترونية لموقع على مسافة بعيدة (دافيز 2004 Davis). وهذا من شأنه أن يزيد إمكانية البحث عن برامج

الكمبيوتر (Software) التي تمكن المجموعات من التواصل والتعاون عبر الإنترنت، ما دامت هذه المجموعات على وعى بمبدأ الانتقاء التي تمكنهم من الحفاظ على الهوية الجماعية. فيما عدا حجم معين من الأعضاء يجد صعوبة في موازنة المصالح الفردية مع الهويات الاجتماعية، في حين تسمح شبكات صغيرة بروابط قوية ومزيد من الثقة ومكانة مرموقة. يستخدم الناس البرامج الإلكترونية الاجتماعية (software) في حياتهم اليومية- وترشح المجموعات الآلية مواقع مصممة تقدمها لأناس آخرين مثل موقع "رايز للأعمال Ryze- for- Business". هناك تعليق واحد على ذلك يتطلع إلى احتمال ظهور العديد من هذه الشبكات للربط بين المواقع الاجتماعية وهذه البرامج:

"لا أحد منا يرغب في الانضمام إلى عشرة أو عشرين موقعًا اجتماعيًا، فالإجهاد الناتج عن ملء استمارة المعلومات الشخصية، والتفاعل مع هذه الأنظمة إلى آخره، يستهلك كثيرًا من الوقت لمعظم الناس العاديين- لكننا جميعًا نرغب أن نكون جزءًا من موقع رايز Ryze للأعمال، أو ضمن مجموعة للإعلانات المبوبة، أو مجموعة أصدقاء تقوم بالمواعدة... إلخ.

هل ستكون هناك طريقة أستطيع من خلالها أن يكون لي ملف واحد مثل ما لدى بريد إلكتروني واحد، وتستخدم كل شبكة اجتماعية هذا الملف وتطبق قواعد الأعمال الخاصة بها لتطبيق ذلك، وتوفر لي هذه الخدمة؟ لا أعرف، لكن أود أن يحدث ذلك" (١٧).

عودة إلى إحدى الدراسات الكبيرة عن استخدام الإنترنت في أمريكا الشمالية قام بها هاس وآخرون (Haase et al 2002) (١٨) فقد اكتشفوا أن معظم العلاقات التي تتشكل في فضاء الإنترنت، أكثر حفاظًا على الروابط القائمة، بدلاً من خلق روابط جديدة خاصة بها وأن معظم المستخدمين كانوا متكاملين اجتماعيًا من خلال المسح الذي قامت به الدراسة. مازالت المسافة تقيد الاتصالات، فهناك ثلاثون في المئة ٣٠٪ فقط من المشاركين كانوا على

اتصال مع الأصدقاء والأقارب الذين يعيشون بعيداً وأصدقاء محليين. علاوة على أن هناك زواراً متعددين يستخدمون المواقع البيئية، وهم يميلون إلى المشاركة في المنظمات التطوعية العامة، على الرغم أن التحصيل التعليمي كان أقوى معايير التنبؤ للمشاركة. فهؤلاء الذين يلتصقون المعلومات من الإنترنت بشكل متكرر، هم الذين من المرجح أن يشاركوا في المنظمات، رغم أن "هاس وآخرون Haase et al" خلصوا إلى أن الإنترنت يكمل المشاركة السياسية، لكنه لا يغير مستويات المشاركة. ليس هناك ارتباط بين مدى وطول استخدام الإنترنت والإحساس بالانتماء للمجتمع على الإنترنت ويقاس على نطاق نفسي، واتضح وجود شعور بقدر أكبر من مجتمع الإنترنت المستخدمين على المدى الطويل، لا تتيسر لأولئك الذين يقضون فترات قصيرة على الإنترنت. الإنترنت يزيد رأس المال الاجتماعي، والمشاركة المدنية والإحساس بالانتماء إلى (مجتمع) الإنترنت. لكن "دون أي تأثير للإنترنت".

مشروع بيوانترنت 2004 Pew/Internet الذي قام ببناءً على استطلاع بواسطة التليفون أسفر عن استخدام ٢٠١٣ شاب أمريكي للإنترنت عام ٢٠٠٣م، وأن الإنترنت يُستخدم بعدة طرق متعددة، وأساساً كجزء من روتين الحياة اليومية. وأن نسبة كبيرة من الذين شملهم الاستطلاع "٩٢%" يستخدمون الإنترنت بشكل روتيني للحصول على المعلومات اليومية، وأن ٨٥% يستخدمونه للاتصال بالآخرين والتفاعل معهم، و ٧٥% يستخدمونه لإجراء المعاملات اليومية ، و ٦٩% كمصدر عام للترفيه. وبشكل عام تشير الشواهد إلى أن الإنترنت بدلاً من كونه مسبباً للعزلة وغير مهياً للنشاط الاجتماعي، فالتواصل مع الآخرين عبره يساعد في الحفاظ على روابط وثيقة مع أفراد الأسرة والأصدقاء ، كما أنه أيضاً ييسر تشكيل علاقات جديدة وثيقة وذات معنى داخل بيئة آمنة نسبياً (بارج وماكيننا 2004 Bargh and McKenna).

العنصرية على الإنترنت:

السلوك الاجتماعي بأى حال من الأحوال يتضمن محتويات عديدة متباينة، وغايات اتصالية. فمتلما يولد الإنترنت أشكالاً جديدة من رأس المال الاجتماعي و"المجتمع" ويصل أيضاً بين عناصر متباينة ومجتمعات، تكمن الكراهية لبعضها. العنصرية على الإنترنت تزداد انتشاراً، ما دامت العنصرية ومنظمات اليمين المتطرفة تستفيد من إمكانيات الإنترنت، كوسيلة بديلة، لا ترتبط إلى حد كبير بأى نظم، وكونه رخيصاً، ويتخطى الحدود القومية. هناك أبحاث متزايدة عن الإنترنت كوسيلة للعنصرية لتدعيم العنف من خلال غرف الدردشة، التى تحصى المشاركين بعدم الكشف عن هوياتهم ومن المحرمات الاجتماعية المعتادة ضد التعبير عن العنصرية والعنف (جلاسر وآخرون 2002 Glasser et al).

قام باليستري (Balestri 2002) بدراسة لمواقع مشجعي كرة القدم، التى كانت تخضع للتحليل، وتم تصنيفها إلى الآتى "غائب" وليس هناك محتوى عنصري "كامن" ولكن مجرد تلميحات عنصرية "متكررة" وتلميحات عنصرية مباشرة. وأيضاً، (صراحة عنصرية قوية وكراهية للأجانب). باستعراض سلسلة من مواقع العنصرية على الإنترنت، قام باك (Back 2002a) بفحص العلاقة بين التكنولوجيا الرقمية والعنصرية، وظهور أنماط جديدة من الثقافة العنصرية فى مواقع الدول المتخطية الحدود والعالمية. فى هذه الدراسة وغيرها من الدراسات (باك 2002b, 2002c) لاحظ كيف أن تكنولوجيات الإنترنت تخلق أنواعاً جديدة من السلوك العنصرى المحتمل، فعلى سبيل المثال، كالاحتفال بأحداث عنف حقيقية للعنف العنصرى ومحاكاة "الفرحة" بشكل غير مباشر نيابة عن الأطراف التى قامت بمثل هذه الأعمال الشريرة (باك 2002a Back). العنف الشديد سواء كان حقيقياً أو خيالياً، هو سمة من سمات العنصرية على الإنترنت، وهناك حاجة لمزيد من الأبحاث عن العنصرية على الإنترنت التى تفحص العلاقة بين عنف الإنترنت والعنف الحقيقى وأهميتها لإعادة تشكيل العنصرية بصفة عامة.

الناشط النموذجي أصبح أصغر سنًا مما كان عليه في الماضي وأقل من أن يكون عضوًا في المنظمة النازية الجديدة، أو أن يكون محنًا أيديولوجيًا وعلى علاقة بالتنظيمات. وعلى أي حال، فهم جزء من ثقافة كراهية الأجانب التي تشمل كلاً من الأشكال التنظيمية الأقدم، وثقافة الشباب غير المتجانسة. وعلى الرغم من مخاطر جرائم الكراهية التي تختلف بتنوع المكان. (بعضها أكثر خطورة من البعض "الأخر" فإن ثقافات الشباب مثل تلك الخاصة بالفاشية- حليقي الرؤوس) التي تخطت الحدود الضيقة، وترسخ علاقات دولية من خلال الإنترنت، الذي يعد مصدرًا لإعادة تأكيد هويتهم ويزيد من قدراتهم التنظيمية. إن "جبهة العاصفة" stormfront هي البوابة لمواقع حليقي الرؤوس العنصرية. وأسماء المواقع سوف تتغير دوريًا لتجنب عرقلتها بواسطة منظمى خدمات الإنترنت ISPs. ويعلق واتس Watts:

"هناك تقارير عديدة عن اتصالات لشبكات دولية متنوعة، خاصة في الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، والدولة الإسكندنافية وهولندا، وبدرجة أقل في إسبانيا. (العلاقات مع التشيك والبولنديين وغيرهم من وسط أوروبا أكثر توترًا إلى حد ما، لكنها موجودة." (Watts 2001)

في ألمانيا قررت الحكومة أن هناك أكثر من ٢٠٠ موقع لحليقي الرؤوس أو المواقع العنصرية. (وفي الولايات المتحدة يوجد أكثر من ذلك بالطبع). العديد منها باللغة الإنجليزية لتوسيع تأثيرها (أو لأنهم يستخدمون إنترنت أمريكا الشمالية، لتجنب الرقابة الألمانية). إن نمو العنصرية على الإنترنت واتصالات الأفراد المتباينين في عالم مجتمعات الكراهية تتبع نفس المنطق الاجتماعي مثل الأشكال الأخرى العادية لاستخدام الإنترنت.

الغرباء الحميميون

الفكرة القائلة بأن السرد الذاتي يمكن كتابته، وإعادة كتابته هي جزء من رؤية ما بعد الإنسانية لما بعد الديكارتيّة التفكيرية لفضاء الإنترنت

(هايلز 1999 Hayles). قد يهرب الناس (مؤقتاً) من ذواتهم الجسدية وتوقعات السلوك والمفاهيم في حياتهم اليومية. فعندما يلعب أحدهم على فضاء الإنترنت فمن الممكن أن يكون رجلاً مثلى الجنس، ويدعى أنه امرأة غير مثلية أو أى شيء آخر. وكما يلاحظ "زيزك" (Zizek 1998) فإن ذلك مفتوح للعديد من التفسيرات المتعارضة التي تتسم إما بالتححرر (احتمالات لا متناهية لبناء هويات جديدة) أو البرانويا - جنون العظمة، الذي يؤدي إلى التلاعب على فضاء الإنترنت الرقمي- ويرى "زيزك" Zizek أن هاتين الرؤيتين غير صحيحتين، لأن اللقاء مع فضاء الإنترنت يدفع إلى نوع من الشك العالمي العميق يؤدي إلى وعي وإدراك بأنه لا يوجد "واقع حقيقي". ودائماً ما كانت الحقيقة واقعة افتراضياً، لكننا فقط لا ندركها. ماذا لو أن الوعي الذاتي مجرد "شاشة" سطحية؟ يقول زيزك Zizek بعض ما يشبه الأحكام:

"إن ما يسبب الفرع عن الجنس الافتراضي ليس قبل أن يكون لنا شريك حقيقي نلمسه ونحتضنه، على حين أنت الآن تمارس العادة السرية أمام الشاشة... المسألة هي أننا نصبح مدركين أنه لم يكن هناك ممارسة حقيقية على الإطلاق... ماذا لو كان الجنس الحقيقي مجرد عادة سرية مع شريك حقيقي؟" (زيزك Zizek n.d.)

بالنسبة "لزيك" Zizek فإن هذا الاحتمال يُعبر عن تساؤل أكثر عن الذات، بسبب اللقاء مع الإنترنت. هناك اعتراض مهم لهذه الرؤية الخاصة بالشك الراديكالي للواقع، وذلك ما يهتم به زيزك Zizek والمتعلق بالمسألة الديكارتيّة "لأننا" ما دامت الذات لا تشارك في الانعكاس المنعزل، لكنها بالفعل داخل الذات، ومجسدة في الكيان البدني والاجتماعي. ومن أجل تدعيم سباحة حرة لأنفسنا على الإنترنت، فلدينا أجسادنا الخاصة بالحياة الواقعية، القائمة والمحددة في تاريخ الحياة انعالمية. وموجودة من خلال شبكات التفاعل مع الآخرين. الذاتية الداخلية ليست علاقة بين الفكر والكائن لكنه موقع للكشف عن أفق تاريخي محدد ذي معنى. لو أننا أحسنا بالقلق بشكل

أقل بالنسبة لوسائل الاتصالات الرقمية، وركزنا بشكل أكبر على الأشكال الاجتماعية والقواعد التي تشكل الذات المتبادلة، وتلك المغالاة التي تحيط ببنية يوتوبيا- الإنترنت، وكذلك الديستوبيا (أى المدينة الفاسدة)، فسنجد أنها ستراجع. إن الطريقة التي يتفاوض بها الناس عن التوترات بين علاقات الواقع الافتراضى داخل الفضاء الرقوى، وترتيب التفاعل الخاص بالمشاركة البننية- فى الوجود- تدلنا على أنوار العلاقات الشخصية وغير الشخصية التي تعتبر حيوية لتطورات العولمة. كما أنها تبين لنا أيضاً، كيف يمكن لفضاء الواقع الافتراضى والعولمة أن يتشكلا ويرتكزا على الخبرات الاجتماعية والجسدية والثقافية. أحد الأمثلة على ذلك، تاريخ الإنترنت، الذى يخلق "حركة فاصلة بين أوصاف القراءة، واستجابات الكتابة، وتبادل الرسائل". (هاردى 2002 Hardey). وأحياناً فإن لقاءات الإنترنت تتطابق مع فكرة ما بعد تقليدية، "نظراً للعلاقات النقية"، (جينز وهاردى 1992: Hardey 2002) التي تعطى للحديث قيمة أكثر من العواطف وتفاوضاً بدلاً من الوعود، وإحراز تقدم ذاتى، وتطوير الزوجين بالمفهوم التقليدى للحب الرومانسى.

البريد الإلكتروني أكثر انفتاحاً وتفاعلاً من الرسائل التقليدية للاتصال، التي تطورت إلى شكل فعال أكثر قوة. (بودن ومولوتش Boden and Molotch 1994). أما الذين يمارسون الدردشة، فيتبادلون النميمة، والنكات، ويعلمون عن تفضيلاتهم الجنسية ويتجادلون. وبالمقارنة مع التفاعلات التي تتم وجهاً لوجه، فإن البريد الإلكتروني، يتيح المزيد من الإفشاء والحميمية والهروب من ضغوط الزمن والسير الذاتية. ومن الأمثلة على ذلك، الاستخدام العالمى لمواقع مثل موقع (جمع شمل الأصدقاء Friends Reunited، بالمملكة المتحدة- من أجل زيارة الأحباب السابقين والشباب الذى كان- وكذلك موقع Genes Reunited جمع الشمل العائلي- الذى يمكن الاتصال بين أفراد الأسر المتباعدة التي يعرفون عنها القليل أو لا يعرف بعضهم شيئاً عن البعض. موقع "جمع شمل الأصدقاء"، يمكن السير الذاتية

للناس للهروب من القيود المفروضة مؤقتاً عن طريق العودة لفترات حياة المرء، التي ربما كانت في مرحلة ما قبل - العصر الرقمي، وظلت في الذاكرة ودفائر اليوميات القديمة. هذا النوع من المجتمعات على الإنترنت كبير، لكن تجمعهم رغبة الحنين إلى التواصل مع السير الذاتية المفقودة. أما موقع "جمع الشمل العائلي" فيدعي أنه استطاع الحصول على أسماء ٤١ مليوناً من الأسلاف، كثير من المواقع البحثية الأخرى المعنية بالأنساب في جميع أنحاء العالم تخلق مجتمعات ذات واقع افتراضي من الأحياء والأموات في سياق من الحميمية والمودة والحب "المانع". (بايومان 2003 Bauman) يقوم الإنترنت بتسهيل البحث عن الأمن والسيولة والتجريب.

الحميمية على الإنترنت تسمح للدعوات بأن العلاقات سواء كانت غير شخصية وسطحية، قد تحررت من القيود المحلية المادية، فمن الممكن أن تخلق فرصاً لأنواع جديدة من العلاقات. صحيح أنه في حالة التفاعل مع الإنترنت تنفقد الكثير من الملامح - غير اللفظية والحركة الجسدية وتعبيرات الوجه، وبالتالي يصبح الاتصال غير شخصي بشكل أكبر (باركس وفلويد 1996 Parks and Floyd)، لكن في نفس الوقت يسمح البريد الإلكتروني بالفورية، وعدم الالتزام بال رسمية والخروج على القانون واختفاء الحدود بين مقدمة المسرح وخلفيته، والسلوك بشكل تلقائي وغياب سياق الأحداث. البريد الإلكتروني أسرع وأكثر كثافة ويتضمن التزاماً أقل وعدم الالتزام بال رسمية لما يقال، عما يكون عليه الحال عند المواجهة وجهًا لوجه (ميسزتال 2002: 200 Misztal). وهذا يسهل بناء الألفة عند الآخر على الإنترنت تلبية لرغبات الآخر، التي جعلت البعض يدعي أنه من خلال الإنترنت يتعرف بشكل أفضل على أناس أفضل من معارفهم القديمة. يرى ماكينا وآخرون (2002 McKenna et al) أن الناس على الأرجح تميل للتعبير عن أنفسهم "الحقيقية" بعيداً عن الإنترنت - وعندما يحب شركاء الإنترنت بعضهم فإنهم يميلون إلى إضفاء صفات الأصدقاء الذين يعرفونهم في الحياة

"الواقعية". العديد من العلاقات على الإنترنت تصبح وثيقة بعيدًا عن الإنترنت. الناس تكشف عن "حقيقة" أنفسهم على الإنترنت لأن مخاطر الإفشاء عن الذات أقل خطورة مما تكون عليه في العلاقات المباشرة وجهًا لوجه. التحدث إلى الغرباء أسهل على الإنترنت- في المجتمعات الحضرية قليل منا قد يتجه إلى شخص غريب ويبدأ الدردشة معه. يعلق هاردي Hardey على ذلك بقوله:

"من السهل أن تدخل في نقاش حول قضايا عميقة مع شخص غريب تمامًا. وهذا أفضل شيء في هذا النظام. لا توجد حواجز، حتى نعرف كيف يثق بعضنا في البعض قبل أي أحد منا في لقاء الآخر". (هاردي 2004 Hardey)

العلاقات تتطور عندما يقوم الناس بالاعتماد على بعضهم بطرق معقدة (باركس وفلويد 1996 Parks and Floyd) وتتطور تدريجيًا عبر الزمن وبزيادة الخبرة. التواعد عبر الإنترنت هو مجال تُقدر من خلاله الأصالة وتقوم فيها الاتصالات على الثقة بين الغرباء. ومع زيادة شخص واحد من كل أسرة فإن الإنترنت يتيح بطرق جديدة متعددة إنشاء علاقات حميمة من خلال مواقع متخصصة لمتابعة مصلحة خاصة- لكل الهويات الجنسية، طويلة المدى، أو عابرة. هناك مواقع لتواعد المحبين في المجتمعات المتدينة^(١٩). كما أن الشخصيات ذات الهويات الموصومة أو سيئة السمعة، يمكنها أن تجد العون عبر الإنترنت، مثل موقع الإدارة الذاتية للمرض أو التفاعل الاجتماعي للأشخاص الذين يعانون العزلة وعدم القدرة على التنقل وهكذا. لكن في حين أن تقييم الذات على شبكة الإنترنت ينطوي على استراتيجيات تسويقية واللعب على قوالب نمطية للرجولة والأنوثة، فإن وصف الذات غالبًا ما يُشكل من خلال معرفة أن النجاح، لابد أن ينطوي على اللقاء بعيدًا عن الإنترنت، لأن هناك حدودًا لأنواع تقييم الذات يمكن أن تكون مطردة. يرى البعض أن

الشبكات الإلكترونية وحدها لا تستطيع بناء علاقات ثقة، وأن التواصل مع الإنترنت أقل تمدناً (أو تهذيباً)، وأكثر ميلاً للنزاعات، وأكثر خطورة وديمقراطية من التواصل بعيداً عنه (ميسزتال 183: 2000 Misztal). من الممكن أن تحدث تجاوزات للاتفاقات الاجتماعية على الإنترنت - مثل القسوة والغضب - "ما دام لا يوجد ما يكبحهم" فيشعر الناس أن بإمكانهم قول أى شيء (سيبروك 119: 1997 Seabrook). مجتمعات الإنترنت تضبط سياستها بنفسها، ومن الصعب فرض قواعد للسلوك، رغم أنه يوجد مفهوم يشير إلى وجود قواعد للتواصل. هناك قواعد غير مكتوبة قد تختلف من موقع إلى آخر. وعمّا إذا كانت المواقع الإباحية مسموحاً بها أم لا، واتفاق حول مدى سرعة الرد، والنظم التفاعلية، وحول التقنيات اللازمة لترسيخ الثقة. (هاردي 2004 Hardey وبريس 2004 Preece). هناك دراسة عن "الغضب" قامت بها مجموعة "يوسنت" الإخبارية Usenet Newsgroup حددت التطورات لمواجهة الاستراتيجيات المعيارية للرموز بين المشاركين، مثل الانسحاب، تقديم الاعتذارات، الشجب، نشر القصائد الشعرية، الوساطة، عرض التضامن، النكات، التطبيع. (لى 2005 Lee). أما عضوية المجتمعات الإلكترونية فيمكن أن تنظم من قبل المسؤولين وفرض شروط الاستخدام - مثل موقع Tiny sex sites، Tiny MUD حيث يتم تقنين الخيال على أساس الرضا المتبادل للواقع الذى يتم تنفيذه.

فضاء العولمة يحتوى على اتصالات متعددة فى وقت واحد، وولاءات ترتبط بالفضاء الحميمى، والمشاركة التفاعلية للصيقة (كوزما 2002 Kusma). أحد الأمثلة على ذلك، استخدام المهاجرين للإنترنت لتجاوز الحدود والأعراف الاجتماعية الخاصة بهم. تؤكد دراسات عديدة عن اللاجئين وما يعانونه من فقدان للوطن، والإيذاء وعدم التكيف الثقافى، لكنها تغفل الخبرات الدنيوية لتنمية العلاقات الاجتماعية والحميمية، التى تتصل بشكل كبير

بالتناقضات المجتمعية والنظم ذات المعنى. فى دراسة "كوزما" Kusma عن لاجئات "أورما" Oroma من أثيوبيا، ذكر فيها أن مجال الحميمية يوجد عندما تتلاحم هوية إحداهن مع شريكها. التماسك والترابط له أشكال متعددة، تعززه مستويات التلاحم الشخصى والقومى والعالمى. فى هذه الدراسة، اتضح انقطاع الإحساس بالذات (بالانتماء إلى أورما) عندما انتقلت المهاجرات من أنماط حياة عائلية، وعشن حياة ذات سمة عولمية فى تورنتو. وقمن بالدفاع عن الإحساس الحميمى بانتمائهن إلى "أورما" وواجهن ضغوط المجتمع المهيمن، وحاولن المغامرة بالخروج، لكنهن اكتشفن أنه من الصعب العثور على علاقة حميمية إلا مع رجال أورما. فى هذا السياق فإن الإنترنت خلق إمكانيات جديدة لبناء أنشطة لهويات جديدة وإنشاء روابط اجتماعية جديدة. لكن فى نفس الوقت كانت أنماط العلاقات التقليدية قد تغيرت، وسهل ابتعاد المرأة عن مجتمع "أورما" وكذلك قدراتهم لقمع وتخطيط ثنائيات الذات /الآخر، والوطن / وأى مكان آخر. يرى كوزما (Kusma 2002) أن تجربة الهجرة ترتبط بالقدرة على استكشاف علاقات حميمية من خلال عدم الكشف نسبياً عن الهوية والإحساس بالأمان على شبكة الإنترنت وفتح مجالات خلاقية، لتحرر الشخصية والتحول الاجتماعى على حد سواء.

السلوك الاجتماعى بعيداً عن الإنترنت - دعامات فعالة للواقع

كما يشير مثال "أورما"، فإن الإنترنت يوفر مجالاً للناس للانخراط فى عملية تواصلية لبناء الثقة، والإفشاء عن الذات، واكتشاف الآخر، فيما يتعلق باحتياجاتهم ورغباتهم القائمة على ردود الفعل. فالإنترنت يستطيع بطرق مختلفة، أن يكون نقطة انطلاق لعلاقات بعيدة عن الإنترنت، من خلال مواقع المواعدة، مثل موقع update.com وموقع Match.com. إن إقامة علاقة من خلال تفاعل نصى مكتوب تسهل تخفيف القيود البدنية، لكن مع مرور الوقت

تصبح وثيقة الصلة، واحتمال حدوث لقاء فعلى. ويخلص هاردى Hardey 2002 أنه بدلاً من اعتبار الإنترنت كعالم آخر من الهويات المتعددة، فهو "مجرد فضاء مختلف يمكن أن يلتقى فيه (الناس) ... ويستفيدون من وجود العديد من الخدمات والمصادر المعرفية." وفى الواقع وكما يشير (بودين وفريدلاند 6: 1994 Boden and Friedland) فإن الناس يوجدون دائماً فى مكان ما" و"الأحداث تجرى فى أماكن معينة والأشياء توجد فى علاقة مكانية وزمانية." تكنولوجيايات الإنترنت مثلها مثل الإمكانيات الاجتماعية التى تفرزها العولمة بشكل عام وتندمج بشكل متزايد فى الحياة اليومية. اكتشف باحثو الـ Pew/Internet 2004 أن معظم مستخدمي الإنترنت مازالوا يهملون الطرق التقليدية للاتصال، وشئون التعاملات للحصول على المعلومات والترفيه عن أنفسهم. وهكذا نجد أن هناك تركيزاً جغرافياً مستمراً من قبل الشركات الكبيرة والوسطاء الماليين للاستقرار فى المدن المهيمنة فى أقوى دول العالم- لتكون بمثابة دعائم للتواصل الفعال. فى المجالات التجارية لابد من وضع أهمية قصوى، بسبب الحاجة المتكررة لفهم الترتيبات المعقدة للتبادلات غير الرسمية والتعامل مع التوترات (أو المفاجئات) غير المتوقعة. هناك "معياران مختلفان" كما يقولون، يشيران بشكل عام إلى "أن عالم الإنترنت الافتراضى مازال يحتل المركز الثانى فى العالم الحقيقى فى إنجاز المهام اليومية، والاستمتاع بالتسلية." يبدى الناس فى كل مكان التزاماً ملحوظاً بالحديث وجهاً لوجه لتأكيد أوأصر الثقة من خلال حتمية المشاركة فى الوجود، ولأن الثقافة العالمية تعتمد على بنية الفعل المحلى. (بودن وفريدلاند 1994 Boden and Friedland). وبالنسبة لـ(بودن ومولوتش 1994 Boden and Molotch) فإن العلاقة الحميمة هى أساس الحداثة المتقدمة، وتظل المشاركة هى الأسلوب الأساسى للعلاقات الإنسانية. أحد أسباب ذلك هو أن المشاركة فى الوجود "وفيرة" بالمعلومات، ما دامت الكلمات دائماً ما يشتق منها معانٍ فى السياق ولغة الجسد. ولغة الجسد تقدم تلميحات للمعنى المقصود عن طريق الحركة البدنية والتواصل البصرى

وتعبيرات الوجه، التي افتقدت في الاتصال عن بعد. ومظهر الإنسان يتجلى من خلال (وضعه وقوفاً أو جلوساً أو سائراً)، كما يرى سيمميل (Simmel، فتركيته العضلية ونظرة العين للعين ينتج عنها إشارات حميمية. (Simmel 20- 109: 1997) أما اللمس فهو مفردات كاملة ذات مغزى عميق يزيد من كشف الذات ومداها- والناس ذات المستوى الراقى يقومون باللمس أكثر ممن هم أدنى منهم. المشاركة في الوجود دليل على الالتزام، أما بودن (Boden ومولوتش (Molotch فعلى النقيض بالنسبة للعمل الجماعي، والأصدقاء والمحبين، لعدم الاهتمام بالسلوك المهدب في التفاعلات غير الشخصية. توقيت المحادثة مهم لأنه يزيد الميل لاتخاذ علاقات اجتماعية تضامنية. فعلى سبيل المثال، فالرد السلبي على طلب من الممكن أن يعوق روابط التضامن، لكن التأخر في الرد يمكن أن يسمح بسحب الطلب. وحتى تستطيع الجهات المعنية استخدام الوقت لتحقيق التضامن والثقة يجب أن يكون هناك حد أدنى بينهما. المشاركة في الوجود تصبح أكثر ملائمة لنشر الفروق الدقيقة في التفاعل الاجتماعي عن الاتصالات القائمة على الإنترنت^(٢٠).

في النهاية، فإن الاتصال عبر الإنترنت لا يعادل المواجهة وجهًا لوجه، وقد تكون طبيعة العلاقات الاجتماعية على الإنترنت أشبه بالخصائص المتداولة في حفل الكوكتيل أكثر من التبادل في المجتمعات المتماسكة. يتطلب المجتمع الافتراضي مجتمعًا حقيقيًا سابقًا عليه حتى يقوم بمهمته بنجاح (مسزئال (Misztal 197 and 193: 2000)). ومع ذلك، فإن الشبكات الإلكترونية قد تكون متشابهة إلى حد ما للاتصال وجهًا لوجه، إذ تنتشر المعلومات عبر الشبكات بسرعة فائقة، فعلى سبيل المثال، فهي تنفادى المراقبة والتسلسل الهرمي، رغم انقضاء المواجهة وجهًا لوجه. (مسزئال (Misztal 183: 2000)). الناس لديها رغبة في استخدام اتصالات الإنترنت والثقة فيها على وجه الخصوص، رغم اعتمادها على الدعامات الاجتماعية المحيطة بهم، التي تعزز استخدام الكمبيوتر. وقد وجد (كيسر) وآخرون

(Keser et al 2002) أن استخدام الإنترنت عبر عدد كبير من البلدان، أقام علاقة تبادلية مع درجة الثقة المحلية، التي تقاس بواسطة المسح التقييمي العالمي، وهذا يفسر أن ثلثي من يتبنون استخدام الإنترنت، خضع لمتغيرات وثيقة الصلة مثل عدد أجهزة الكمبيوتر في البلد التي تم الإحصاء فيها.

خاتمة

الإنترنت مصدر لضغط الزمان والمكان، وذلك شيء أساسي للعولمة وهو في نفس الوقت، أكثر المجالات العامة عولمة، وأكثر الأماكن الخاصة حميمية ويتم الوصول إليها بشكل منعزل. في المجتمعات العولمية يشعر الناس بجزء من عالمهم، و"بالقرية" في نفس الوقت. هناك تباين في الآراء عما إذا كان الإنترنت ينذر بعالم مجرد من الإنسانية فقد هويته وأصالته أو هو صورة عاكسة لذلك، وتحرر من مكان متجسد - أو نقول ثانية، إنه مجرد مجال أو وسيط للاتصالات، بجانب وسائل أخرى عديدة. الرؤية التي عرضت هنا أن استخدام الإنترنت متضمنة عضويًا داخل الأنماط الاجتماعية للحياة المحلية، وفي إطار علاقات اجتماعية مقيدة تشكل العلاقات الاجتماعية. الجهات الفاعلة في مجال الاتصالات الإلكترونية تستولد وسائل ستصبح معروفة لجهات فاعلة أخرى. كان هناك نمو سريع في استخدام التجارة الإلكترونية، على سبيل المثال لكن ذلك لم يتم صياغته بشكل كامل في العالم - وعلى الأصح أنه نشأ من خلال قرارات واعية بشأن استخدام تقنيات تسويقية متعددة. وهذه التقنيات بدورها تكونت بمثل هذه القرارات ونوعيات الاتفاقيات التي شكلت حولها (ليشون وآخرون 2005). (Leyshon et al 2005).

وجود مجالات عولمية من الاتصالات مازال يفترض مقدمًا أن المعنى الاجتماعي ينشأ في سياقات خاصة اجتماعية وجغرافية وثقافية كانت محددة زمنيًا. أحد تأثيرات العولمة أن القدرات المحلية السابقة، أصبحت عالمية، رغم أن كل ما لم يكن عالميًا لم يكن قابلاً للتحويل ولا للتصنيف. وهذا شيء لزوج يتبدى في الفعل الاجتماعي. لكن ذلك يعتمد أكثر على القرب المكاني،

لأنه يتضمن مفاهيم مشتركة، واتفاقيات، وقيم وتوقعات وأساليب روتينية تتبع من الخبرة العامة. الإنترنت قادر على ربط الغرباء وجهًا لوجه، لكن إزاء ٦٠٠ مليون مستخدم فإن المجال متسع للجماعات لتطوير روابط وثيقة، إلا إذا كانوا على علاقات خارج نطاق الإنترنت، أو أشكال تقنية تشكل جماعات شبه مغلقة. إن دمج الإنترنت في الحياة اليومية سوف يمضي قدمًا من خلال برمجيات (software) التي تمكن الناس من التواصل بشكل غريزي على مستوى ضمني. المعرفة الضمنية دائمًا ما تكون موجودة في المواقف الاجتماعية التي تعتمد على المواجهة وجهًا لوجه، لكن عدم الكشف عن الهوية على الإنترنت تسمح بتشويشها بتبديل الهوية، بمداخلات فاحشة وتطرف سياسي. البرامج الاجتماعية على النت تحاول الوصول إلى البعد الضمني للحياة الاجتماعية اليومية، من خلال توسيع نطاق نشر الرموز - مثل دمج الموسيقى والصور إلى النص. (دافيز 2004: 40) تستخدم التفاعلات الإلكترونية برمجيات السوفت وير مثل برنامج الرسائل الفوري instant messenger، الذي تم تصميمه ليتزامن بالتفاعل في وقت واحد لمواجهة البريد الإلكتروني التي يمكن التقاطه متأخرًا، إلا أنه من الأفضل استخدام ذلك بالنسبة للمجموعات الصغيرة أو اتصال فرد بفرد. وإلى حين أن تُغير تقنيات المعلومات والاتصالات بنية الحياة اليومية من خلال ابتداع تقاليد جديدة، فإن البرمجيات software لا تستطيع إعادة تشكيل الحياة اليومية أو استبدالها، ولا يمكن لها استحضار مجتمع مزدهر بطريقة سحرية من فراغ (دافيز 2004: 42). هناك مواقع مثل upmystreet من الممكن أن تقدم خدمات دون ادعاء من أحد بأنه سوف يقوم بأى شيء بشكل درامي مثل تغيير المجتمعات أو إعادة إحياء الديمقراطية، أو خلق شبكات غنية من الصداقات المحلية (دافيز 2004: 42). بل يمكنها الاحتفاظ بالعلاقات عبر المسافات، وعبر سور الحقيقة، وعبر العالم، وتخلق نوعًا من العالمية المحلية "الكوزموبوليتانية" (دافيز 2004: 58) من خلال الشبكات والأفراد.

اتصالات الإنترنت دلالة على الغربة فى "عالم متحرك" يعيش فيه العديد من البشر، ولديهم إمكانية التجول فيه. كانت العلاقات الاجتماعية السابقة تتسم بالصلابة، إلا أنها أصبحت الآن أكثر سيولة وتواجه باختزال الفضاء الإلكتروني السريع فى الدخول - والخروج من الإنترنت - قريباً أو بعداً - وعلى أى حال فإن الإنترنت الاجتماعى أصبح أحد وسائل الإعلام فى الوجود الاجتماعى كإنجاز مقيد، مثل تطورات العولمة الأخرى بواسطة الجهات الفاعلة الكامنة (أو المتجسدة) داخل الأطر الاجتماعية.

الفصل الخامس

عدم المساواة العالمية والحياة اليومية

"رأيت حشوداً غفيرة، قُدر لها العيش فى الظلام والقذارة
والوباء والبذاعة والبؤس والموت المبكر".

تشارلز ديكنز، رؤية فى شهر ديسمبر، ١٨٥٠م

من بين الموضوعات التى يتناولها هذا الكتاب موضوعان. الأول، استكشاف السبل التى تركز عليها العولمة فى الفعل الاجتماعى والاتصالات. والثانى مناقشة مدى الأهمية لاستمرار ملائمة الأفكار الرئيسية فى النظرية الاجتماعية الكلاسيكية. يتناول هذا الفصل هذين الموضوعين مع الإشارة إلى عدم المساواة الاجتماعية وتبعاتها. ما بين الستينيات والثمانينيات من القرن العشرين، دار النقاش حول العلاقة بين الأمم المتقدمة الثرية والدول الفقيرة النامية إزاء التحديث مقابل التبعية للنظم العالمية. غير أن الأحداث التى جرت أثناء الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين أحدثت تحولاً جذرياً فى النقاش ودعمت بشكل ملحوظ تطورات العولمة الاقتصادية (باب ٢٠٠٥ Babb). فى أعقاب أزمة دين العالم الثالث وانهيار نظام اللوائح الخاص ببريتون وودز Bretton Woods، الذى نشأ بعد الحرب، كانت سياسات البنك الدولى وصندوق النقد الدولى تملئها الأيديولوجية الليبرالية الجديدة التى أصرت على أنه من خلال تحرير قوى السوق فقط يمكن للدول الفقيرة "للحاق" بركب العالم النامى. ما كان ما يطلق عليه "إجماع واشنطن". وبمشاركة الإدارة الأمريكية رأى كل من البنك الدولى وصندوق النقد الدولى أنه ينبغى تقديم الدعم المالى للدول النامية فقط مقابل شروط تتضمن بشكل

عام تقليص حجم التضخم في هذه الدول وترشيد النفقات العامة وتحرير النشاط الاقتصادي من اللوائح. كان من أحد مظاهر هذا التصور، التعديل الهيكلي الذي أسفر عن برامج أصرت على الخصخصة والتسويق وتحرير (التجارة) ك شروط للحصول على قروض جديدة أو إعادة جدولة ديون سابقة. هذه الاستراتيجية العالمية (التي تم فرضها أيضا على دول ما بعد الشيوعية) فتحت أعين المواطنين على أثر رأس المال العالمي إلى حد غير مسبوق وغيرت من مسار النقاش الدائر حول الفقر العالمي.

يدور الآن جدل واسع حول آثار العولمة على عدم المساواة الاجتماعية داخل الدولة الواحدة وما بين الدول المختلفة، خاصة بين الدول النامية والدول المتقدمة. يتناول هذا الفصل هذا الجدل على حين يناقش آثار عدم المساواة العالمية على الحياة اليومية. كما سيناقش تأثير الشركات عبر الوطنية. كما يتناول هذا الفصل أيضا العلاقة بين التنمية الرأسمالية وأوجه التضامن الاجتماعي على النطاق العالمي. لقد شهد القرن العشرون ما يمكن اعتباره أحد أهم التغيرات الاجتماعية في العصور الحديثة وهو ما يسميه أراغي Araghi "القضاء العالمي على الفلاحة". في بداية القرن العشرين، كان غالبية سكان العالم يشتغلون في الزراعة ويعيشون في المناطق الريفية. بحلول عام ١٩٥٠م، أصبح ٢٩٪ من سكان العالم و ١٦٪ من سكان الدول النامية يعيشون في المناطق الحضرية. بحلول عام ٢٠٠٠م، عاش في المناطق الحضرية ٥٠٪ من سكان العالم و ٤١٪ من سكان الدول النامية وأصبحت الفلاحة مهنة الأقلية (أراغي 2000 Araghi). وقد أسفرت هذه العملية - كما هو الحال مع نمو الرأسمالية الحضرية في أوروبا - عن طرد العمالة الريفية والتوسع السريع للعلاقات التجارية داخل الريف. على أي حال، ففي حين وفر إطار الرأسمالية القومية سياقاً وطنياً لتنظيم الحركات الاجتماعية وخطوات تدريجية لتخفيف آثارها، فالنزوح العالمي من الريف سريع للغاية وبدرجة كبيرة غير منظمة. وترتبط الكثير من المشكلات العالمية المعاصرة كالهجرة والصراعات الاجتماعية بهذه العملية.

فى نفس الوقت، أكدت الكثير من التقارير الاقتصادية الاجتماعية، تأثير التطورات الاقتصادية للعولمة إلى حد استبعاد النقاش لأن الاقتصادية جزء لا يتجزأ فى إطار تكوينات الفضاء والهوية والشبكات الأسرية والعمل الاجتماعى والدلالة الاجتماعية. تؤكد حالات الدراسات العالمية المتعمقة لقطاع الزراعة فى مجتمعات صغار الملاك والتى ناقشها خلال هذا الفصل، على التكامل المعقد لهذه الأبعاد الخاصة بالمناطق الاجتماعية. إن قضية كسب العيش وهو أمر يحتل أهمية كبرى فى النقاشات الدائرة حول المسلك الاقتصادي يتضمن العديد من الأبعاد المحلية والثقافية والبنوية والعمل والتأقلم. ينبغى أن يدعم هذا الجدل حاجتنا إلى فهم كيف أن النفوذ العالمى والمال قادر على التغيير ويتبدل أيضاً ويسوى الخلافات كوسيط بطرق متنوعة، وغالباً ما تكون النتائج مختلفة ومتباينة.

العولمة وعدم المساواة

هناك نقاش يستحق التقدير حول تأثير العولمة على عدم المساواة العالمية والتمايز الاجتماعى وفيه يتبنى مؤيدو العولمة الاقتصادية - خاصة من قبل الهيئات الدولية كالبنك الدولى (٢٠٠٦م) الرأى القائل بأن العولمة تعود بالنفع على التجارة الدولية غير أنها أيضاً الطريقة المثلى لتمكين الشعوب والدول الفقيرة. على الجانب الآخر، يقول ناقدو العولمة أنها تزيد من ثراء نخبة عالمية على حساب العمالة والدول الفقيرة والبيئة، على حين تسلب الحكومات القومية القدرة على الاستجابة لذلك. دفع إلى هذا النقاش التحزب القديم وعملية الشد والجذب للسياسات التوزيعية مقابل السياسات المؤيدة للسوق. هناك حاجة ملحة لعلماء الاجتماع وغيرهم من العلماء الاجتماعيين لتدبر هذه النقاشات وتحقيق زيادة فى الوضوح وليس تعقيداً أكبر وبناء على فهم أكثر تطوراً للقضايا. فعلماء علم الاجتماع يعلمون تماماً أن وضع المعايير أمر فى غاية الأهمية فيما يتعلق بكيفية البرهنة على كل

موقف متطور، بناء على ما يتم استخدامه من معايير العولمة- مثل التدفقات العالمية للمال والتجارة على سبيل المثال أو انفتاح النظم الحاكمة بالبلاد على الاستثمار- وسيحصل المرء على نتائج مختلفة فيما يتعلق بمدى وآثار العولمة. بالمثل- يمكن قياس عدم المساواة داخل الأمم وبينها، بطرق كثيرة على سبيل المثال من خلال أسعار البورصة وتكافؤ القوة الشرائية ومعامل جيني- ومجموعة المعايير المستخدمة سوف تدعم مواقف مختلفة (برون وجاريت 2005 Brune and Garrett).

من جهة أخرى يقول المتحمسون للعالمية أن آثارها إيجابية وأن التكامل مع الاقتصاد العالمي يزيد من النشاط الاقتصادي ويرفع من مستويات المعيشة. كان لآثار العولمة أن حركت الدول في اتجاه سياسات أكثر ميلاً للانفتاح على الخارج، الأمر الذي كان سبباً رئيسياً في النمو، رغم أن هذا ليس له بالضرورة أثر كبير على عدم المساواة داخل الدول. رغم ذلك يقول شانج يون وي (Chang- Jun Wei 2002) إن المدن الصينية الأكثر انفتاحاً على العولمة شهدت انخفاضاً في معدل عدم المساواة؛ حيث أدى الاستثمار والنمو إلى تحسين مستوى رخاء مجتمعات بأكملها. (ليجرين 2002: Legrain 52- 49) يزعم أنه في عام ٢٠٠٠م أصبح نصيب الفرد من الدخل أربعة أضعاف ما كان عليه عام ١٩٥٠م. ما بين عامي ١٨٧٠ و١٩٧٩م، تضاعف إنتاج العامل الواحد ٢٦ مرة في اليابان و ٢٢ مرة في السويد. وفي العالم كله في عام ٢٠٠٠م تضاعف الإنتاج عما كان عليه عام ١٩٦٢م. الأهم- كما يقول هو- "الحقيقة الموثقة" أن هذه الدول التي ظلت خارج نطاق الاقتصاد الرأسمالي العالمي كان أداؤها أقل من تلك التي انخرطت في هذا الاقتصاد. الدول الفقيرة المنفتحة على التجارة الدولية أحرزت نمواً أسرع ست مرات في السبعينيات والثمانينيات عن تلك التي عزلت نفسها عنها؛ إذ أصبح النمو ٤,٥ ٪ سنوياً بدلاً من ٠,٧ ٪. بالمثل رأى كل من دولار وكراي (Dollar and Kraay 2001) اللذين قاما بتقييم البيانات المجموعة من ٨٠ دولة عبر أربعة عقود، رأياً أن الانفتاح على التجارة الدولية يساعد الفقراء، فحين

يرتفع إجمالي الناتج المحلي ١٪، فإن دخل الفقراء يزيد بمعدل ١٪ أيضاً، وفي الدول المتعولمة ارتفع إجمالي الناتج المحلي بمعدل ٥٪ في التسعينيات في حين كان ارتفاع إجمالي الناتج المحلي في الدول غير المتعولمة ١,٤٪ فقط سنوياً. الفقراء - بوجه عام - يصبحون أكثر ثراء في الدول المتعولمة. علاوة على ذلك، فقد أعلن البنك الدولي أن نسبة الأشخاص الذين يعيشون بدولار واحد يومياً (والذي تم تعديله بسبب التضخم والقوة الشرائية) قد تقلصوا إلى النصف ما بين عامي ١٩٨٠ و ٢٠٠٠م.^(١) وفقاً للبنك الدولي، ما بين عامي ١٩٩٠م و ٢٠٠٥م انخفض عدد من يرزحون تحت وطأة الفقر المدقع من ٢٨٪ إلى ٢١٪ من إجمالي عدد سكان العالم، رغم تسمي عدد السكان في هذه الفترة، الأمر الذي يعكس انخفاضاً في منحنى الفقر بمعدل ١٥٪. رغم ذلك، فإن هذا التوجه لا يتناسب بشكل كبير عالمياً مع الفقر الذي يؤثر على ٧٠٪ من السكان في بعض البلاد كهؤلاء الذين في جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا. في شرق آسيا، تضاعف عدد الأشخاص الذين يعيشون عند خط الفقر ما بين عامي ١٩٨١م و ٢٠٠٥م إلى ٣١٣ مليوناً (هيئة الاستعلامات التابعة للأمم المتحدة عام ٢٠٠٥م).

على الجانب الآخر، يقول نقاد هذه المزاعم - مثل تشوسودوفسكي (Chossudovsky 1997) أنه ينبغي استخدام معاملات أكثر تفصيلاً لقياس الفقر.^(٢) يقول تشوسودوفسكي إن معيار - دولار باليوم - هو على طرف انقيض تماماً من المناهج العريقة التي تستخدمها الحكومات الغربية والمنظمات الحكومية الدولية لتعريف وقياس الفقر في الدول المتقدمة. ففي الغرب، تقوم طرق قياس الفقر على أدنى مستويات الإنفاق المنزلي المطلوب للوفاء بالنفقات الضرورية للغذاء والملبس والمأوى والصحة والتعليم. في الولايات المتحدة في الستينيات قامت إدارة الأمن الاجتماعي بتحديد (عتبة الفقر) تكونت من ثلاثة أضعاف تكلفة أقل وجبة كافية للسماح بنفقات أخرى". تم وضع هذه المعايير بناء على إجماع واسع في الإدارة الأمريكية،

غير أن بيترز (Pieterse 2004: 166n) يزعم أن البنك الدولي جعل القوة الشرائية للدولار الواحد عام ١٩٨٥م بدولار و٨ سنتات عام ١٩٩٣م دون مراعاة التضخم في الولايات المتحدة الأمريكية كأحد المعايير وأن السماح بذلك يقلل من خط الفقر العالمي بحوالى ١٩,٦٪.

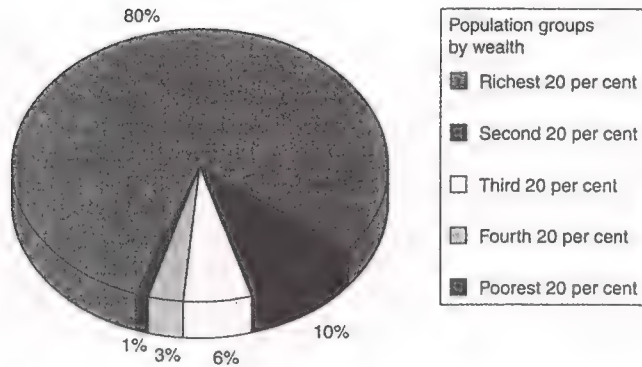
وفى الواقع يمكن القول بأن الأنماط العالمية لعدم المساواة قد أصبحت مستقطبة بشكل متزايد. علاوة على ذلك، يرى بيترز Pieterse أن هناك تركيزًا واسعًا على الفقر الذى يعد بشكل نسبي مفهومًا غير خاضع للتسييس يدعو إلى إيجاد حلول تقنية والقليل من الاهتمام الذى يدعو للتشكيك فى العلاقات الأساسية للسلطة والطبقة الاجتماعية من الممكن أن يحدث انخفاضاً لمعدلات الفقر المدقع بالتوازي مع زيادة نسبية لعدم المساواة من خلال اتجاهات مختلفة تمامًا. يزعم بيترز Pieterse أن ثلث سكان العالم يعيشون بأقل من دولار واحد فى اليوم وأن ٢,٨ مليار شخص من إجمالى ٦ مليارات شخص يعيشون تحت مغبة الفقر (أقل من دولارين يوميًا) فى بواكير تسعينيات القرن العشرين. ووفقًا لبيانات منظمة الأمم المتحدة، فإن العشرين بالمئة الأكثر ثراءً بالعالم "يملكون" ٨٠٪ من الثروة على حين يملك العشرون بالمئة الأفقر فى العالم ١٪ فقط من الثروة (راجع الشكل ١-٥).^(٣) هذه الحصص تمثل زيادة نسبية فى عدم المساواة العالمية منذ عام ١٩٦٠ حين كانت حصة الدخل العالمى الذى يحصل عليه الأثرياء ٧٠٪ والفقراء ٢٠٪. وقد ارتفعت نسبة الأفقر إلى الأغنى فى العالم خلال هذه الفترة من ٣٠:١ إلى ٦١:١ وبحلول عام ١٩٩١م، حصل ٨٥٪ من سكان العالم على ١٥٪ من الدخل العالمى (بيترز 2004 Pieterse).

عدم المساواة هذه حدثت بالطبع قبل ميلاد العولمة، لكن كانت هناك إجراءات عالمية تحافظ على نظام اجتماعى غير عادل. يرى ستيجليتز (Stiglitz 2002: 214) أنه على حين نؤكد على المزايا الفعلية المحتملة الناجمة عن العولمة، فقد أفرز الشكل الذى اتخذته العولمة (ودور صندوق النقد الدولى

بشكل خاص) دخولاً تزداد انخفاضاً وفقراً يتزايد في كثير من مناطق العالم. توجد أوجه خلل كثيرة في النظم التجارية العالمية مما يسيء إلى الدول النامية، فعلى سبيل المثال، قامت التكتلات التجارية الكبيرة مثل الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة بفرض رسوم مرتفعة على الواردات من الدول النامية وزادت بالنسبة للمنسوجات حوالى ٤٠٪ من قيمتها (أوكسفام 1: Oxfam 2004). نعود ثانية لنذكر أن مبالغ الدعم للمزارع بالاتحاد الأوروبي (٣,٤ مليارات جنيه إسترليني عام ٢٠٠٥م) وأضخم بكثير من ميزانية المعونة الأفريقية المقدمة من الاتحاد الأوروبي (٢,٣ مليار جنيه إسترليني) على حين تغلق العوائق التجارية الأسواق أمام السلع الزراعية والمصنعة من العالم النامي (هيل 2005 Hale).

المجموعات السكانية الثرية

- أثرياء جداً بنسبة ٢٠ في المئة
- ثانياً بنسبة ٢٠ في المئة
- ثالثاً بنسبة ٢٠ في المئة
- رابعاً بنسبة ٢٠ في المئة
- فقراء بنسبة ٢٠ في المئة



شكل ١-٥ توزيع الثروة العالمية

المصدر: برنامج التنمية للأمم المتحدة 1998

علاوة على ذلك، فإن الأبحاث المقدمة لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية عام ٢٠٠٢م تشير إلى أنه في السنوات الأخيرة سعت الدول النامية جاهدة وغالبًا بكلفة عالية من أجل:

"الاندماج بشكل أوثق مع الاقتصاد العالمي... غير أنه في مواجهة أوجه الاختلال والتحديات المتأصلة في النظم المالية والتجارية الدولية، فإن المكاسب من الاندماج من أجل نمو أسرع وفرص عمالة أكبر ومعدلات أقل من الفقر كانت مخيبة للآمال حتى الآن. إن انهيار النمر الآسيوية منذ عام ١٩٩٧م كشف عن الضعف الكبير الذي تعاني منه حتى أقوى الدول النامية. إن المدى الذي أسهمت به السياسات التحريرية نفسها في هذا المجال مخيب أيضًا للآمال... كما أن التدهور الحاد في شروط العمالة خاصة بين غير الماهرين هو السبب الرئيسي في تخفيض معدلات الفقر حتى الآن وتأخره عن التعافي الاقتصادي في شرق آسيا. في الواقع، فإن الدراسات التجريبية تشير إلى أن هناك تباينًا كبيرًا في الأثر الذي يحدثه النمو والأزمات على الفقر في الدول النامية. فآثر على نسبة ما من النمو في تخفيف وطأة الفقر بشكل أضعف بكثير من أثر انخفاض موازٍ في إجمالي الناتج المحلي على تضخم معدلات الفقر. (أكيوز وآخرون 2002 Akyuz et al)

لقد أدى تحرير وعولمة رأس المال إلى انخفاض التكاليف. فالقليل من العاملين في اقتصاديات الصناعة المتقدمة على استعداد لتحمل الشروط التي يخلقها هذا النموذج الجديد. الطرز الجديدة لأنظمة العمل المرنة ليست بحاجة فقط لعمالة مرنة ولكن لعمالة مرنة في منتهى المهارة؛ لأنه كي يتم تحقيق المنتج بشكل سريع من الضروري أن يتوفر فائض من هذه العمالة. كان يفى بهذا الاحتياج المهاجرون الذين تم جذب الكثير منهم إلى أوروبا بسبب انهيار الأسعار الزراعية في بلادهم، هؤلاء الذين لم يكن لديهم سوق كبيرة أو نفوذ سياسى يقبلون ما يعرض عليهم وغالبًا ما يكون في وظائف غير قانونية لا تضبطها اللوائح ويمكنها أن تنتهي ككارثة خليج موركامب (المملكة المتحدة) التي حدثت عام ٢٠٠٤م بمأس حين توفي ٢٣ عاملًا مهاجرًا صينيًا عندما

كانوا يصطادون سمك الكوكل في موجة مد عاتية (سونج 2004 Song) وبدلاً من حماية المهاجرين تقوم الدول المتقدمة بإحكام الرقابة على الحدود وتجاول إزاحة هؤلاء الذين يتوجهون إلى مناطق ليست في حاجة لمهاراتهم، متخليين بشكل غير منطقي أنه يمكنهم الاستمتاع بحرية حركة البضائع ورأس المال التي سببتها العولمة، غير أنه يمكنهم وقف حرية حركة العمالة التي صاحبتهما بشكل حتمي (لورانس 2004 Lawrence).

يرى بيرونز (Perrons 2004) أن الفقراء في كل من الدول الغنية والفقيرة قد تعرضوا لتخفيضات حقيقية في مستويات المعيشة منذ عام ١٩٨٠م نتيجة لتغيرات في نظم العمل، وانخفاض في الرعاية الاجتماعية في البلاد وتراجع العمالة في القطاع العام. إن إعادة الإنتاج الاجتماعي يتزايد خطورة ويزيد العبء على كاهل المرأة بسبب تفتت الأسر إزاء هجرة أعضائها داخل وطنهم أو دولياً، من أجل زيادة دخل الأسرة التي تعتمد بشكل متزايد على التحويلات المالية لتدني الدخل من الزراعة. تنشأ مواقع للمهاجرين العالميين مثل أولئك بدول الخليج التي يعمل فيها تقريباً عشرة ملايين مهاجر - بلا مهارات في الغالب أو بمهارات محدودة. هؤلاء يمثلون جزءاً مهماً في الاقتصاد العالمي؛ حيث بلغت تحويلاتهم المالية ٨٠ مليار دولار في عام ٢٠٠٢م (بعد أن كانت حوالي ٦٠ مليار دولار عام ١٩٩٨م). يتم إرسال هذه التحويلات المالية بصفة رئيسية إلى الهند (١٠ مليارات دولار) والفلبين (٦ مليارات دولار) وبنجلاديش ومصر والأردن ولبنان والمغرب (مليارات دولار) (منظمة حقوق الإنسان ٢٠٠٣م). رغم أن هؤلاء العمال المهاجرين يعانون من التمييز ضدهم والاستغلال وإساءة المعاملة، فتوجد أعداد كبيرة من النساء بين المهاجرين يعملون كخادمات في المنازل يتعرضن لخطر التهديد والعنف على أيدي أصحاب العمل والمشرفين والكفيل ورجال الشرطة وقوات الأمن. غالباً ما يقوم الكفيل أو صاحب العمل بمصادرة الأوراق الرسمية الخاصة بالمهاجرين بما فيها جوازات السفر والتصريح بالإقامة وغالباً ما يعجز المهاجرون عن الحصول على تأشيرة خروج دون موافقة

الكفيل أو صاحب العمل، "الأمر الذى يضعهم أحياناً فى مواقف تصل إلى حد العمالة بالإكراه" (منظمة حقوق الإنسان ٢٠٠٣م).

على الرغم من ذلك فإن الاتجاهات العالمية لا تزال متفاوتة إلى حد بعيد. منذ عام ١٩٨٠م حدث هناك تزايد سريع فى عجلة التنمية الاقتصادية بآسيا، خاصة فى الصين والهند وبنجلاديش وفيتنام يوازيه أداء اقتصادى ضعيف فى إفريقيا (جروين وأوبراين 2002-2001 Gruen and O'Brien). شهدت شرق آسيا زيادة كبيرة من عدم المساواة مع تباينات شاسعة ما بين الجماعات ذات المهارات العالية وذات المهارات الضعيفة والمناطق الغنية والفقيرة والمناطق الحضرية والريفية. فى الوقت ذاته كان هناك تفاوت متزايد فيما يخص الأجور فى دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية ما بين عامى ١٩٨٠ - ٢٠٠٠م نتيجة للكثير من العوامل المرتبطة بالعولمة- مثل انخفاض الرعاية الاجتماعية والتغير التكنولوجى وعدم التصنيع وتدهور حال الصناعات التقليدية وتدهور التفاوض الجمعى لنقابات العمال، والتراكم المكانى للشركات التى خلقت ممرات تتسم بالثراء، ومناطق نائية يسودها الكساد. الجدل حول هذه القضايا يتسم بالتعقيد ويمكن تحديد العديد من التوجهات التى تشير كل منها إلى اتجاه مغاير. لقد كان لعولمة السلع وعلاقات السوق من خلال الإطار المؤسسى لليبرالية الجديدة وإعادة الهيكلة السياسية الاجتماعية آثار كبيرة على العلاقات العالمية الاجتماعية وأمن الحياة فى الكثير من المناطق النامية. سنقوم بدراسة هذا الموضوع الآن.

الرأسمالية فى مواجهة التضامن

"النمط الرأسمالى لتخصيص الموارد... يُنتج ملكية رأسمالية خاصة... وحرمان الفلاح المُنتج الزراعى من الأرض الزراعية هو أساس العملية بالكامل. تاريخ هذه المصادرة يختلف باختلاف الدول".

(ماركس 1976: 704)

تربط الرأسمالية العالمية المواقع فى دوائر عالمية للتبادل، ومن ثم تتأثر الحياة اليومية فى القرى التى كانت تعد نائية فى السابق بشكل كبير بتقلبات الأسعار العالمية وسلاسل العروض والقرارات التى يتخذها المخططون فى الشركات على بعد مئات أو آلاف الأميال. يصف جيدينز Giddens هذه العملية بأنها "المباعدة الزمكانية" (جيدينز 1990: 64)، والتى يراها "كنتيجة حتمية للحدثة". النقطة الحيوية الحاسمة هنا هى التوسع فى رأس المال والتبادل النقدى الأمر الذى يؤدى إلى تدهور الأشكال التقليدية للإنتاج وأنماط الحياة، كما يؤدى أيضا إلى الهجرة الجماعية للأفراد من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية وكل ما يترتب من آثار على الأسر والمجتمعات والمدن، التى أصبحت ذاتها مواقع تفكيك متزايد للتضامن الاجتماعى. ومن ثم، لاحظ ماركس أن "الرأسمالية تغرق المشاعر فى المياه المتجمدة لحسابات الأنانية" (1977:225). يدور النقاش فى هذا القسم عما إذا كان ظهور الرأسمالية أدى إلى تفكك اجتماعى (وهذا يتناقض مع تكهنات ماركس) رغم قيام الرأسمالية الغربية للتضامن الاجتماعى بالتخفيف من عواقب ما بعد الحرب العالمية. وفى نفس الوقت كانت هناك جهود عالمية لفعل ذلك. غير أنه أثناء السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين تعارضت هذه الاستراتيجيات مع ظهور الليبرالية العالمية الجديدة الصاعدة آنذاك الأمر الذى ترتبت عليه آثار مهمة على نمط العولمة. موضوع هذه النقاشات هو أن التطورات والتدفقات العالمية تشكلها علاقات اقتصادية اجتماعية متعددة ومتأصلة فى الفعل الاجتماعى والاتصالات.

يرى ماركس أن الرأسمالية اكتسحت أشكال الإنتاج وأنماط الحياة قبل الرأسمالية حتى لو - كما تبين المقولة السابقة - فقد كان لهذا أن يحدث بطرق مختلفة فى دول مختلفة. الرأسمالية تمتلك تأثيرات ثورية ومدمرة على العلاقات الاجتماعية قبل الرأسمالية، وهى العملية التى تتكرر على مستوى العالم من خلال العولمة، إلى حد ما، كما تخيل ماركس حدوثها. يرى عديد

من الكتاب أيضا (مثل مور 1969 Moore)، أن التحديث ينطوى دائما على انتزاع القيمة من الزراعة لتزويد رأس المال الصناعي بالوقود، ومن ثم تغيير المجتمع الريفي وإما القضاء على إنتاج المزارع الصغيرة لصالح المزارع الرأسمالية الكبرى أو الإبقاء عليها مع انتزاع المزيد منها. إن تحويل العمالة والموارد الطبيعية إلى سلع إبان ترسيخ الرأسمالية كان غالبا سبب الصراعات المريرة بين الفقراء (عادة) والذين لا حول لهم ولا قوة ويحاولون الدفاع عن الحقوق المعتادة وفرض سياج حول الموارد التي كانت من قبل متاحة للجميع كأراضي المراعي وأخشاب الغابات والتعدين. هذه الصراعات انطوت على تجريم لهؤلاء الذين يواصلون محاولة ممارسة الحقوق التقليدية حتى ماركس نفسه تم تسييسه من قبل الصراعات حول "سرقة" الأخشاب في مقاطعة موسل بألمانيا؛ حيث تتعارض ممارسة الحقوق القديمة للفلاحين في جمع الحطب مع تسويق الزراعة. ولقد أشار إلى ارتفاع حالات الإذانة "سرقة الحطب" بشكل كبير في بواكير الأربعينيات من القرن التاسع عشر مع ارتفاع قيمة الفحم النباتي، حتى إن الفحم بدا كما لو كان "معبود أهل الراين" (ماركس 1977: 391). كان يكمن وراء هذه العملية اعتداء أكثر تأصلاً على الأشكال السابقة للرأسمالية للتضامن الاجتماعي القائم على عدم المساواة وعلاقات اجتماعية معقدة تلتزم بالتقاليد الذاتية والمحلية، إذن فالعلاقة النقدية نقوض الأشكال قبل الحديثة للتضامن الاجتماعي، إلا أن تخيل هذا الأمر يمكن أن يتم إيقافه وعودة الحياة إلى سماع لحن رعوى يتسم بالرومانسية لأقوى ازدراء ماركس ("الذي أشار إلى سذاجة الحياة الريفية"). إن "ضرورة" هذه التطورات رغم ذلك أصبحت موضوعاً للجدل خلال حياة ماركس وفي العقود التالية لذلك كما سنرى لاحقاً.

رغم أن ذلك قد يبدو عملية غائبة تحدث من وراء ظهور الأطراف الفاعلة، وماركس بالتأكيد يمكن قراءته بهذه الطريقة. فقد حاول أيضا أن يثبت أن أشكال الحياة التي تبدو كما لو كانت مستقلة عن القوة البشرية

هى فى واقع الحال نتاج لعلاقات اجتماعية وفعل منظم. كان هذا هو المقصد الرئيسى لمقاله النقدى "عبادة السلع" - إذ يبدو أن السلعة ، خاصة فى أعمال الاقتصاديين "البرجوازيين"، كان لها حياة خاصة بها داخل سوق يتسم بالتوازن الذاتى تحكمه "قوانين" العرض والطلب. وفى الواقع، فإن السوق وآليات الأسعار والقيمة تتداخل مع العلاقات الاجتماعية للنفوذ والاستغلال التى من خلالها يتم مصادرة القيمة من أيدى المنتجين المباشرين، وفى الواقع فإن الأسواق الآن أشبه بوسائل الإعلام تحرر وهم الواقع الذى تفرزه، الذى يحجب الحقائق التى أفرزتها- الأيادى التى خلقتها لا يمكن أن ترى (أراغى 2000 Araghi). علاوة على ذلك، فإن الأسواق ووسائل الإعلام إلى جانب ظواهر العولمة الأخرى تتبدى فى بعض النظريات المعاصرة كعمليات قائمة بذاتها. إلا أن الحياة الاجتماعية تتم من خلال ممارسات ومعايير وعلاقات تبادلية تتداخل مع الحياة اليومية، والسوق ما هو إلا واحد ضمن الكثير من الوسائل لضبط عمليات التبادل الاجتماعى. الحياة الاجتماعية (تحصل على الثبات) من خلال الهياكل المؤسسية والعلاقات المعقدة للتبعية والتبادل الذى يمكن أن يكون محلياً أو يمتد عبر القارات، "أما الإكراه المملى للعلاقات الاقتصادية" (ماركس 1974: 689 Marx) التى تربط الناس فى علاقات تتسم بعدم المساواة إلى جانب العلاقات الاجتماعية الأسرية والصداقة والجوار. نحن نحتاج إلى فهم كيف تتمكن المجتمعات رغم عدم المساواة والصراعات من التماسك وإعادة خلق أنفسها من خلال علاقات وصلات متأصلة ثقافياً.

إن عمليات التبادل المالى/ البورصات المالية والأثر الاجتماعى لتوسع الرأسمالية يشوش العلاقات الاجتماعية فيما قبل الحداثة رغم ظهور أشكال جديدة من التضامن الاجتماعى. يرى بولانى (1967 Polanyi) أن مبادئ عدم التدخل فى الاقتصاد لا تحكم جميع الاقتصاديات ولكنها محددة تاريخياً وأن التنظيم الذاتى للسوق نشأ فى إنجلترا أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر وأصبح فى القرن التاسع عشر يتحكم فى عناصر أخرى فى المجتمع

إلى حد غير مسبوق. كل المجتمعات لديها اقتصاديات، فيما عدا الرأسمالية حيث يوجد الاقتصاد على ما يبدو خارج نطاق المجتمع وتحكمه قوانينه الخاصة وتعتبر العلاقات الاجتماعية تابعة له. يرى بولاني مثل ماركس أنه في السوق الرأسمالية تصبح جميع القرارات اقتصادية وتنقلص جميع المعاملات بما يتسق مع نظام علاقات السوق. وقد مثل ذلك تهديداً شديداً على النظام الاجتماعي لم يدركه الاقتصاديون الذين افترضوا أن المصلحة الذاتية هي الدافع التنظيمي الرئيسي في كل المجتمعات. وفي الواقع، وكما يرى هولموود (Holmwood ٢٠٠٠) متفقاً مع بولاني أن هذه "الاضطرابات الاجتماعية... أسفرت عن أزمات الحضارة الأوروبية الأمر الذي هدد الحريات إلى أقصى حد التي اعتقد الليبراليون أنها مقدسة في علاقات السوق". "غير أن الطبيعة المناهضة للاجتماعية ولالاقتصاد السوق استنهضت أشكالاً من حماية الذات تقاوم غزو علاقات السوق. قد يكون ذلك كامناً في الثقافات المحافظة قبل الرأسمالية للتبادل أو المبادئ الجديدة للضامن الاجتماعي. لقد تطلع بولاني إلى إعادة إدخال السوق في العلاقات الاجتماعية، الأمر الذي قد يكفل حرية المستهلك في الوقت الذي يوفر فيه حماية للضامن الاجتماعي والتخطيط له. إن روح ما بعد الحرب للأسواق المنضبطة تطورت لتخرج نظرية كينزي للمطالبة بالإدارة الرشيدة والتدخل من جانب الدولة. لقد فسر كينزي مبدأ الرخاء باعتباره المبدأ الذي "لا ينبغي للأسعار الاقتصادية الملائمة أن تكون ثابتة عند أدنى مستوى ممكن ولكن عند مستوى كاف لتوفير معايير غذائية وغيرها من المعايير الملائمة للمنتجين... ومن مصلحة جميع المنتجين على السواء ألا ينخفض سعر السلعة أقل من هذا المستوى" (أوكسفام 2002: 149).

غير أن العلاقات بين العمليات الاقتصادية والاجتماعية تقوم بالوساطة والتشابك مع الإجراءات والأفعال. يرى جرانوفيتير (Granovetter 1992: 9) أنه "رغم جميع الفضائل الواضحة، في مفهوم كارل بولاني للتداخل...

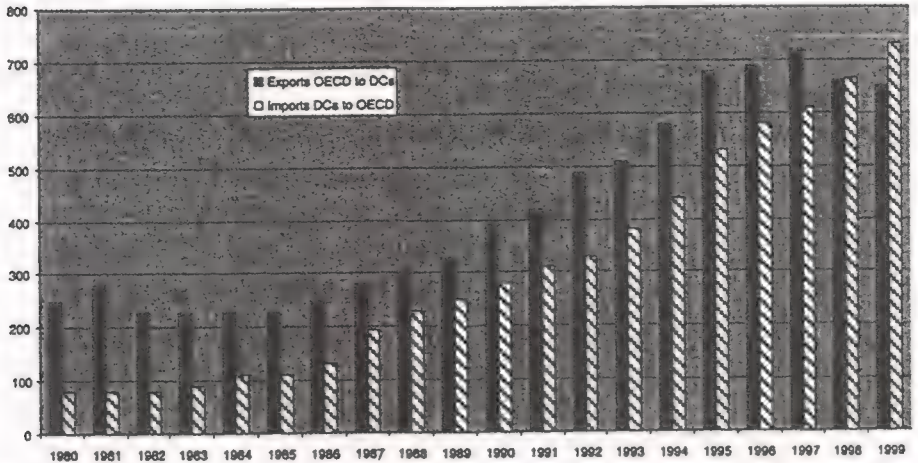
فإنه يعاني من قصور ما. "لقد شكل بولاني النظرية في تعارض مباشر لوجهة النظر المتنافرة للاقتصاديات السائدة وكان حريصاً على التأكيد على الخصوصية التاريخية والثقافية للتنظيم الذاتي للأسواق. لقد اعتبر اقتصاديات ما قبل التصنيع بمثابة جزءاً لا يتجزأ من المؤسسات الاجتماعية والدينية والسياسية والمعاملة بالمثل وإعادة التوزيع بما يجعل التقاليد والسلطات السياسية تقوم بتحديد الأسعار بدلاً من العرض والطلب. غير أن مستويات تثبيتها سوف تختلف بشكل كبير باختلاف الأماكن، وكما ذكرت سابقاً في (الفصل الرابع) لا يمكن أن يكون هناك تفاعل اجتماعي بدون عمل منظم ومعرفة ضمنية. لقد كانت هناك مجتمعات قبل صناعية حيث كانت الأسواق تعمل بشكل كبير بناء على العرض والطلب (مثل اليونان، وروما، وشمال إيطاليا في القرن الخامس عشر، وهولندا في القرن السابع عشر) في حين لم تنقسم المجتمعات الرأسمالية إلى الحد الذي تخيله بولاني. على سبيل المثال يمكن تنظيم عملية التبادل الاقتصادي من خلال الشبكات العرقية التي يمكن أن تمتد عبر مسافات بعيدة (مثل الكالفينيون المسيحيون البروتستانت الفرنسيون). كما أن البنوك والعملاء غالباً ما يكون لهم علاقات مستقرة طويلة الأمد لأن كفة الثقة والألفة قد تكون أرجح من كفة تكاليف نقل الحسابات من مصرف لآخر. يرى أوكين (Okin 1991) أنه من الممكن داخل المجتمعات الرأسمالية التمييز ما بين الأسواق التي تتعامل بأسعار سوق المزايدة (القائمة على العرض والطلب) وأسعار سوق العميل (القائمة على العلاقات المستقرة طويلة الأمد والولاءات المتداخلة معها) رغم أن هذه العلاقات ليست ثابتة لأن طبيعة سلوك السوق سوف تتغير بمرور الوقت.

علاوة على ذلك، فإن السوق لا يمكن أن تتم فيه المعاملات دون علاقات معيارية مؤسسية مساندة وقيود ثقافية، لكن ربما تظل أسعار السلع غير ثابتة وعلى نطاق واسع. في الواقع يمكن القول إنه في سياق العولمة الاقتصادية تم فصل العلاقات الاقتصادية عن المواقع الاجتماعية المحلية. في الوقت

ذاته، وكما يرى كالون (Callon 1998) فالعلاقة بين الوجود أو عدمه قد لا تكون علاقة تناقض بل عملية ذات وجهين. الشركات توجد في الكثير من المناطق وتعمل من خلال نظم من الثقة والتبادلية وولاء العميل على سبيل المثال، غير أنه يمكن أن يكون لها آثار مدمرة على الأنماط التقليدية للحياة وعلى المجتمع - خاصة في أماكن أخرى من العالم. بهذه الشروط لن تكون تلك عمليات تبادلية. علاوة على ذلك فإنه منذ مقال بولاني النقدي حول الإيمان الكلاسيكي الليبرالي بالسوق التي لا تقيدها لوائح في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين نكون قد انتهينا إلى نقطة البداية. شهد أواخر القرن العشرين إحياء لفكرة السوق العالمية الحرة واحتضان اقتصاد سياسي جديد يتسم بانعدام الأمان (سمارت 33: 2003 Smart) إن الحماية الاجتماعية التي يؤيدها بولاني قد تآكلت وبشكل منطوق السوق معيار جميع الممارسات الاجتماعية - الأمثلة شاهد على ذلك خاصة في المجالات التي لم تخضع للتسليح سابقاً كالصحة العامة والتعليم. هذا، إضافة إلى التطورات العالمية "للحلول" الليبرالية الجديدة التي يتم تصديرها إلى كل مكان.

ارتبط تنامي الليبرالية العالمية الجديدة بظهور اقتصاد الخدمات غير المصنعة في العالم المتقدم. غير أن هذا لا يعني أنه قد تم القضاء على الأشكال التقليدية للعمالة، بل بالأحرى تم توزيعها على الاقتصاديات الأقل تقدماً (موريس 2004 Morris). في الواقع كانت هناك علاقة وثيقة بين العولمة واختلاف القوة التفاوضية للعمالة المحلية التي صاحبت الحراك المتزايد لرأس المال. في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين كانت هناك عملية للتجميع العالمي للإنتاج انخفض في ظلها إنتاج التصنيع في الدول الصناعية التي أصبحت في الثمانينيات من القرن العشرين من المستوردين للسلع المصنعة من المناطق الصناعية الناشئة في العالم الثالث. كان لتغير الميزان التجاري بين دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية والدول النامية ما بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٩م كما يتضح في الشكل ٢-٥ تزايد انصادات

من دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية إلى الدول النامية (بعد هبوط ناتج عن انحسار كبير في أواسط الثمانينيات من القرن العشرين) غير أنه صحبه زيادة مطردة في الواردات من الدول النامية التي تفوقت على الصادرات من حيث القيمة في عامي ١٩٩٨ و ١٩٩٩م. غير أنه هناك أوجه خلل وتحيزات كبيرة في النظم التجارية والمالية الدولية، خاصة التدهور الحاد في ظروف العمالة بين العمالة التي تفتقر للمهارات في المناطق الصناعية (أكيوز وآخرون 2002). يتضح ذلك من خلال الطريقة التي تمت بها عملية خفض معدلات الفقر في شرق آسيا التي كانت وراء معدل الانتعاش الاقتصادي، بسبب التخفيف من حدة الفقر إلى معدل ما، من النمو أضعف من أثر زيادة وطأة الفقر الذي يحدثه انخفاض مماثل في إجمالي الناتج المحلي (البنك الدولي ٢٠٠٠م).



تجارة المنتجات المصنعة للدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مع الدول النامية (١٩٨٠ - ١٩٩٩).

المسألة الزراعية

سأوضح الآثار العالمية لهذه العملية مع الإشارة إلى التغيرات التي طرأت على المجتمع الريفي في أواخر القرن العشرين. في نهاية القرنين التاسع عشر

والعشرين، ثار النقاش حول المسألة الزراعية بناء على التنبؤات الماركسية بالاختفاء الوشيك للفلاحين (صغار ملاك الأراضي من المزارعين) وتماييز طبقة المنتجين الريفيين في المزارع الرأسمالية أو المستأجرين البروليتاريين. كان الباعث لهذا التكهن هو فرض سياجات حول الزراعة ورأسمة الزراعة في إنجلترا واسكتلندا في القرن الثامن عشر، غير أنه أصبح من الواضح بحلول أواخر القرن التاسع عشر أن هذه العملية لم تحدث بشكل منتظم في أوروبا ويبدو أن الفلاحين كانوا يتكيفون مع الرأسمالية ويقاومون غزوها من خلال موارد مزارع العمالة الأسرية وهو المفهوم الذي طوره الاقتصادي الروسي شايانوف (Chayanov 1986). لم يكن هناك في الواقع رؤية واضحة لذلك من قبل ماركس نفسه، رغم إيمانه بأن هناك ميلاً على المدى الطويل بأن تحل الرأسمالية محل إنتاج الفلاحين مع إدراكه حقيقة بأن هذا يحدث بشكل بطيء (ماركس Marx 1963- 68, II: 400ff) وأكد أنه حتى لو ظل الفلاحون المالكون الرسمون فإنهم كانوا منقلين بالرهونات ودفعتهم الضرورة إلى أن ينتجوا من أجل التجار، وكانوا في الواقع يبيعون جهودهم (ومن ثم أصبحوا مثل البروليتاريين) واحتفظوا "بملكية زائفة"، خفضت من التكلفة التي تتكبدها شركات الأغنية الرأسمالية التي كانوا يبيعون إنتاجهم لها (ماركس Marx 1977: 510). معظم النقاش الذي تلا ذلك حاول معالجة التوتر الضمني هنا بين الإقرار ببقاء الأراضي الزراعية الصغيرة بالريف وإخضاعها للعلاقات الاجتماعية الرأسمالية. على أي حال، هناك تساؤل إضافي عن الآثار الاجتماعية والثقافية "لبقاء" أولئك الفلاحين - صغار المزارعين الذين تتقل كاهلهم الرهونات والديون المستحقة لشركات التجارة الزراعية، ويصبحون مجرد مالكين "اسميين" لأراضيهم ويفتقرون إلى التحكم الفعال في كيفية استخدامها، وما زالوا يعتبرون أنفسهم منتجين مستقلين، وأن نظام ملكية الأرض سوف يكون ضمن نطاق أوسع لنظم ثقافية أرحب.

هناك أوجه قصور مهمة فى النقاش الدائر حول المسألة الزراعية وهو ذلك التناقض بين فكرة اختفاء الفلاحين وفكرة التكيف والبقاء، إلا أن كليهما يقدمان طرحاً مهماً؛ حيث حاولا وضع تعريف للطبيعة الجوهرية لكل من الرأسمالية والفلاحة. وسوف نجد فى الواقع أن الأنماط المتباينة للغاية للعولمة، تعنى أن الطريقة التى تجسدت بها فى المناطق المختلفة، وبالتالى التأثيرات التبادلية لهذه الأنماط على تدفقات العولمة، ستكون متنوعة بشكل كبير. علاوة على ذلك، ركزت المناقشات تركيزاً كبيراً على التطورات الاقتصادية بدلاً من قوى الأبعاد المكانية الاجتماعية. من الممكن أن يتضح ذلك من خلال سبل كسب العيش وطبيعة المكان - وفهم الطرق المتعددة التى تتشابه بها العمليات الاقتصادية المحلية والعالمية مع الأداء والثقافة (دى هان وزومرز 2003 DeHaan and Zoomers). "المكان" (وهو مصطلح قدمه جيدينز Giddens عام ١٩٨٤) هو الحيز الذى تظهر فيه عمليات العولمة وتتغير أيضاً ويوفر موقعاً للتفاعل والتغير الإنسانى. هذا الفهم للعمل لا هو بالتطوعى ولا بالحتمى ويتجنب اعتبار الناس ضحايا سلبيين رغم أن قراراتهم ستتخذ فى حدود القيود التى تفرضها الظروف الهيكلية. سيتم تناول هذا المنظور بالتفصيل بضرب أمثلة عن كيفية تحويل العالمى إلى محلى فى خضم عمليات التسليع. يمكننا أن نصف هذا بأنه "عومحلية" غير أن هذا الإسقاط القبيح لا يحدد العلاقات والتطورات التى تتضمنها وبالتالى يقربنا قليلاً إلى فهمها.

من الكينزية العالمية إلى أزمة السلع

دأبت الكتابات حول التنمية أن تعتبر كسب العيش يحتل مكانة محلية للغاية ومتجذرة ومستقرة واجتماعية، تربط بين الناس والأرض ومحط

للاهتمام الاقتصادي في المقام الأول. غير أن المناهج الأحدث قامت بتوسيع
بؤرة اهتمام التحليل لاعتبار كسب العيش يتضمن مهامًا أخرى مثل الوفاء
بالالتزامات والسعى وراء الأمن والهوية والمكانة ويضفي معنى على عوالم
الناس. الأصول ليست مجرد أشياء وإنما أيضًا أساس قدرة الأشخاص على
العمل وإعادة الإنتاج والتغيير وتحدي القواعد التي تتحكم في تغير الموارد
(دي هان وزومرز 2003 DeHaan and Zoomers). في نفس الوقت داخل
المناطق التي يمارس فيها كسب العيش تتم هيكلة الخيارات والأفعال من
خلال عمليات سياسية أوسع، وتتطوى على ممارسة من قبل المسؤولين
فرض السلطة على الآخرين، وهو الأمر الذي يتداخل مع بنية التسلسل
الهرمية كالعمر والنوع. إذا تأملنا هذه المصطلحات، فنجد أن أثر العولمة
متغير على المجتمعات التي تعيش حد الكفاف، وغالبًا ما يشتمل على ردود
أفعال لتفكك الأسر وتلاشي التضامن المجتمعي، "إن الفقر المدقع في ظل
العولمة ينعكس على أعداد كبيرة من الأسر الريفية والحضرية التي تستغل
الفرص في مناطق مختلفة وبالتالي تعيش على الدخول الحضرية والزراعية"
(دي هان وزومرز 2003 DeHaan and Zoomers). وسوف نتناول ذلك مع
الإشارة إلى سياسات التنمية الريفية العالمية المتغيرة.

من أجل الحفاظ على التضامن الاجتماعي، قامت المجتمعات الرأسمالية
الغربية ما بعد الحرب بتطوير أشكال متنوعة للحماية الاجتماعية وللسيطرة
على قوى السوق - كما ذكر في الفصل الثالث - تتضمن بشكل نمطي قطاعًا
حكوميًا غير رأسمالي موسعًا وموارد كالصحة والتعليم والإسكان ودخلًا يتم
توزيعه بناء على أسس مغايرة لمبادئ السوق. غير أن هذه كانت حلولاً
قومية تم اتخاذها في سياق النظم الفورية ولحماية الإنتاج، التي تم مناقشتها
أيضًا في الفصل الثالث. ولتخفيف آثار الرأسمالية على التضامن الاجتماعي

على نطاق عالمي كان ليصبح التزاماً غاية في الاختلاف. ونادراً ما كانت لدى دول ما بعد الاستعمار قاعدة من العائدات تكفي للقيام بتدخلات لتحقيق الرعاية الاجتماعية. غير أن الكثير من الدول ما بعد الاستعمار أبدت مقاومة شديدة للتسويق العالمي، حتى من خلال هياكل بيروقراطية غالباً ما تتسم بالفساد والمحسوبية السياسية. الاستراتيجية المشتركة للتنمية في الدولة التراثية الجديدة، تضمنت وعلى نطاق واسع اقتصاديات حكومية وتديرها من خلال التنسيق بين أسعار الإنتاج والتصدير يتم تنظيمها من خلال آليات بيروقراطية متنوعة وغير رسمية⁽⁴⁾. قامت هذه على قواعد تبادلية غير رسمية بدلاً من قواعد التبادل العامة العرضة للمحاسبة، ومن الممكن أيضاً أن تدعم بالإكراه. في المكسيك على سبيل المثال قام سماسرة السلطة المحلية "زعماء القبائل" بتوفير قطع أراضٍ وقروض وعملوا كوسطاء للفلاحين الذين يبيعون المحاصيل وأداروا المحال مقابل توقعهم الولاء السياسي من قبل الفلاحين، الذين صوتوا للحزب الحاكم في الانتخابات (برينكرهوف وجولدسميث 2002 Brinkerhoff and Goldsmith). المحسوبية السياسية تتطوى على الوساطة لغاية ما وليس لأغراض السوق. هذه العلاقات غير المتكافئة يمكن أن تبقى تحت عبء الزمان وأن تكون مدمرة - فقد عانت الاقتصاديات التراثية الجديدة من الركود تحت ثقل الإجراءات التي تحصلها منهم الصفوة الجشعة من أجل الاستهلاك الواضح، إلى حد أنه يمكن أن تصبح الدولة جبهة من جبهات جباية الموارد مما يعجل بانهيار عام للاقتصاد والمجتمع وغالباً ما يؤدي إلى حرب أهلية كما حدث في سيراليون عام ١٩٩١م (برينكرهوف وجولدسميث 2002 Brinkerhoff and Goldsmith). غير أن المحسوبية يمكن أيضاً أن تكون شكلاً ممكناً ومستقرًا للتبادل كما هو الحال مع مجتمعات الكين في أتر براديش شمال الهند الذين يضطلعون بدور الوسيط بين مزارعي الكين ومصانع السكر في إطار نظام من عمليات التبادل التي انتفع منها جماعات الزبائن أكثر من غيرها خاصة المنبوذين (كريج 2002 Craig).

علاوة على ذلك، فإن سياسات الكينزية التدخلية كانت مؤثرة لفترة معينة؛ فأثناء الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين هيمن التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على سياسات واقتصاديات "عملية التنمية". بعد الحرب العالمية الثانية، ارتبط التوسع العالمي للنظم الشيوعية على وجه السرعة مع الحركات المناهضة للاستعمار المتنامية وحركات الفلاحين وبرامج التنمية القومية برعاية الولايات المتحدة لمناهضة النفوذ السوفيتي (خاصة في اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان، حيث كانت هناك نقابات الفلاحين ذات قيادات شيوعية محكمة التنظيم). يرى أراغي Araghi أن صيغة التنمية قامت على التوجه نحو التصنيع الذى يحل محل الاستيراد مقابل الإنتاج الزراعى، من أجل التصدير مما يخلق نموذجاً "للتنمية القومية" الذى ركز على تطوير الاقتصاد القومى والنمو الذى تقوم به الدولة من خلال هيئات شبه حكومية (شركات تجمع بين الرأسمال الحكومى والمحلى والدولى) لتحفيز النمو الزراعى بدعم من الدولة وإصلاح الأراضى (تقسيم بعض الأراضى كبيرة المساحة وخلق مزارع صغيرة غالباً ما تديرها أسرة واحدة). الاستراتيجية الأخيرة ذات هدف مزدوج وهو توسيع دائرة الطلب المحلى فى الاقتصاد القومى وكبح التأييد للحركات الزراعية الاشتراكية (أراغى 1995 Araghi). أثناء تنمية الستينيات من القرن العشرين زادت التكهانات المتفائلة وشجع ذلك على التنمية التى تقوم الحكومة بتخطيطها وتنظيمها. إلا أن إصلاح الأراضى أسهم فى زيادة عدد المزارع الصغيرة التى يقيم فيها أصحابها "رغم أن أقلية منهم أصبحوا مزارعين رأسماليين ناجحين بأراضٍ مملوكة للأسرة، فمعظمهم ظل من صغار المنتجين للسلع المعتمدين بشكل كبير على الدعم الحكومى" (أراغى 1995 Araghi). تنوعت أنماط العمالة مع وجود أسر ليس بوسعها تأمين قوتها من مزارعهم الصغيرة فأصبحوا يعتمدون فى كسب العيش على الهجرة الموسمية أو عمالة غير

دائمة فى الأراضى الزراعية الكبيرة أو تأجير الأراضى من الباطن للإنتاج لصالح التجارة العالمية للمنتجات الزراعية (مثل ديل مونت ونستله ومزارع التبغ البريطانى الأمريكى).

بدأت ملامح هذا النظام تتضح فى السبعينيات من القرن العشرين، كاستجابة لأزمة ديون العالم الثالث فى عام ١٩٨٢م، قام صندوق النقد الدولى والبنك الدولى بوضع سياسات التسوية الهيكلية وسحب الدعم الاجتماعى^(٤). وتطلبت هذه السياسات تقليص حجم القطاع العام وخصخصة مشاريع الدولة والقيام بتغيرات لزيادة المرونة لإنهاء حماية العمالة والحد من زيادة الهوة بين رواتب العاملين فى القطاعين الخاص والعام وخفض مبالغ الرعاية الاجتماعية (جىروكس 2005 Giroux). انهارت نظرية الكينزية الريفية وهيمنت الاستراتيجيات الليبرالية الجديدة متمثلة فى الحكومات الغربية والبنك الدولى وصندوق النقد الدولى. أفسحت السياسات الديمقراطية الاشتراكية لفترة ما بعد الحرب التى كانت ترعاها لجنة براندت Brandt ولجنة الشمال - الجنوب فى الستينيات، أفسحت المجال لإدارة المخاطر بدلاً من الحد من الفقر. مع الهيمنة العالمية للسياسات الليبرالية الجديدة تغير دور الدولة ليصبح أقل انخراطاً فى عملية الإنتاج وامتلاك الاقتصاد وأكثر انخراطاً فى عملية جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة خالقاً إطاراً دولياً جديداً للدول النامية. ونتيجة للاختراق العميق للعلاقات السلعية داخل الريف، أصبح صغار ملاك الأراضى عرضة للسوق العالمى. فالمناطق التى كانت فى يوم ما تنتج فائضاً من الحبوب أصبحت فيما بعد مناطق عجز، وفى العالم النامى بأكمله ارتفعت نسبة الواردات الغذائية إلى الصادرات من الغذاء من ٥٠٪ عام ١٩٦٠-١٩٩٥م إلى ٨٠٪ عام ١٩٧٥م (أراغى 2000 Araghi).

يرى أراغى أيضاً أن التقسيم الدولى الجديد للعمالة فى مجال الإنتاج الغذائى تناقص بشكل متزايد مع النموذج المتعارف عليه للنمو الداخلى وانخفضت النسبة المئوية للقوى العاملة فى مجال الزراعة بدرجات متفاوتة

عبر العالم ما بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٨٠م، بنسبة ١٦٪ فى أمريكا اللاتينية و ٢٠٪ فى الشرق الأوسط و ٨٪ فى إفريقيا و ١٦٪ فى جنوب شرق آسيا. تتناقض السياسات التى اتبعتها الوكالات الدولية فى منتصف القرن للحفاظ على الفلاحين أصحاب الأملاك الصغيرة - الحماية الوضنية للزراعة من خلال تمويل الحكومة للمدخلات ودعم الأسعار وتقديم الدعم- مع إعادة التنظيم العالمى للزراعة. فإذا كان بعض صغار الملاك قاموا بتكديس رؤوس الأموال وأصبحوا مزارعين رأسماليين، فمعظم صغار الملاك وقعوا فى شرك بيع جهودهم فى العمالة المؤقتة مقابل أجر. مع عملية تحرير السوق من اللوائح ومع قوى سوق أكثر تحرراً من القيود فى الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، حدث تحول تجاه استراتيجيات نمو متجهة للخارج وخفض الدعم المقدم للمزارع؛ مما أسرع الخطى للقضاء على الفلاحة (أراغى 2000 Araghi). أعقب ذلك تحرك هائل للسكان للنزوح إلى المراكز الحضرية المتكدسة وفى بعض المناطق (خاصة أمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا والهند وتركيا) وبالتالي فإن كل النمو الحضرى بالفعل يرجع إلى الهجرة الداخلية. علاوة على ذلك فإن التقسيم بين الحضرى والريفى بدأ يتلاشى مع التوسع فى المشاريع غير الزراعية فى المناطق الريفية أثناء الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين (الأمم المتحدة 35-36: 2001).

إحدى نتائج هذا التغيير القضاء على لجان التسويق والمشتريات للمنتجات الأولية فى الدول النامية من القيود أو تحريرها. لم تكن هذه اللجان تعمل قط لصالح صغار الملاك، التى أسستها السلطات الاستعمارية واستغلتها حكومات ما بعد الاستقلال لفرض ضرائب طائلة على المنتجين وخدمة المصالح الشخصية المحلية. وقد تحتم على صغار الملاك بيع منتجاتهم للجان التسويق بالأسعار التى تنص عليها اللوائح التى تقل بكثير عن أسعار التصدير. رغم ذلك كانت لجان التسويق المصدر الرئيسى للأرصدة والأسمدة وغيرها من المدخلات فى عملية الزراعة وحالت دون انخفاض الأسعار إلى

حد أدنى من مستويات حد الكفاف. عندما تم حل مجلس القهوة التتزانى، لم يحصل المزارعون على هذه المدخلات وكان الكثير منهم غير قادر على الاستمرار فى زراعة حبوب القهوة (أو كسفام 164ff: Oxfam 2002)، لكن المشكلات الأوسع نطاقاً أعقبت تحرير إنتاج السلع من القيود كالتالى:

- الضغط على الدول النامية لخفض العمالة والتكاليف التى تتحملها بخلاف الرواتب كالصحة والرعاية الاجتماعية والتعليم (من أجل تخفيض الإنفاق العام)^(٢).
- انخفاض الإنتاج فى أعقاب انهيار نظم التوسع، وعدم القدرة على الحصول على أرصدة مالية وارتفاع أسعار الأسمدة.
- الضغط على أصحاب المزارع الصغيرة للعمل من خلال نظام تجارى احتكارى خاص.

- وجود احتمالية الارتفاع الهائل فى الأسعار واستفحالها بسبب غياب التأمين الحقيقى أو الأسواق الدائنة.
- عدم إمكانية المزارعين الأكثر فقراً والأكثر عزلة من الوصول للأسواق فى أعقاب انتهاء وضع نظم لتحديد الأسعار والتسويق على نطاق إقليمى.
- الانخراط بشكل أكبر فى التنافس العالمى مما يؤدى إلى انخفاض الأسعار.

إن فقد قوضت العمليات العالمية للتسليع محاولات إيجاد مجتمعات ريفية مالكة للأراضى الزراعية (أراغى 1995). أفادت تقارير الأمم المتحدة أنه فى عام ٢٠٠٣ أصيب التقدم فيما يتصل بالقضاء على الفقر فى أمريكا اللاتينية "بالركود" فى السنوات الخمس السابقة بنسبة ٤٣,٤٪ من السكان (أى ما يوازى ٢٢٠ مليوناً) يعيشون فى فقر و ٥٥ مليون شخص

يعانون من إحدى درجات سوء التغذية (هيئة الاستعلامات التابعة للأمم المتحدة ٢٠٠٣م). شجعت هذه الظروف حدوث هجرة جماعية إلى المدن وعبر الحدود القومية. وتجسدت آثار ذلك في تخفيف وطأة الفقر من خلال الحوالات النقدية^(٧). رغم ذلك، ما زال صغار الملاك يتم توظيفهم في سلاسل الإنتاج العالمي كما تبين الحالتان التاليتان.

الحالة الأولى: علم اجتماع القهوة

من المعروف أن جيدنز Giddens قام بتفسير وجهة النظر الاجتماعية بالإشارة إلى كيف يكون حال "شخص يشرب قهوة من القهوة فيجد نفسه محاصرًا بمجموعة معقدة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تمتد عبر العالم". (جيدنز 4: 1997: Giddens). وليس على نفس الشاكلة نجد إعلانًا لشركة نستله في عام ١٩٩٨م، وهي إحدى الشركات الرئيسية على مستوى العالم في مجال تحميص حبوب القهوة وتسويقها - يقول: "في المرة المقبلة التي تستمتع فيها بقدر من نسكافيه، توقف برهة وفكر كيف عمل أكثر من ١٠٠ مليون شخص يشتغلون في زراعة حبوب القهوة سويًا لمساعدتك على أن تبدأ يومك". في الواقع إن القهوة منتج عالمي يمر خلال سلسلة من الوسطاء وعلاقات السلطة والمال وتتم فيها إضافة أهم هدف من خلال نظم التصدير والمعالجة والحفظ. يوضح أونجوين (Ong'wen 2006) أن الوسطاء الأوائل هم التجار المحليون الذين يملكون المخزون ويصبحون جزءًا من النخبة المحلية. غالبًا ما يكونون هم الأشخاص الوحيدون الذين يستطيعون توفير وسائل النقل - غالبًا شاحنات نصف نقل مشكوك في قدرتها على إكمال الطريق - ويعملون كممولين محليين بعرض قروض على الفلاحين المحليين عادة، شريطة أن يرهن المزارعون محصول حبوب القهوة الخاص بهم بأسعار زهيدة للغاية أو سداد القروض بفائدة عالية. يتلوهم في سلسلة الوسطاء المعالجون الذين يقومون بجميع العمليات المتعاقبة حتى يتم تسليم المحصول إلى المصدرين وهم بصفة رئيسية شركات عبر وطنية. يضطلع المصدرون بدور محدد للغاية وهو تحضير المنتج بما يتفق مع المتطلبات

المحددة للموردين. كما أن شركات تحميص القهوة تضع مواصفات مختلفة لترتيب الحبوب الخضراء الخاصة بهم. ويجب أن يضمن المصدر أن النوع الصحيح من القهوة قد تم إرساله إلى الشركة المستوردة الصحيحة في التوقيت الصحيح. كما هو الحال مع كل وسيط، فإن هدف المصدر هو شراء بأرخص سعر ممكن والبيع بأعلى الأسعار الممكنة التي يمكنه الحصول عليها، ويمكن للمزارعين أن يحصلوا على أقل من ١٪ من سعر التجزئة الذي يباع به البن في محلات السوبرماركت.

يعتمد حوالي مليار شخص في العالم على إنتاج هذه السلعة كمصدر رزق ومعظمهم من المزارعين من صغار الملاك. في أوغندا على سبيل المثال يحصل حوالي ربع السكان رزقهم من زراعة حبوب البن. رغم ذلك فقد انخفضت أسعار السلعة عالمياً خلال العقد الماضي في حالات كثيرة بمعدل ٨٠٪ (انظر الجدول ١-٥) وانخفضت أسعار القهوة بأكثر من ٥٠٪ في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. دل هذا على أنه في غضون ثلاث سنوات (١٩٩٩-٢٠٠٢م) انخفضت قيمة الصادرات من القهوة من ١٣ مليارات إلى ٧ مليارات دولار، ومن العواقب الوخيمة لهذا الانخفاض على المزارعين، سوء التغذية والاضطرار إلى إخراج أبنائهم من المدارس وزيادة احتمال تعرضهم إلى أحداث أخرى سيئة كزيادة أسعار الغذاء والإصابة بالمرض وعدم القدرة على شراء مواد ضرورية كزيت الطعام (أوكسفام ٢٠٠٢: ١٥٠). في نفس الوقت، فإن معدلات التبادل التجاري (قيمة أسعار الصادرات مقابل أسعار الواردات) انخفضت لصالح الدول الصناعية بحوالي ١٠٪. في أوغندا تقع المزارع الصغيرة (أو الشامبا) في أماكن غير مستقرة على جوانب التلال حيث تزرع حبوب القهوة عادة مع الموز والفاصوليا والخضراوات؛ حيث تساعد الجذور العميقة لشجرة البن على تماسك التربة ومنع تآكلها. هذا نظام مستدام توارثته الأجيال، غير أنه تتهدده الآن الأسعار الآخذة في الانخفاض وانعدام الدعم الاجتماعي وتحرير الإنتاج. قد يكون تأثير كل ذلك على المجتمعات

المحلية مدمراً؛ حيث تُجبر الأسعار الزهيدة (بشكل رئيسي) المزارعين الذكور إلى البحث عن عمل بعيداً عن المزرعة وتضطر نساء المزارعين إلى إنفاق المزيد من الوقت لكسب المال من مجال آخر على حين يحتفظن بمسؤوليتهن الأساسية وهي رعاية الأطفال. تتخفف دخول الأسرة رغم أن الأسر تواصل العمل في مجال الإنتاج في محاولة لزيادة حجم المنتج من أجل الحفاظ على الدخل. لكن هذه المحاولات تسفر عن أثر إنتاجي معاكس وهو زيادة العرض، وبالتالي يُزيد هذا من انخفاض الأسعار التي يتم دفعها للمنتجين. لا يتمتع استهلاك القهوة بالمرونة السعرية؛ فمن المستبعد أن يزيد الأشخاص من استهلاك القهوة حتى لو انخفضت الأسعار وظلت أسعار التجزئة في منافذ البيع ومحال السوبر ماركت مستقرة ولم تنخفض مع انخفاض أسعار المنتجين؛ لذا فإن الزيادة في الإنتاجية (من خلال الاستغلال المتزايد للعمالة من أعضاء الأسرة) من الأرجح أن تدفع بأسعار المنتجين إلى انخفاض أكثر من ذلك. على الجانب الآخر من السلسلة الإنتاجية، فقد ارتفعت أرباح تجارة شركة نستله بمعدل ١٥٪ بين عامي ١٩٩٩ و ٢٠٠٠م وحدها (أوكسفام 2002: 151).

جدول ١-٥: أسعار السلع الأولية المختارة بين عامي ١٩٨٠ و ٢٠٠١م

المنتج	الوحدة	١٩٨٠م	١٩٩٠م	٢٠٠١م
قهوة قوية	سنت/ كجم	٤١١,٧	١١٨,٢	٦٣,٣
كاكاو	سنت/ كجم	٣٣٠,٥	١٢٦,٧	١١١,٤
زيت الفول السوداني	دولار/للطن	١٠٩٠,١	٩٦٣,٧	٧٠٩,٢
قطن	سنت/ كجم	٢٦١,٧	١٨١,٩	١١٠,٣
أرز تايلندي	دولار /للطن	٥٢١,٤	٢٧٠,٩	١٨٠,٢

سكر	سنت/ كجم	٨٠,١٧	٢٧,٦٧	١٩,٩
نحاس	دولار/للطن	٢٧٧٠	٢٦٦١	١٦٤٥
زيت النخيل	دولار/للطن	٧٤٠,٩	٢٨٩,٩	٢٩٧,٨
فول الصويا	دولار/للطن	٣٧٦	٢٤٦,٨	٢٠٤,٢
رصاص	سنت/ كجم	١١٥	٨١,١	٤٩,٦

المصدر: أنوجوين 2006 Ong'wen

الأسواق العالمية إذن تبنى على اختلافات القوى؛ ما دام الموردون المتفردون يدخلون في منافسة مع مجموعات صغيرة من المشترين لشركات قومية. تمثل نستله وفيليب موريس نصف السوق العالمية في مجال القهوة المحمصة والقهوة سريعة التحضير وتتحكم خمس شركات (السابقتان إضافة إلى سارة لى وبروكتور وجاميل وتشيبو) ويتحكمون في أكثر من ثلثي السوق. من ناحية أخرى، يفتقر المنتجون إلى النفوذ والمعلومات اللازمة ويتم إقحامهم في سلاسل من العروض التي يتحكم فيها المشتري. وهناك عدد كبير من المزارع الصغيرة يدفع بها إلى أسواق السلع لاحتياجها إلى النقود السائلة. وهنا تواجه بأسعار يحكمها السوق دون حماية اجتماعية أو حد أدنى من نظم التسعير - وعلى النقيض عانت أسعار السلع من المواد الخام مقابل السلع المصنعة انخفاضاً على مدى عقدين. يواجه المنتجون سوق المشتري (سوق به يشترون قلائل) لمنتجاتهم ويرجع هذا في أحد أسبابه إلى وجود الكثير من العوائق التي تحول دون دخول مشترين جدد. من هذه العوائق اقتصاديات وفورات الحجم في صناعة التوزيع العالمي، وتكاليف العلامة التجارية (مثل محاولة منافسة علامات تجارية شديدة النجاح مثل نسكافيه الذي سيتطلب قدراً كبيراً من الاستثمار المحفوف بالمخاطر)، والاحتياج إلى معلومات السوق والفرص المحدودة للدخول إلى أسواق التجزئة التي يتحكم فيها بالفعل، عدد قليل من محال السوبرماركت. تتفاقم حدة الخل في القوى

لطبيعة بعض المحاصيل النقدية مثل القهوة والتبغ والشاي والكاكاو التي ليست لها قيمة غذائية أو تتمتع بقيمة غذائية ضئيلة، فالأسرة لا تستطيع استهلاك المحصول إن لم تسر الأمور على ما يرام، لو انهار مثلاً نظام التحديد السعري أو لم يحكم المشتري على الجودة بشكل صحيح.

وعلى أى حال فإن القهوة يمكنها أن تجلب المنفعة أيضاً. فى ماتشاهوس- كينيا تحولت الأراضي التي تعرضت للتآكل الشديد فى الثلاثينيات من القرن العشرين، إلى ريف يتسم بالرخاء فيه صفوف من المنازل والأشجار ونبات البن ومزارع بمبانيها فى التسعينيات من القرن العشرين، وتضاعف عدد السكان ست مرات وانخفض نصيب الفرد من الأراضي المزروعة بمعدل يزيد عن النصف. أعقب هذا الازدهار هجرة الرجال إلى نيروبي فشكّلت النساء مجموعات عمل لرعاية الأرض واستعن بالمعرفة والدعم التدريبى فى مجال الحفاظ على الأرض والمياه وأنواع جديدة من القهوة، وفرتها وكالات التطوير والحكومة الكينية. يوضح هذا إمكانات الأدوات الجمعية والتعلم فى سياق داعم (تيفين وآخرون 1994 Tiffin et al). من الصحيح أيضاً أنه خاصة فى مجال إنتاج القهوة (وفى منتجات زراعية أخرى أيضاً) كانت حركة التجارة الخيرية واحدة من أكثر الحركات استجابة للمشاكل التي تواجه منتجي السلع. قامت هذه الحركة ببناء على رغبة مستهلكى العالم المتقدم لدفع أسعار أعلى مقابل "السلع المحظور بيعها إلا ببناء على وصف طبيب" لمعالجة المشكلات الثلاثة وهي انخفاض الأسعار وعدم استقرار الأسعار وانخفاض نشاط القيمة المضافة. تضم بعض الجمعيات التعاونية العاملة فى مجال التجارة العادلة مثل كوابا كوكو فى غانا أعضاء يزيد عددهم عن ٣٠ ألف عضو، وتعمل كصندوق ائتمان لهؤلاء الأعضاء ومنظمة تسويقية وجماعة ضغط سياسية وتحاول زيادة الوعي بالمشكلات التي نتاولها هنا. تبيع كوابا كوكو الكاكاو لسوق التجارة الخيرية بحد أدنى مضمون للأسعار ويتم استثمار الفائض فى برامج التنمية بالمجتمع كإنشاء المدارس وتوفير الرعاية الصحية

وتوفير المياه والصرف الصحي. تعمل منظمات التجارة الخيرية من خلال المنظمات غير الحكومية الدولية مثل أوكسفام وكافيه ديريك و شركة تريد كرافت وتوين وبعض الشركات الرئيسية مثل ذا بودى شوب وشركة جرين أند بلاك تشوكليت. هذا يعد بدوره إشارة إلى القوة الشرائية المتزايدة والتأثير المتزايد "للمستهلكين للسلع المحظورة التي لا تصرف إلا بأمر طبيب" في الدول المتقدمة.^(٨) ورغم كل منجزاتها هناك حدود لما يمكن لحركة التجارة الخيرية أن تفعله - وما زالت أسواق التجارة الخيرية مناطق ضيقة ولم تقم بصفة أساسية بتغيير أسواق العالم. أقل من ١٪ من إجمالي مبيعات الشاي والقهوة والكاكاو تتم على أساس التجارة الخيرية (أوكسفام 2002: 167).

الحالة الثانية: الصعود مع الدخان

النقاش التقليدي حول المسألة الزراعية طرح القضية برؤيتين: إما استقطاب طبقة الفلاحين (ليتحولوا إلى عمال بلا أراضٍ أو مزارعين رأسماليين) أو التكيف وبقاء مزرعة الأسرة. ينبغي أن يكون من الواضح الآن ظهور تراكيب متنوعة وأشكال مركبة في أماكن مختلفة، تأقلمت مع السياق العالمي بطرق متعددة - فمالكو المزارع قد يعملون لفترة من الوقت للحصول على أجر في مزرعة أخرى أو خارج نطاق القطاع الزراعي وقد يقومون أيضاً باستخدام عمالة مؤقتة أو موسمية. الزراعة بالتعاقد مثال على كيف يمكن للتطورات العالمية أن تدعم النشاط الاقتصادي صغير الحجم وحين في الوقت ذاته تقوض الاستقلالية التي ربما يكون قد وعد بها هذا النشاط في يوم ما، مما يحفز بدوره أشكالاً معقدة من القوة والنفوذ. قد يبقى المزارعون على وجه الخصوص مالكين صوريين لوسائل الإنتاج (الأرض وغيرها من الأصول) غير أنهم يفقدون السيطرة على كسب العيش (ماذا يزرعون وكيف) ما دامت القرارات المسبقة للاستثمار والمديونية تعني أن ما يتم إنتاجه يمليه أو يتأثر بشدة بالتجارة العالمية في المنتجات الزراعية.

أحد الأمثلة المثيرة للجدل للزراعة التعاقدية هو خطة زراعة التبغ العالمية لشركة التبغ البريطانية الأمريكية (BAT) التى تشمل ٢٥٠,٠٠٠ مزارع فى جميع أرجاء العالم فى ٢٣ دولة (BAT 2005). التبغ صناعة عالمية ذات قوة وعائد مرتفع. فى عام ٢٠٠٢م، حصلت أكبر ثلاث شركات متعددة الجنسيات فى العالم فى مجال السجائر (فيليب موريس، تبغ اليابان وشركة التبغ البريطانية الأمريكية) على عائدات من بيع التبغ تزيد عن ١٢١ مليار دولار وهو مبلغ أكبر من إجمالى الناتج المحلى لألبانيا والبحرين وبليز وبوليفيا وبوتسوانا وكبوديا والكاميرون وإيستونيا وجورجيا وغانا وهندوراس وجمايكا والأردن ومقدونيا وملأوى ومالطة وملدوفا ومنغوليا وناميبيا ونيبال وباراجواى والسنغال وطاجكستان وتوجو وأوغندا وزامبيا وزيمبابوى (منظمة الصحة العالمية ٢٠٠٤م). فى كينيا يعد التبغ من السلع الجالبة للنقد الأجنبى فمصدرو أوراق التبغ حصلوا على ١٠,٥ مليون دولار فى عام ٢٠٠٤م ومصدرو السجائر حصلوا على ١٢٦ مليون دولار.^(٩) تتسع العملية بتعاقد الشركة البريطانية الأمريكية للتبغ فى كينيا لزراعة التبغ بالتعاقد ١٧,٥٠٠ مع صغار المزارعين لزراعة ١٥,٠٠٠ هكتار مقارنة بسبعة آلاف مزارع فى عام ١٩٧٢م و١١,٠٠٠ فى عام ١٩٩١م (كاريوكي Kariukui 2000). تصر شركة BAT على أن تتضمن برامج زراعة أوراق التبغ التابعة لها إدارة متكاملة للمحصول والحفاظ على التربة والمياه والاستخدام الملائم للمبيدات الزراعية ومراعاة المعايير البيئية والمهنية فى عملية تقطيع الأوراق الخضراء والقضاء على عمالة الأطفال الذين يتم استغلالهم ووضع برامج للتشجير للمزارعين الذين يستخدمون أخشاب الأشجار من أجل معالجة التبغ والحصول عليه من مصادر متجددة (BAT 2005).

فى بواكير الثمانينيات من القرن العشرين أجريت أبحاث لتطوير زراعة التبغ فى كينيا من جانب الشركة البريطانية الأمريكية للتبغ BAT(k) التى كانت آنذاك شركة التبغ الوحيدة العابرة للقوميات التى تعمل البلاد (كورى

ورأى (Currie and Ray 1984, 1985, 1986) ^(١٠) . بخلاف تنزانيا، لم يكن يعتقد في السابق أن كينيا مناسبة لزراعة التبغ لكن بالتعاون مع الحكومة الكينية قامت شركة BAT(K) بتشجيع المزارعين الصغار (الذين يملكون حوالى هكتارين) للانضمام إلى خطة توسع في زراعة التبغ التى تضمنت برنامجاً لزراعة المحاصيل المتنوعة مثل الذرة إضافة إلى التبغ. الإجراءات التعاقدية التى يتم من خلالها توظيف المزارعين للعمل فى خطة الزراعة هذه مماثلة للكثير من سلاسل الشراء العالمية. تتحاشى الشركة العابرة للقوميات المخاطر والتكاليف التى تتطلب عليها إنشاء العقارات ومعالجة النباتات وتشترى التبغ المعالج من المزارعين الذين يظلون مسئولين عن عملية الزراعة ومراحل المعالجة. بهذه الطريقة تكون الشركة بمعزل عن مخاطر الإنتاج- كالتقلبات الجوية وبوار المحاصيل والآفات والأخطاء التى تحدث فى عملية المعالجة- وتضمن إمدادها بأوراق التبغ حيث إن المزارعين ليس لديهم أية منافذ أخرى لتصريف منتجهم. ظهرت المنافسة فى بواكير التسعينيات من القرن العشرين من قبل شركة كينية صغيرة تدعى شركة تبغ ماسترمايند (MTK) التى كانت تعرض أسعاراً أعلى للمزارعين مقابل الأوراق المعالجة. أعلنت شركة BAT(k) أن الصراع بين طاقم الإنتاج وطاقم شركة MTK مع زيادة إنتاج أوراق التبغ تسبب فى حدوث "انهيار تام فى القانون والنظام فى بعض المناطق" (باتيل وآخرون 2007 Patel et al). وفقاً لما ذكره باتيل فى كتابه، استخدمت شركة Bat(K) النفوذ السياسى لإعادة هيمنتها فى مجال شراء أوراق التبغ وإلزام المزارعين بعرض المنتج لمشتري واحد فقط ^(١١).

التبادل البنىوى الضمنى بين المنتجين والشركة لم يتغير تقريباً منذ الثمانينيات من القرن العشرين. عملية زراعة التبغ تحتاج لعمالة ضخمة وتتطلب الرى بشكل مطرد وإزالة الحشائش الضارة والتقليم المستمر، يلى ذلك الحصاد فى فصل الصيف وعملية المعالجة، وأثناء هذه العملية غالباً ما ينام

أعضاء الأسرة حول أفران المعالجة للحفاظ على درجة الحرارة الصحيحة. كما تتطلب أيضاً مدخلات كبيرة- من بذور إلى أسمدة وأفران معالجة وسقيفة للتجفيف ومبيدات حشرية (فهذا المحصول عرضة للإصابة بالآفات بشكل كبير) والحطب للوقود- الذى لا يتمكن معظم الفلاحين من توفيره دون الحصول على قروض من الشركة. كما يتعين عليهم اكتساب المهارات لزراعة ومعالجة محصول أوراق التبغ ليكون ذا جودة عالية بشكل كاف، كي تشتريه شركة BAT (k) وهو الأمر الذى توفره أيضاً خطة التوسع. إن التقيد بمشتر واحد يعنى أن الدخل الذى يحصل عليه المزارعون يعتمد على كيفية تقييم المشتري لهذا المحصول. لقد أكدت عملية الدعاية لهذه الخطة على المكاسب العالية التى يمكن للمزارعين أن يتوقعوا الحصول عليها من عملية زراعة التبغ رغم أنه على أرض الواقع كانت المكاسب المالية متباينة إلى حد كبير. وفى حين استخدم بعض المزارعين الدخول من التبغ للاستثمار بشراء جرار والتوسع فى الزراعة، تفيد العديد من التقارير أنه بعد سداد الدين تكون الدخول منخفضة ويخسر البعض الأموال فى عملية الزراعة (المعونة المسيحية 2004 Christian Aid؛ كاريوكى 2000 Kariukui). وجد كل من أوجارا وأوجودى (2003 Ogara and Ojode) أن معظم المزارعين يحصلون على ٥٠,٠٠٠ شلن كينى فى الهكتار لكن يتبقى لهم فقط ٢٠,٠٠٠ بعد الاستقطاعات وهذا إذا كانت تكلفة الأيدى العاملة بالسعر اليومي الرسمى للعمالة الزراعية فيمكن أن نقول إن المزارعين يخسرون ٤٠,٠٠٠ شلن كينى فى المقابل.

علاوة على ذلك، هناك دلائل على أن زراعة التبغ تؤدي إلى أوجه قصور فى عملية الإنتاج الغذائى. فبعد حصاد التبغ فى يوليو يكون أمام المزارعين موسماً واحداً حتى شهر نوفمبر لزراعة الغذاء قبل أن يبدأ هطول الأمطار. إذ إن موسم واحد لزراعة النرة لن يكفى لإطعام معظم المجتمعات وهناك بعض مناطق زراعة التبغ (مثل منطقة ميجورى) عانت من مشكلات قلة الغذاء

(كاريوكي 2000 Kariukui). في منطقة كيريا توجد منطقة بور تعاني بالفعل من قلة الموارد الغذائية، يقول ريمير وويلمور (Rimmer and Willmore 2004) إن زراعة التبغ تزيد من تفاقم الوضع حيث يعاني ٥٢٪ من الأطفال من نقص التغذية المزمن أو الحاد، وتعاني المنطقة من الحاجة الماسة إلى معونات للقضاء على المجاعة. في "ميرو" تم تخصيص معظم الأراضي الخصبة لزراعة التبغ ولأن الطبقة السطحية من التربة تم تآكلها نتيجة قطع الأشجار، فقد أدت الأمطار الغزيرة إلى القضاء على محصول الذرة (تشاتشا 2001 Chacha). وبالتالي وبطرق متنوعة يدرج المزارعون المتبقون في دوائر عالمية لرأس المال وصناعة القرار؛ حيث تعتمد فرص الحياة بشكل كبير على الأسواق العالمية وأسعار السلع وتقلبات المناخ والحركات المالية واستراتيجيات الشركات.

في هذا السياق العالمي والمؤسسي، تتخذ الأسر قرارات بشأن السعي وراء كسب العيش رغم أن هذه القرارات - كما يذكر دي هان وزومرز (De Haan and Zoomers 2003)، لن تكون دومًا قرارات استراتيجية، بل تعتمد على مسارات تم دخولها من قبل. هذا يعني أنه إذا ما حصر المرء نفسه في نشاط معين تم استثماره بشكل ذي هدف وأصبح مصدرًا للهوية واكتسب المعرفة والمهارات اللازمة لهذا النشاط، سيكون هناك تحيز للاستمرار في مزاولة هذا النشاط. من ناحية أخرى، فإن مزرعة الأسرة تستطيع أن تصمد أمام القوى العالمية جزئيًا من خلال التكاثر السريع وإعادة تشكيل الترتيب الهرمي الخاص بالنوع والسن. وقد خلصت الأبحاث التي أجريت على القرارات التي تتخذ في الأسرة الواحدة إلى أن قرار زراعة التبغ هو قرار الرجل، وبالتالي فإن العمل الفعلي يقع بشكل كبير على كاهل الزوجة (أو الزوجات في المناطق التي ينتشر فيها تعدد الزوجات). يتحمل الأطفال أيضًا عبء العمل في مزارع التبغ إلا أن الرجال عادة ما يتحكمون في عملية التسويق واستغلال الأموال. وهذا يشكل أهمية كبيرة لسلسلة السلعة العالمية؛ حيث إن الدخول المنخفضة من أوراق التبغ (بالنسبة لكثير من المزارعين) تدعمها العمالة غير المكلفة من أعضاء الأسرة وتحمل الأسرة

مخاطر (ومجازفات) الإنتاج (أسىلا 2004 Asila). تتضمن هذه المخاطر الحالة الصحية وتدهورها ومخاطر زراعة التبغ بسبب استخدام المبيدات الحشرية واستنشاق الدخان أثناء عملية المعالجة وامتصاص النيكوتين (المعونة المسيحية ٢٠٠٤م).

إضافة إلى ذلك فإن التسليع العالمى له آثار بيئية؛ إذ تحتاج عملية المعالجة كميات ضخمة من الوقود النباتى، وفى المناطق شبه الجرداء حيث تنكمش بالفعل الغابات (مثل وادى كوناتى على حواف جبل كينيا) تستفحل عملية إزالة الأشجار من جراء عملية زراعة التبغ (شاشا 2001 Chacha). فى ميرو (وهى منطقة رئيسية لزراعة التبغ) تعرضت الطبقة السطحية للتربة للتآكل بشكل كبير واكتسحتها الأمطار الغزيرة. تشجع شركة BAT(K) على إعادة التشجير وتطلب من المزارعين إعادة زراعة الغابات التى تم قطع أشجارها. والقيام بزراعة أشجار الأوكاليبتوس سريعة النمو. هذه الأشجار سريعة النمو لتعويض فقدان الأشجار التى تقطع كل عام تحتاج إلى الكثير من المياه وتؤدى إلى انخفاض معدل المياه مما يزيد من وطأة نقص المياه. على أى حال يرى ريمر وويلمور (2004 Rimmer and Willmore) أن المزارعين يفضلون استخدام أنواع تقليدية من الأشجار للمعالجة؛ حيث إنها تؤثر على نكهة التبغ، وبالتالي على سعر بيع المحصول. وتوصلا إلى أن معدل إزالة الأشجار سريع للغاية ولا يمكن مجاراته بإعادة زراعة أشجار جديدة واستشهدا بمقولة أحد أعضاء البرلمان المحلى (سامسون مويثا ماروا) الذى قال عام ٢٠٠١م:

"إن الأراضي تتحول بشكل متزايد إلى أراضٍ بور غير منتجة يابسة وقبيحة ومنقرحة. نزع شركة BAT أنها منخرطة فى برامج إعادة التشجير الغابات [لكن] ... معدل إزالة الغابات أسرع بكثير من أن يوازيه معدل إعادة التشجير. بالتأكيد كل هذا لا يمكن أن نلقى عليه بظلال الريبة."

(ريمر وويلمور 2004 Rimmer and Willmore)

التوسع فى العلاقات السلعية وإدراجها فى سلاسل الإنتاج المحلية له آثار عديدة تخضع للتنازع والتفاوض. رغم المشكلات التى تنتج عن الخطة التعاقدية فليس هناك دليل على أن صغار الملاك الزراعيين يتم إجبارهم بالفعل على الخروج من أراضيهم، رغم أن المزارعين المنقلين بالديون قد لا يحصلون على المزيد من المدخلات (كويو 1998 Kweyuh)؛ وفى الواقع فإنهم يزدون من استغلال عمالة الأسرة من أجل الحفاظ على سبل العيش. لكى ندرك هذا علينا أن نقدر العلاقات التقليدية الريفية الأبوية فى كينيا وأيضاً المركزية السياسية والثقافية لملكية الأرض. لن يكون من المقبول سياسياً لعدد كبير من المزارعين أن يتم نزع ملكياتهم (رغم أن عددا متزايدا بعيدون عن مزارعهم كمهاجرين مؤقتين) فى حين تكون الملكية عاملاً رئيسياً فى المكانة والهوية. ترتبط السيطرة على الأرض بالتفاعل المعقد للنفوذ الاجتماعى والسياسى ويعطى معنى لحياة الناس. رغم هذا فإن طبيعة المجتمع الريفى هى طبيعة متغيرة:

"بالنسبة لمعظم صغار ملاك الأراضى الزراعية تأتى النسبة الأكبر لدخلهم من الأنشطة غير الزراعية...[و]... حوالى ٣٦٪ لديهم على الأقل عضو عامل له راتب بعيد عن المزرعة... [و] ٣٣٪ يحصلون على حوالات مالية من أعضاء الأسرة الذين يعملون بعيداً".

(كوديك ومينا 2000 Kodhek and Maina)

نهاية المجتمع الأبوى؟

كان لهذه التغيرات آثار عميقة على الميراث الريفى، والاحصاءات لا تتقل

لنا كيف أثرت هذه التغيرات السريعة على التركيبة البنيوية بطرق معقدة. يرى كوستيلز (Castells 1997) أن تفكيك المجتمعات التقليدية قد أسفر عن "تهاية المجتمع الأبوى" رغم أن النقاش عن الزراعة التعاقدية يشير إلى أن هناك اتجاهًا معاكسًا يمكن تحديده. تأثير العولمة على العلاقات بين الجنسين شهد تنوعًا كبيرًا. لقد انطوى التغير في العلاقات الاجتماعية الريفية والتقسيم الدولي الجديد للعمالة على زيادة مشاركة المرأة في أسواق العمالة العالمية^(١٢). فمن ناحية، يمكن أن يكون أحد آثار هجرة الذكور من الريف زيادة المكانة الاجتماعية والشرعية للنساء اللاتي يمكنهن حينئذ أن يضطلعن بمسؤولية إدارة مزرعة والتعامل مع القروض وما إلى ذلك (بابب 2005؛ دي هان وزومرز 2003). مع تعزيز قوة المرأة في الأسرة، يمكن للمرأة أن تزاوّل سيطرة أكبر على استخدام دخل الأسرة وغيره من الموارد ونسبة المواليد (بيرونز 84: 2004). بدلاً من أن يصبحن ببساطة مساعدين للأسرة في ملكية صغيرة لكسب العيش، فقد يتزايد نفوذ ومكانة بعض النساء ويدخلن إلى القطاع الذي يدفع فيه لهن رواتب. في الواقع يقول بيرونز إن العمل مقابل راتب:

"يوفر إحساسًا بالحرية والمساحة والوقت حيث يمكن [للنساء] أن يكن أنفسهن، كما يوفر بعض المتعة من خلال التفاعل الاجتماعي مع غيرهن من النساء. كما أن العمل مقابل راتب يزيد الإحساس بالثقة بالنفس وتقدير الذات ويزيد احترام الآخرين لهن، وبشكل عام فإن الدخل المستقل للمرأة يمنحها سلطات واسعة.

(بيرونز 117: 2004)

يواكب هذه التغيرات حراك مكاني جديد، إضافة إلى أنماط جديدة من الدخل والاستهلاك واستقلالية أكبر، فعلى سبيل المثال انتفاوض مع الوالدين حول الشركاء المحتملين وتفاذي الزواج المدبر والتعامل مع أشكال جديدة من

التجارب الرومانسية والعلاقات الآثمة (ميلز 2003 Mills).

من ناحية أخرى قد يكون من السابق لأوانه أن ننظر إلى هذا كإرهاص "لنهاية المجتمع الأبوي"، فزيادة استقلالية المرأة أيضًا تسفر عن تكافؤ الضدين وصراع وردود فعل عنيفة من قبل الرجال، الذين تتخفف فرص العمل التقليدي أمامهم، والذين يمكن أن ينظروا إلى ارتفاع مكانة المرأة بوصفها "أزمة رجولة" (ميلز 2003 Mills؛ بيرونز 119: 2004 Perrons).

علاوة على ذلك، فإن المشاركة المتزايدة للنساء في الاقتصاد الدولي الجديد خلقت أيضًا سلاسل عالمية جديدة من التبعية والخضوع. تطابقت استراتيجيات التعديل الهيكلي خفض الإنفاق الاجتماعي، الذي يفترض مسبقًا أن الأسر تمتلك بالقدرات المرنة لاستيعاب تكاليف الدعم الاجتماعي للقوة العاملة. هذا يفترض دورًا منزليًا متزايدًا للنساء اللاتي يجبرن على دخول سوق العمالة أو العمل لحسابهن الخاص بالضغط على الأسرة. تركز التوجه إلى توظيف النساء في مجال الإلكترونيات والملابس والزراعة والخدمات (خاصة مراكز الاتصال). غالبًا ما يعتمد رأس المال الدولي على المفاهيم النوعية لطبيعة المرأة والعلاقات الاجتماعية لتوظيف النساء اللاتي يعتبرن أكثر خضوعًا واجتهادًا من الرجال واللاتي أيضًا يقبلن أجورًا أقل (ميلز 2003 Mills). في الدول المتقدمة أيضًا، تزيد نسبة العاملات من النساء في مجال الرعاية والتغذية والأعمال المكتبية والمبيعات. وغالبًا ما تكون النساء في الوظائف المهنية مديرات لنساء أخريات بشكل رئيسي (بيرونز 86: 2004 Perrons). علاوة على ذلك، فإن منظمة العمل الدولية (٢٠٠٣م) أصدرت التقرير التالي:

- تزيد احتمالية إيجاد فرص عمل بين النساء عنها بين الرجال في الاقتصاد غير الرسمي خارج الأطر القانونية والتنظيمية، مع قليل من المزايا الأمنية إن وجدت ودرجة عالية من التعرض للخطر.

- ما زالت مسئوليات الأسرة موكلة إلى حد كبير للمرأة. وإذا اضطرت للجمع بين أنشطة تربية الأطفال وأنشطة العمل، يطلب من النساء أن يجدن حلاً لتحقيق التوازن بين هذين الدورين.

- تحصل النساء على أجر أقل في كل مكان، عما يحصل عليه الرجال. يرجع أحد أسباب ذلك إلى أن النساء غالباً ما يشغلن وظائف ذات مستوى متدنٍ وأجور متدنية في مهن تهيمن فيها النساء على العمل.

- الزيادة في معدلات مشاركة القوة العاملة حتى الآن لا يقابله تحسن في نوعية الوظيفة. ولم تؤدّ ظروف العمل بالنسبة للنساء إلى تمكينهن الاجتماعي والاقتصادي الحقيقي.

- نتيجة لذلك، فإن نسبة النساء اللاتي يعملن لائزال غير قادرة على رفع مستواها ومستوى أسرتهن فوق خط الفقر المتمثل في دولار أمريكي واحد يومياً - ما يطلق عليه نسبة الفقراء العاملين - أعلى من نسبة هؤلاء من الرجال. فمن إجمالي عدد ٥٥٠ مليون شخص من الفقراء العاملين، نجد ٣٣٠ مليوناً أو ٦٠٪ من النساء.

تعكس هذه الأنماط لكل من الجنسين والتوظيف العالمي بنية اجتماعية موجودة بالفعل غير، أنها أيضاً تؤكد عليها وتدعمها بطرق متنوعة. من ثم فكما تقوم العولمة بإفراز أشكال جديدة من السلوك الاجتماعي، تتدفق العولمة بطرق منتظمة لتعزيز الترتيب الهرمي الكامن للنفوذ والهيمنة. هذه الآثار المتباينة في معظمها نتائج غير مقصودة لتراكيب معينة من سلاسل السلع العالمية وتداخل الثقافة وعلاقات النفوذ المحلية العابرة للقوميات إلى جانب السبل المتعددة التي يضيف بها الناس معاني على هذه العمليات وتوزيع الموارد، في الوقت الذي يحافظون فيه على سبل العيش.

خاتمة

خلقت العولمة، لأول مرة في تاريخ العالم، سوقاً عالمية وشبكة كثيفة من سلاسل الإنتاج والسلع، الأمر الذى كان له آثار عميقة على العلاقات الاجتماعية فى العقود القليلة الماضية. إلا أن هذه الآثار أصبحت مثار جدل واسع كالتقاش حول العلاقة بين العولمة وعدم المساواة. وفى حين تركز الكثير من الوكالات الدولية على الفقر (والتقاش حول أكثر من اتجاه) هناك دليل على أن عدم المساواة العالمية بين الدول ودخل الدول قد زادت بشكل مطرد مع زيادة التكامل الاجتماعى الاقتصادى العالمى. إن الخفض الشامل لمعدلات الفقر العالمى يتسق بطبيعة الحال مع عدم المساواة الإقليمية والعالمية نسبياً، والتي يتسع نطاقها والاتجاهات المعاكسة فى بعض الأماكن، ما دام هناك دائماً "فائزون" و"خاسرون" من عملية العولمة. كانت إحدى النتائج العالمية لهذه التطورات القضاء على الفلاحة بشكل واسع- أى اختفاء الحياة الريفية التى كانت - فى بداية القرن العشرين- أسلوب حياة لمعظم الناس فى جميع أنحاء العالم، بيد أن-انتهاءه- أفسح المجال أمام التحول إلى الحضر بشكل هائل (غير مخطط). هذه عملية معقدة ومتفاوتة تظهر بطرق مختلفة فى مناطق معينة. وأوضح مثال لذلك إنتاج القهوة والتبغ، فهناك مواقف قد يكون فيها الإنتاج الريفى الصغير النطاق الذى تدعمه سلاسل السلع العالمية التى تصل من القرية الريفية إلى منافذ البيع (السوبرماركت) بالمدن الرئيسية. رغم ذلك، ورغم أن خطط التوسع والإنتاج لمجال الزراعة يمكن أن تزيد من الدخول وتعيد تشكيل المجتمعات المحلية، فإن الشروط غير المتكافئة للتبادل تعنى أن المزيد من الآثار الواسعة النطاق ستؤدى إلى استنزاف البيئات المحلية وتزيد من وطأة النزوح من الريف إلى مناطق حضرية جديدة ومتوسعة. حتى فى الأماكن التى تظل فيها المزارع فى حيازة "الأسرة" (التي بدورها تتطلب ترتيباً هرمياً للنوع والجيل خضع للتغير والهيكل)، نادراً ما تظل هذه المزارع المصدر الأوحد للدخل، وتصبح العمالة

مزيجاً يتسم بالمرونة من العمالة التى تعمل بزراعة المحاصيل النقدية والمحاصيل الغذائية الرئيسية من جهة والعمالة المؤقتة والمهاجرين لأمد قصير أو بعيد. إن الفارق بين الحضرى والريفى وبين الإقامة الدائمة والمؤقتة يصبح غير واضح فى هذه العملية؛ حيث تتناقص نسبة المقيمين "الريفيين" الذين ينخرطون فى الأنشطة الزراعية.

حاول النقاش الماركسى للمسألة الزراعية أن يفهم كيف خلقت هذه التطورات أنماطاً جديدة من الطبقات الاجتماعية. كان رأى ماركس أن الرأسمالية بالضرورة قامت بإخضاع الريف لمنطق السوق، وبالتالي قامت بتقويض الأشكال التقليدية للتضامن الاجتماعى. وفى خضم ذلك، استقطبت أقلية من المزارعين الرأسماليين وحشد من البروليتاريين لا يملكون أرضاً. كان هذا الأمر مهماً للماركسيين لأن عملية التمايز الاجتماعى (فى المناطق الريفية والصناعية) كانت فى حد ذاتها مقدمة للثورة الاشتراكية، رغم أنه بحلول أوائل القرن العشرين كان من الواضح أن الريف لم يكن يتبع هذا النمط كما كان متوقعاً. فى الواقع، لم يكن الأمر فقط أن "مزرعة الأسرة" بدا أنها تتمتع بالقدرة على البقاء لكن أيضاً فى فترة ما بعد الحرب كانت هناك استراتيجيات وطنية وعالمية هدفت إلى زيادة الحماية الاجتماعية وتخفيف الأثر الاجتماعى المدمر لقوى السوق. إلى جانب النظم القومية للرعاية الاجتماعية فى الدول المتقدمة الرأسمالية، كانت هناك محاولات لوضع نظرية "كينيزية ريفية" من شأنها أن تدعم بعض الاستقرار الريفى فى الدول النامية. كما دعمت أيضاً الكثير من الشركات العابرة للقوميات العاملة فى مجال الزراعة، مشاريع صغيرة كان من شأنها آنذاك أن تتحمل نصيباً كبيراً من المخاطر وتكاليف الإنتاج. جاءت هذه الاستراتيجيات فى جوٍّ من التوتر مع الأزمة الاقتصادية العالمية ونمو برامج التعديل الهيكلى من الثمانينيات فى القرن العشرين وما بعدها إلى جانب ازدياد عملية التفكك الريفى مرة أخرى.

على أى حال كانت شروط المسألة الزراعية شروط وجود فى المقام الأول. لقد أيدت فهم تداخل العمليات المحلية والعالمية التى تكون فيها النواتج الجمعية نتاج قرارات اتخذت فى مناطق بعينها فى إطار القيود التى تفرضها كل من علاقات السلطة والممارسات الراسخة وأحوال المعرفة والسياق الحكومى المؤسسى. رغم ذلك فإن التكهّنات الماركسية تتماشى مع تلك الحقائق الجديدة فى منحى أبعد وهو أن العملية المتوقعة لتشكيل الطبقات كان سيتم الربط بينها وبين تطور القوى الإنتاجية الجديدة- نمو النظام الصناعى للإنتاج. على حين كان ذلك يحدث بطبيعة الحال فى أجزاء من العالم النامى، انفصل الكثير من النمو الحضرى غير المنظم عن توسع الصناعات الجديدة أو أشكال التوظيف الجديدة، حيث يعيش كثير من السكان الجدد للحضر على حد الكفاف. إحدى نتائج ذلك هو أن الاقتصاد غير الرسمى والذى تم اعتباره لفترة طويلة لا يتفق مع النمو الاقتصادى والتوجه نحو التصنيع شهد توسعا سريعا فى كل من الدول النامية والمتقدمة. علاوة على ذلك هناك علاقة قوية بين العمل غير الرسمى وغير المنظم وأحيانا غير المشروع من جهة وبين الفقر من جهة أخرى (كار وتشين 2001 Carr and Chen)، نتيجة هذه العمليات القضاء العالمى على الفلاحة وكان حافزا لحركة سكانية واسعة النطاق أفرز مدنا مدقعة الفقر بعيدة عن مصادر التضامن والترابط. وهذا بدوره أثر على التقسيمات الأيديولوجية العالمية. علق ديفيز (Davis 2004) قائلا:

"لو كان الإله قد مات فى مدن الثورة الصناعية فقد بعث ثانية فى مدن ما بعد الصناعة للعالم المتقدم"، حيث يحرز الإسلام والعنصرية المسيحية تقدما خاصة فى ظل الفراغ الأيديولوجى الذى خلقه الانهيار العالمى للحركات الاشتراكية.

الفصل السادس الإرهاب والمخاطر العالمية

أقبل الليل، ولكن البربر لم يأتوا
وتوافد البعض من الحدود،
وقالوا إنه لم يعد هناك أى بربر
والآن، ماذا سيكون حالنا دون أى بربر،
فقد كان هؤلاء القوم نوعاً من الحلول؟

فنسطنطين ب. كافافى "فى انتظار البربر" (١٩٠٤م)

تتاول هذا الكتاب بطرق شتى تساؤلات عن مدى ملائمة نظرية علم الاجتماع لفهم العولمة والحياة اليومية. لقد رأى بيك أن علم الاجتماع يتمسك "بالتصنيفات الغيبية المقدسة" كالأمة والطبقة والنوع وهى تصنيفات ماتت (بعبارة أخرى مفرغة من محتواها وأهميتها)، لكنها ما زالت حية فى ذات الوقت. تمثل هذه التصنيفات آفاق تجربة القرن التاسع عشر، آفاق الحداثة الأولى التى ما زالت تشكل مدرجاتنا الحسية وتعمينا عن التجربة الحقيقية وغموض الحداثة الثانية (بيك، 2000b). علاوة على ذلك، فإن زعمه بأنه قد جرت "عملية ديمقراطية للمخاطر" أعقبها اختفاء الاهتمام التقليدى لعلم الاجتماع بالبنية التى هى أحد المزاعم الأساسية لنظرية تعرض المجتمع للخطر. هذا يدعم الدعوى التى تبناها الكثير من الكتاب وناقشناها فى هذا الكتاب ومفادها أن العولمة تطرح تهديداً لعلم الاجتماع التقليدى، لأنها تستتبع

تفتتت المجتمع ونظم الدولة وسقوط الحواجز وتؤدي إلى نفاذية جديدة للحدود لدرجة أن التقسيمات السابقة لـ: الطبيعة/المجتمع والكيانات/الثقافة لم تعد سارية. وفي الواقع، فلقد طال الشك تميز النشاط الاجتماعي في حد ذاته وأصبح عرضة للتساؤل، يقول كل من لو (Law 1994) ويوري (Urry 2003: 106) إن نظام الطبقات الاجتماعية "ببساطة ليس اجتماعيًا"، لكنه "يتكون من عناصر غير متجانسة" تشمل أسلوب الحديث، والكيانات، والنصوص، والآلات، والمعمار". هذا الكتاب يتناول هذه الآراء. فبالنسبة ليوري وLaw، قد يتساءل المرء ما الذي لا يوجد في أسلوب الحديث والكيانات والنصوص والآلات والمعمار ولا يعد "اجتماعيًا"؛ تترتب جميع هذه الأنشطة (أسلوب الحديث، الكيانات، النصوص، الآلات، المعمار) وتتظم وتوضع داخل أطر دلالية ثابتة أحياناً ويختلف عليها أحياناً أخرى، وتصبح مواضيع للأحاديث ومصادر تتضح في محيطها الأنشطة الاجتماعية. علم الاجتماع يهتم بالسلوك الاجتماعي الذي يشكل ما هو عالمي كموضوع للتأمل والتدخل، والحفاظ على قوام العلاقات العالمية. يرى جوفمان (Goffman 1983) أن "الكيان الإنساني بالنسبة لغالبيتنا، أن نقضي حياتنا اليومية في ظل الوجود المباشر الآخرين" لذا فجميع "أفعالنا" يمكن وضعها في سياق اجتماعي. يمكننا أن نضيف إلى هذا أنه ينطبق أيضاً على التفاعلات العالمية التي تتم من خلال تقنيات الاتصالات الرقمية كما ذكرنا في الفصل الرابع. علاوة على ذلك، فإن مفاهيم البنية الاجتماعية والطبقة والبيروقراطية والنوع والعرق والسلطة والسلع هي مفاهيم حيوية لفهم السبل التي تتجسد فيها العولمة في المناطق المختلفة كما حاول التحليل لمظاهر عدم المساواة العالمية في الفصل الخامس أن يوضح. غير أن انهيار الأشكال والتقسيمات الاجتماعية التقليدية بسبب العولمة (والتي ارتبطت بظهور أشكال وتقسيمات جديدة) يعنى أن تجربة الانسيابية والتفتت وربما بسبب النفاذية التي كانت لها تأثيرات متعددة على

أنماط الحياة اليومية. من بين هذه التأثيرات للحياة اليومية من جراء مخاوف جديدة متخيلة حقيقية، غيرت إدراكنا لمفهوم الحياة في العالم. هذه هي القضايا التي يتناولها هذا الفصل.

العولمة من "السعادة" إلى "الأسى"

النظام العالمي في أحد جوانبه ما هو إلا نتيجة لمجموعات معقدة من شبكات الاتصالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والواقعية من جانب والتنظيم من جانب آخر. لكن الاشتراك في النظام العالمي أيضاً كما يقول روبرتسون (Robertson 1992: 8) يستتبع شكلاً من أشكال الوعي، أو بالأحرى أشكالاً متعددة ومتدفقة من عملية التصور العالمي. يتناول هذا الفصل الأخير بعض المناحي لكتلنا العمليتين - قوة ديناميكيات البنية الاجتماعية وأنماط التكامل العالمي وأيضاً التغيرات والأبعاد التي طرأت على الوعي والتصور العالمي وأبعادهما في مجابهة المخاطر والإرهاب.

بانتهاى الحرب الباردة ساد شعور واسع بالتفاؤل العائلى من قبل أشخاص مثل فريدمان وفوكوياما (Friedman and Fukuyama) اللذين عبّرا عن فكرة ما يطلق عليه هولمز (Holmes 2001) اسم "عقد" ما بعد الشيوعية "الطويل" (١٩٨٩ - ٢٠٠١م) "بوصفه أوج سعادة العولمة" خلال هذه الفترة كان هناك تفاؤل واسع النطاق بأنه بما حققته الرأسمالية فى العالم بأكمله، فقد افتتحت عقداً من "التنافس دون احتكاكات" وحققت الرخاء للفقراء ونشرت الحوار السلمى والتقدم نحو انديموقراطية وسيادة القانون. يرى فوكوياما (Fukuyama 1992) أن الديموقراطية الليبرالية ورأسمالية السوق الحرة هما أكثر الأشكال إرضاء وفاعلية للحكم والنوسيلة المثلى لتنظيم الاقتصاد، وتمثلان المرحلة الأخيرة من الحكم الإنسانى. فى الوقت المناسب، سوف تتلاشى جميع الإيديولوجيات المتنافسة والدول التى لا تتمتع بالديمقراطية

الليبرالية في الوقت الحالي ويجب أن تبرر نظام حكمها لتبين أنها تتجه نحو الديمقراطية الليبرالية. ولابد أن تعد هذه الدول بتوفير الحرية والانتخاب الديمقراطي، لأن شرعية الدولة ستكون عرضة للسؤال إذا لم تقم بذلك. لقد زعم فوكوياما أن الرأسمالية في النهاية هي النظام الاقتصادي الممكن الوحيد القابل للتطبيق في العالم الحديث وأن كل الدول في النهاية ستطبق نظام رأسمالية السوق الحرة. إضافة إلى ذلك، فإن كل المجتمعات الإنسانية بغض النظر عن ميولها الثقافية الخاصة، ستجذب في النهاية إلى ثقافة استهلاكية عالمية. لم يكن فوكوياما يعنى أن "التاريخ" مجرد وقوع أحداث تنتهي، لكن انتصار الديمقراطية الليبرالية والمجتمعات الاستهلاكية في نهاية المطاف ستكون إشارة بنهاية التاريخ (بحروف كبيرة) كمجموعة من المعتقدات الموجهة بشكل نهائي لشئون الدولة (كمدينة فاضلة) وهو اعتقاد ماركسي موجز^(١). نفس الشيء قاله فريدمان "إن عمر العالم عشر سنوات، فقد ولد منذ انهيار (حائط برلين) عام ١٩٨٩م... كما أن التكنولوجيا - التي تم تسخيرها جيدًا وتم نشرها بحرية - لديها من القوة ما تستطيع به أن تمحو لا الحدود الجغرافية فقط بل والحدود الإنسانية أيضًا." (فريدمان Friedman 1: 2000). كتب هابرماس ثانية عن نهاية الشيوعية التي منحت أوروبا "فرصة ثانية" لتجسيد فكرة مجتمع مدني متواصل في كل من الشرق والغرب - لكنها هذه المرة خالية من "الانغماس في الذات النرجسي المتمحور حول أوروبا" (هابرماس 72: 1994). هذا التفاؤل (الذي لم يشارك فيه الجميع قط بطبيعة الحال) وأفسح الطريق ليحل محله تشاؤم أكبر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م (التي سنشير إليها فيما بعد بالحادي عشر من سبتمبر) والتركيز المتزايد على المخاوف الجديدة التي بدأت تظهر على وجه الدقة من عملية العولمة ذاتها. إن ظهور حركات عالمية أيديولوجية قوية - خاصة الإسلامية منها - يدعو إلى التشكك في مفهوم نهاية التاريخ.

إضافة إلى ذلك فإن نفاذية الحدود في حد ذاتها وتلاشى مفاهيم المكان والزمان التي توجز مفهوم العولمة أصبحت الآن تثير مخاوف جديدة من التعرض لعدوان دموى، نتيجة للثقة العمياء التي في غير محلها أو ما يسميه جوفمان (Goffman 1983) "عدم التيقظ المدني" للأماكن العامة في المجتمعات المعاصرة. علاوة على ذلك، فما دامت عملية الانتقال العالمي تجرى عبر الحدود التي تشكل الدولة السيطرة عليها وأحد أشكال تنظيم دخول الأفراد، ويمكن للحدود أن تكون مدخلاً للإقليم وبشكل مجازي حرساً لكيان الدولة التي يتهدها خطر التعرض لعدوان دموى. لقد زادت المخاوف في أعقاب الحادى عشر من سبتمبر من وطأة تلوّث الأمة وكيانها والثقافة بالعنف. لقد أصبحت نفاذية الحدود وانفتاحها نوعاً من التهديد وتحولت النظرة بالنسبة لحركة الانتقال والانسحابية إلى تهديدات بالعنف. إن الامتناع عن التصويت في الاستفتاء الفرنسى الذى أجرى على دستور الاتحاد الأوروبى يرجع فى أحد أسبابه إلى "الخوف من الشرق" ومن الهجرة غير المنظمة للوافدين الغرباء. هذا الخوف الذى تحول إلى "مقاومة" شديدة قائمة بالفعل للقوى العالمية مثل اتحاد المزارعين بقيادة "خوسيه بوفيه" أحد قادة حركة "اللا" تصويت فى فرنسا (أيرلندا 2005 Ireland).

لقد تلاشت صور النظام العالمى السلمى لتحل محلها صور العنف والتهديد. وعلى النقيض من تقاؤل فوكوياما بشأن نهاية التاريخ والانتصار الأخير للديموقراطية الليبرالية، فقد كانت هناك، وخاصة منذ الحادى عشر من سبتمبر و"الحرب على الإرهاب"، تلميحات بأن العالم على أعتاب مرحلة جديدة للتقسيمات القطبية الثنائية أو المتعددة - التى يقف فيها "الغرب" فى مواجهة "الإسلام" على وجه الخصوص. من أشهر المؤيدين لهذا الرأى صمويل هنننجنجتون (Samuel Huntington 1999) الذى تعكس نظريته عن "صدام الحضارات" طريقة التفكير التى سادت بين جماعة المحافظين الجدد من الجمهوريين المقربين للرئيس بوش.^(٢) تفيد نظرية هنننجنجتون بأن السبب

الرئيسى للصراع العالمى بعد انتهاء الحرب الباردة سيكون ثقافياً وبين "الحضارات". يرجع هذا إلى أن انتهاء الحرب الباردة أطلق قوى حضارية وثقافية كانت تتشكل فى المجتمعات غير الغربية لعدة قرون (39: 1999). ويبدو أن أساس هذه الصراعات هو أساس أولى:

"الحضارات هى الشكل النهائى للقبائل الإنسانية ، وما صدام الحضارات إلا صراع قبلى على نطاق عالمى. فى العالم الصاعد قد تتشكل دول وجماعات من حضارتين متباينتين... ائتلافات تكتيكية محدودة ذات هدف خاص لخدمة مصالحهما ضد كيانات تنتمى لحضارة ثالثة.... غير أن العلاقات بين المجموعات المنتمية لحضارات مختلفة لن تكون أبداً علاقات وثيقة بل تتسم بالبرود عادة والعداء غالباً".

(هننغتون 207: 1999)

ستشهد هذه العلاقات مراحل متنوعة - كالحرب الباردة والحرب التجارية وما يشبه الحرب والسلام غير المستقر والعلاقات المضطربة والتنافسية الشديدة والتعايش وسباقات التسلح- غير أن "الثقة والصداقة ستصبحان عملة نادرة" (207: 1999) . ولقد وُضع مبدئياً نموذجٌ متعدد القطبية للصراع المحتمل بين العديد من الحضارات- "الغربية" والأمريكية اللاتينية والأفريقية والإسلامية والصينية والهندوسية والأرثوذكسية والبوذية واليابانية- غير أن الصراع المحتمل بين الغرب والإسلام هو الذى استحوذ على جل الاهتمام. وحقيقة فقد أكد هننغتون نفسه أن "بعض الغربيين... رأوا أن الغرب ليست لديه مشاكل مع الإسلام لكن فقط مع المتطرفين الدمويين"؛ لأن "ألف وأربعمئة عام من التاريخ تثبت غير ذلك" وهذا النزاع سيجعل الصراع ما بين الديمقراطية والماركسية اللينينية يبدو "سطحياً وعابراً" (209: 1999). من ثم، تركز هذه النظرية على صراع جديد من الواضح أنه ثنائى القطبية يمكن من خلاله إعادة استخدام لغة وأسلوب الحرب الباردة.

يبدو بالفعل أن عالم ما بعد الحرب الباردة قد أصبح فى وضع خطير لا يمكن التنبؤ به كما كان عليه الحال فى السابق حين كان توازن التوتر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، يمنع من حين لآخر احتمال تحول بعض الصراعات الإقليمية إلى صراعات عالمية. غير أن عالم ما بعد الحرب الباردة يمكن أن تتغير فيه الهويات الجمعية تغييراً جذرياً وتكون "الذكريات" فيه مطاطة ومتغيرة، لذا فإن نظرية "الصدام" يكتنفها الخطأ فى افتراض أن هناك صراعات تاريخية خالدة يستحيل حلها. فى الواقع إن إسباغ الصفة الشخصية على الكيانات الضخمة "للغرب" و"الإسلام" تغفل الديناميكيات الداخلية والتعددية لكليهما (سعيد 2001 Said). فالحركات الإسلامية تناضل من أجل الفوز بالهيمنة داخل المجتمعات الإسلامية بقدر الرغبة فى الهيمنة على الغرب وهم محور الصراعات المريرة التى تنشب داخل الدول. من شأن التركيز الأقل على الثنائية القطبية أن يقيم صلة بين الأنشطة الدموية للجماعات الإسلامية وغيرها من صور العنف الدينى والسياسى المتنوعة فى أماكن أخرى مثل فرع "الداووديين" و"طائفة" أوم شينريكيو اليابانية وغيرها من مفجرى قتابل أوكلاهوما والنازيين الجدد والكلو كلاكس كلان والمسيحيين المتعصبين الذين فجروا العيادات التى تجرى عمليات الإجهاض (هيويت 2002: 14ff Hewitt). إن ظهور جماعات كراهية كهذه تتوفر لديها الموارد والقدرة على ارتكاب مذابح جماعية ظاهرة عالمية، غير أنها لا تدعم وجهة النظر ثنائية القطب للعالم. علاوة على ذلك، فإن فكرة قطبية الغرب والإسلام تبرهن على ما وصفه سعيد وغيره بالكراهية العميقة تجاه الإسلام المتأصلة فى المخيلة الغربية والتى تتجاهل إلى أى مدى كان الإسلام داخل الغرب منذ البداية - فهناك تاريخ طويل من التبادل الثقافى بينهما كما أن حركة النهضة فى الغرب قامت على العلوم الإنسانية العربية، والفلسفة والتاريخ العربى (سعيد ٢٠٠١م). إضافة إلى ذلك، من الواضح أنه ليست هناك، ولن تكون هناك، قطبية ثنائية تضاهى الحرب الباردة إلا إذا وصلت القاعدة إلى سدة

الحكم في المملكة العربية السعودية (مثلاً) وفي نصف دسنة أخرى من الدول الكبرى (أوث وايت وراي 2005: 141 Outhwaite and Ray).

هناك أيضًا وجهة نظر ثنائية للصراع الاجتماعي الثقافي في نظرية باربر (Barber 2003) عن عالم "مكدونالدز" مقابل عالم "الجهاد" - أى الصدام بين عناصر العولمة المؤدية للتجانس والمثيرة للنزاع، خاصة الرأسمالية الاستهلاكية مقابل الأصولية الدينية والقبلية. فمن ناحية، تقوم الرأسمالية الاستهلاكية على المستوى العالمى بإذابة الحواجز الاجتماعية والاقتصادية بسرعة بين الأمم ومن ناحية أخرى، تدعم الكراهية العرقية والدينية والعنصرية التى تفتت المشهد السياسى إلى وحدات قبلية أصغر وأصغر. لكن كما يقول كلنر (Kellner 2002) (فى طبعة سابقة من نظريته) إن نموذج "باربر" يفرط فى تبسيط التقسيمات والصراعات العالمية الحالية، ولا يقدم بشكل كاف التناقضات التى تعتمل داخل عالم الغرب أو عالم "الجهاد"، ورغم اختلافه مع فريدمان (٢٠٠٠م) فإن باربر يشير بالفعل إلى بعض أوجه القصور التى تعترى العولمة. بشكل أعم، مازالت الآراء ثنائية القطبية هى التى تشكل الكثير من صور التفكير بشأن بعض القضايا العالمية فى حين لا يمكن اختزال تطورات العولمة المتعددة الأبعاد إلى مجرد قوالب معبأة، خاصة فى ضوء الدلالة التى يضيفها الناس محليًا على السلع والأفلام ذات الانتشار العالمى. إن الأمر المهم الذى يتعلق بالعولمة يتمثل فى أن الثقافات لا تقوم بالامتصاص السلبي للمؤثرات الأجنبية والعالمية، بل إنها، قد تقاومها (مثل الحظر الإيرانى للأقمار الاصطناعية) لكنها فى الغالب تقوم بإدخال التأثيرات الأجنبية إلى شتى مناحى الحياة الخاصة بهم، كما رأينا فيما يتعلق بالاتصالات الرقمية فى الفصل الرابع. فعلى سبيل المثال، تبين الدراسات الإثنوجرافية لمكدونالدز (كدراسة كالدويل 2004 Caldwell) أن دلالة مكدونالدز قد تغيرت بشكل هائل على يد الثقافة المحلية والعملاء المحليين والمنافسة المحلية. فى موسكو على سبيل المثال يقوم مطعم راسكو بيسنروز

ببيع الأكلة الشعبية البيروزكي (لحم البقر والكرب والبطاطس المشوى) كوجبة سريعة، ورغم أن المطعم يواجه بعض المتاعب التجارية، فقد أصبح منافسًا محليًا قويًا (كوناندر 2006 Konnander). في هذا الصدد، كتب هانرز (Hannerz 1990) عن عملية المزج بين ثقافتين في ثقافة واحدة- وهو إبداع لأشكال التعبير المحلية التي تكيفت من خلال الترابط العالمى. مرة أخرى يمزج كتاب من أمثال "حنيف قریشى Hanif Kureishi" بين أكثر من لغة ويعبرون في كتاباتهم عن تنوع و ثراء التأثيرات الثقافية المتنوعة. كتاب "ثقافة الثقافات" (ساهلينز 2001 Sahlins) من الأطر المرجعية المهمة للناس للانتماء إلى "ثقافة" بعينها - السكان الأصليون والأقليات الإثنية والتحالفات متعددة القوميات "للسود" الذين لهم "ذاكرة" خاصة وتاريخ- من ثم يطالب الناس باستعادة الهويات "الضائعة"- منذ ١٩٧٠م وحتى ١٩٨٠م ازداد عدد هنود أمريكا الشمالية من ٧٠,٠٠٠ إلى ١,٤ مليون- لم يكن هذا نتيجة لانفجار سكاني وإنما بسبب تنامي العدد السريع الذى أقر بانتمائه لنفس الأجداد ، هذه الظاهرة تعد في حد ذاتها جزءًا من السعى العالمى لتحقيق هوية الأنساب (برايدن باخ وزوكريجل 1999 Breidenbach and Zukrigl). لذا فإن العيش فى عالم متعولم لا يؤدي إلى التجانس أو الاستقطاب بل إلى مزيج مبدع وانتقائى للهويات.

هناك نسخة أخرى من نماذج التفكير الثنائى عند هاردت ونيجرى (Hardt and Negri 2000) اللذين يزعمان أن الدول القومية سيحل محلها "الإمبراطورية" أو "السيادة الإمبريالية"- بظهور بنى اجتماعية منهجية مرنة ديناميكية بوضوح عبر العالم. هذا الشكل الجديد للسيادة لا يرتبط بحدود إقليمية ويتسم باللامركزية. بيد أن هذه "الإمبراطورية" تستولد نقيضها - الحشود النائرة التى هى "البديل" للإمبراطورية- "المقاومة والنضال ورغبات الحشود" (هاردت ونيجرى 2000: xvi, 398 Hardt and Negri). لكن استخدامهم لمصطلح "إمبراطورية" هنا هو استخدام غامض ومضلل فهما

أساسًا يصفان تطورات العولمة ومشروع الهيمنة العابر للحدود الإقليمية الذي تتبناه الولايات المتحدة الأمريكية بدلاً من المفاهيم التقليدية للإمبراطورية كمنظمة مركزية تتأسس على حدود إقليمية. هذا يضيف على عملهم مظهر الابتكار الذي ربما ما كان ليوصف به. علاوة على ذلك فهما لا يفسران ظهور "المقاومة" أو الأشكال المعينة التي يمكن أن تتخذها - على سبيل المثال، الحركات الإسلامية مقابل الحركات الاشتراكية العلمانية والفوضوية. نفس الشيء يقوله جونسون (Johnson 2000) فالعنف الذي يبدو وكأنه ينشأ من خارج الغرب - من "الإرهابيين" أو "الدول المارقة" غالبًا ما يتبين أنه رد فعل لعمليات أمريكية سابقة عليه، مثل مساندة المجاهدين الأفغان ضد السوفييت في الثمانينيات من القرن العشرين (8: 2000). ليس هذا بالتفسير الدقيق لسبب وكيفية نشوء المعارضة داخل النظام العالمي، لكنه يشير إلى الطريقة التي تنشأ بها الصراعات العنيفة التي تشهدها الساحة العالمية ذات النتائج غير المقصودة لأحداث تمت على النطاق العالمي. وبرز تحدٍّ غير نظامي "للإمبراطورية" الأمريكية العالمية من قبل الحركات الإسلامية التي بصورة ما تحتل المكانة التي كانت للشيوعية سابقًا: قامت "الكتلة المناهضة للإمبريالية" بحشد طاقات التفاني للمتعبين والولاء الأعمى وأخلاقيات اليعقوبيين للعنف وتطهير المجتمع القديم للدفع بمدينة فاضلة جديدة ظاهرة (راي 1999 a) ^(٣). وبطريقة ما حل محل الهوية الأيديولوجية القديمة القائمة على الانقسام الأيديولوجي بين الرأسمالية والشيوعية، حلت سياسات الهوية الانسيابية متعددة القوميات وحركات الاحتجاج المناهضة للعولمة.

رغم أن العولمة تفرز التهجين الثقافي وعدم التجانس الثقافي الاجتماعي، ربما ستكون هناك حالة ثنائية قطبية عالمية جديدة ذات أهمية لتصور اجتماعي للعلاقات الدولية ^(٤). وبطريقة مماثلة، فإن الآخر البعيد مكانيًا يمثل "بؤر اضطراب وغموض ضد الأمن المطبوع في النظام الرمزي [بترق]" تمثل أشياء مختلفة تشمل الشيوعية، والمخدرات والهجرة والانحراف

الجنسى" (سبينس 2005 Spence). فى الواقع رغم أن نظرية هنتينجتون غير قابلة للتصديق فى كثير من مناحيها فهناك خطر أن تصبح نبوءة لا تحتاج إلى برهان منذ أن غذتها أو (نسخة منها) الأيديولوجيات الخيالية الثنائية لكل من القاعدة وواشنطن و كليهما يرى العالم فى شكل تقسيمات ثنائية بين الخير والشر اللذين لا يتصالحان أبداً. يقول كلنر Kellner:

"على حين يبدو أن نموذج هنتينجتون له سوق فى ظل المجابهة العالمية التى تتجلى فى الوقت الراهن مع الإرهاب وأنه سيصير أيديولوجية جديدة مهيمنة محافظة، فهو يفرط فى النزوع إلى تحقيق الانسجام بين الإسلام والغرب... [و] ... يسلم نفسه إلى سوء الاستخدام الضار".

(كلنر 2002 Kellner)

أحد الأمثلة على ذلك هو جمعها مع الإيمان بخصوصيات "العقلية العربية" - التى تم التأكيد عليها مثلاً فى كتاب باتاى (Patai 1976) المؤثر - التى دخلت إلى التفكير الاستراتيجى للولايات المتحدة الأمريكية وربط دى أتكين (De Atkine 1999) بين نظرية هنتينجتون "Huntington" والاعتبارات الاستراتيجية العالمية الأمريكية. من الواضح أن استخدام الإذلال الجنسى فى عملية تعذيب السجناء العراقيين التى جرت فى عامى ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤م كان قائماً على الاعتقاد المأخوذ من كتاب باتاى (Patai 1976: 216) ومفاده أن "العرب لا يفهمون سوى لغة القوة و... إن أشد نقاط الضعف عند العرب هى العار والمذلة" خاصة فيما يتصل بالأمور الجنسية. إن الجمع بين استخدام علم اجتماع زائف وخيالات أيديولوجية حول شن حرب عالمية على الإرهاب يهدد بأن يثمر كل ذلك عن "صدام حضارات".

بهذه الطرق تخلق العولمة بديلها- البرابرة الجدد فى مناطق الاضطراب- وتدمج العالم فى الأسواق الليبرالية الجديدة. بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر مباشرة، كتب هندريك هيرتزبيرج فى جريدة النيويوركرس يقول إن العولمة:

"يتزايد اعتمادها على الثقة - أو التوقع غير الوجدانى بأن الناس، فرادى وجماعات، سيتصرفون بشكل أو بآخر لتحقيق مصالحهم الشخصية المعقولة... وقد استغل الإرهابيون هذه الثقة. لقد ركبوا موجة النظام الدورى الهوائى للعالم مثل الفيروسات القاتلة".

(هيرتزبيرج 2001 Herzberg)

كانت الاستعارة المجازية للفيروس ذات مغزى مثلما كان الجسد استعارة مجازية للدولة، وغالبًا ما كان يتم الربط بين المرض والعنف السياسى من خلال خصائصهما المشتركة من التهديد والاعتراب والقدرة على اختراق الحدود القومية. على سبيل المثال زعم الفيلسوف السياسى توماس هوبز "Thomas Hobbes" أن العقد الاجتماعى يستتبع الفصل بين المجتمع المدنى والسياسى الأمر الذى وصفه كنظامين أو بعبارة أخرى "عدد من الأشخاص تربطهم مصلحة واحدة كأعضاء فى كيان واحد" (هوبز 131: 1994 Hobbes). سيتم دراسة الاستعارات المجازية للهياكل الحدود والفيروس / والغزو فيما بعد فى هذا الكتاب.

الإرهاب ومخاطر المجتمع العالمى

يرى بك أن هناك ثلاثة مخاطر عالمية - الكوارث البيئية والأزمات المالية والإرهاب- تدعم مخاطر المجتمع العالمى وتغير بشكل أساسى العلاقات بين الحياة الفردية والاجتماعية. إن الحرب على الإرهاب هى فى جزء منها حرب أفكار ووهم بأن هناك "شيطان أعظم" ضد "محور الشر"

والصراع الأيديولوجى بشأن معانى وقيم الإسلام فى علاقته مع الغرب. بخلاف ما كان أثناء الحرب الباردة، فإن هذا الصراع أكثر عمومية وأقل تأثيراً فى الصراعات الإقليمية - للهويات والولاء والانتماء - الأمر الذى توضحه النزاعات المتجددة حول اندماج الأقليات الإثنية والدينية فى المجتمعات الغربية. يرى شانون (Shannon 2002) أن العالم الذى تسيطر عليه كيانات غير قائمة على نظام الدولة قد يكون مناخاً تاريخياً أكثر ملائمة لإقامة علاقات عالمية قوية على حين ندلف إلى عصر "ما بعد الويستفاليين" الذى تنهار فيه الفروق المعهودة بين العسكرى والمدنى والدولة. لقد تلاشى النموذج القديم للصراع القائم على الحدود الإقليمية إلى حد ما، ليحل محله التمرد والحرب الأهلية. ومن الأرجح أن تشتمل الصراعات العالمية ما بعد الويستفالية على أعمال عنف بين أبناء الدولة الواحدة، وعلى سبيل المثال الصراع حول محاولة تشكيل وحدة تطالب بالاستقلال على أساس من العرق أو اللغة أو الدين أو أى أساس آخر من الخصوصية الثقافية. فى هذه الحالة تدخل القوة المسلحة الرسمية للدولة فى صراع مع المتمردين غير النظاميين وغير الرسميين. فى الواقع وكما يقول يورى:

"قبل الحادى عشر من سبتمبر كان هناك سلام، لكنه لم يكن سلاماً. وأصبحت هناك حرب ليست "حرباً" بين الدول القومية ذات السيادة وأصبح الآن هناك عالم على حافة الفوضى لا ينعم بالسلام الداخلى".

(يورى 2002 Urry)

الإرهاب العالمى يختلف عن الأشكال السابقة للإرهاب ويتمشى أكثر مع مفهوم التطورات العالمية ما بعد الإقليمية (هدسون 1999 Hudson)^(٥). بناء على التحليل الذى أجراه بيرجسون (Bergesen 2003) يمكن القول بصحة هذا على الأقل بستة مفاهيم. أولاً، فقد حدث تحول تنظيمى إلى الشبكات الدولية، ذلك الشكل الذى يفترن بحرية تامة بدلاً من الاعتماد على

عناصر مدربة من المحترفين وترتيب الوظائف بتدرج هرمي. ثانيًا، الجماعات المعاصرة تعلن بصورة أقل عن مسؤوليتها بالنسبة لأعمال العنف، على حين في الماضي كانت هذه مناسبات لإصدار بيان سياسى. ثالثًا، غالبًا ما تكون المطالب غامضة وغير واضحة- فلم تعلن القاعدة بصراحة مسؤوليتها عن أحداث الحادى عشر من سبتمبر لبعض الوقت- كما لم يصاحب هذه الأعمال الفظيعة أى مجموعة من المطالب. فى الماضى كانت الجماعات التى تتخرط فى العنف السياسى تسعى وراء أهداف محددة مثل الإطاحة بالحكم البريطانى فى أيرلندا الشمالية لصالح الجيش الجمهورى الأيرلندى أو الانفصالية القومية الإثنية لإقليم الباسك. رابعًا حدث تغير فى الدوافع التى كانت فى أغلبها سياسية إلى دوافع دينية- على سبيل المثال، بين الجماعات الإسلامية والمتعصبين المسيحيين وأوم شينريكيو. خامسًا، كان هناك تبعثر عالمى للأهداف والضحايا بعد وقوع الحدث الحزين مباشرة. قد يكون للأهداف مغزى رمزى عالمى كما هو الحال مع مركز التجارة العالمى أو مغزى محلي، كالمركز الاجتماعى اليهودى فى الدار البيضاء الذى تم تفجيره فى مايو ٢٠٠٣م. فى النهاية، العنف المعاصر أصبح أكثر عشوائية ولا يميز بين المقاتلين والمدنيين وغالبًا ما يستهدف المدنيين بشكل خاص. كما أن العنف لا يوحى إلى إعادة الصراع بين الكتل القائمة على الحدود الإقليمية. يمكننا أن نضيف إلى ذلك الأهمية المتزايدة للأهداف الرمزية. فالهجوم اليابانى على بيرل هاربور الذى قورن به بأحداث الحادى عشر من سبتمبر كان له هدف استراتيجى وقائى وهو تدمير البحرية الأمريكية. لكن أحداث الحادى عشر من سبتمبر لم يكن لديها غرض استراتيجى بهذا المعنى؛ بل كانت هجومًا على رموز السلطة والمال العالميين الأمريكيين (والغربيين) تمثل ذلك فى (البنّاجون) و(برجى التجارة). لقد حدث تحول عميق فى الصراع الدامى أبعد عن الحرب بين الدول السيادية القائمة على الحدود الإقليمية للأراضى والتى تنتهى بالوقف الرسمى للاعتداءات، إما من

خلال استسلام أحد طرفي النزاع أو من خلال التوصل إلى سلام من خلال التفاوض. النمط العالمي للصراع الدامي هو نمط التمرد الذي فيه تتقاتل الدول مع القوة "غير المتماثلة" للقوة المسلحة غير النظامية الخارجة عن إطار الدولة التي غالبًا ما تكون شبكاتها المتصلة منظمة عالميًا. رغم أن القوات المسلحة الخارجة عن إطار الدولة كالجيش الجمهوري الأيرلندي، يمكنها أن تعلن عن نهاية هذه الأفعال العدائية، فإن هذه الصراعات أكثر انتشارًا وغير محددة المدة وغالبًا ما تقتقد إلى نقطة النهاية التي تفترضها مسبقًا الصراعات التقليدية بين الدول. مجمل الأمر إذن، أن العولمة تيسر إقامة الشبكات العالمية- المحلية التي تربط بينها الهوية والاتصالات الرقمية بدلاً من صور التضامن المكانية الثابتة ذات الصلات الوثيقة. لقد أفسح عصر القطبية الثنائية التي تقوم على الحدود الإقليمية المجال، ليحل محله واحد من أشكال العنف الدموي المتعددة التي غالبًا ما تكون خارج إطار الدولة التي قد يكون فيها المشهد السياسي أكثر دلالة من الأهداف الاستراتيجية الواضحة المعالم.

من المثير للسخرية أن تكون العولمة هي التي سهلت قدرة الإرهاب العالمي على توجيه ضرباته إلى عدد كبير من الدول وأصبحت الآن من أكبر التحديات التي تواجهها. لقد كان الحادي عشر من سبتمبر حدثًا هائلًا في حد ذاته في عالم الإعلام العالمي المرئي إلى جانب القوة القائلة للتقنية الحديثة. يرى كيلنر (Kellner 2002) أن الحادي عشر من سبتمبر "عبر بشكل درامي بأن العولمة هي واقع حياتنا الآن وأن احتفاء الناس الزائد بالأفكار والتكنولوجيا والإعلام والسلع قد يكون له مثالبه إلى جانب مزاياه". لقد تم قلب العلاقة بين المحاكاة والواقع كما يشير ديفيس (Davis 2001):

"تم تنظيم الهجمات على نيويورك وواشنطن العاصمة كما يحدث في سينما الرعب الملحمية مع لفت الانتباه إلى الحادث. في الواقع، كان الهدف من الطائرتين المخطفتين، التأثير بشكل دقيق على الخيط الواهي الذي يفصل بين

الحقيقة والخيال. وعلى خلاف ما حدث عندما تم احتلال الإذاعة عام ١٩٣٨^(٦)، اقتنع آلاف الناس الذين شاهدوا أجهزة التلفزيون الخاصة بهم في ١١ من سبتمبر أن هذه مجرد خدعة تليفزيونية واعتقدوا أنهم يشاهدون لقطات من أحدث أفلام بروس ويليز.

(ديفيس 2001 Davis)

يشير ديفيس إلى أن هذا الوهم استمر مع "سلسلة من الهلوسات السينمائية" لمحاكاة سينمائية للحادثي عشر من سبتمبر وأضاف أن الحادثي عشر من سبتمبر "من الواضح أنه حدث عالمي لا يمكن أن يقع سوى في مجتمع تربطه شبكات مجتمعية مترابطة وتتوفر فيه التكنولوجيا للجميع".

يرى بك (Beck 2003) أن الإرهاب نذير المزيد من العولمة، وأنه مهد لعهد جديد من العولمة يكون فيه التركيز على إعادة الابتكار السياسي للقوميات من خلال إقامة الشبكات والتعاون بين الدول:

"تسببت المقاومة الإرهابية للعولمة عكس ما كانت تستهدفه تمامًا، فقد مهدت لعهد جديد من عولمة السياسات والدولة- بالتدخل السياسي في القوميات من خلال الشبكات والتعاون. في عصر يختفي فيه الإيمان بالله والطبقات الاجتماعية والأمم والحكومات، تحولت عالمية الخطر المدركة والمعروفة إلى مصدر للترابط وفتح آفاق سياسية عالمية جديدة للعمل.

(بك 2003 Beck)^(٧)

يقول بك إن الحادثي عشر من سبتمبر هو "تشيرنوبل العولمة" ففي حين قام انفجار عام ١٩٨٦م للمفاعل النووي بوضع مخاطر الطاقة النووية في إطار درامي، قام الحادثي عشر من سبتمبر "بإهالة التراب على وعد الليبرالية الجديدة بالخلاص". إن فصل ما هو اقتصادي عما هو سياسي ليس من شأنه حل مشاكل الإنسانية، كما أن انسحاب الدولة من الساحة والاتجاه إلى

الخصخصة (فى هذه الحالة من الفراغ) يزيد من الضعف. غير أن الحل لا يكمن فى العودة إلى الأمة المنغلقة على نفسها (وهو محال فى رأيه بأى حال من الأحوال) بل فى العودة إلى تكثيف التعاون الدولى والشرعية والكونية. يطرح ديفيد هيلد (David Held 2002) رأياً مماثلاً بشأن الحاجة إلى شرعية وأخلاقيات سياسية عالمية كرد فعل على الإرهاب.

غير أنه من الصعوبة بمكان أن نرى هذه الآراء ليست أكثر من طموحات. يرى بك أن العولمة هنا تبدأ من القمة إلى القاع وتحكمها إجراءات الدولة- أفضل من أن تبدأ من القاع إلى القمة غير المخطط والنتائج غير المقصودة لاختيارات الأطراف الفاعلة. فعلى الأقل تكون هناك عمليتان يجب التمييز بينهما هنا: التساؤل عما إذا كان الحادى عشر من سبتمبر وما تلاه من أعمال إرهابية قد شجع على إقامة المزيد من الشبكات السياسية والتعاون وعن تأثير الإرهاب على التطورات الاقتصادية التى تدعم العولمة. هناك احتمال واحد حيث إن التجارة بصفة عامة تمقت عدم الاستقرار والمخاطر المتزايدة، فقد انخفضت معدلات الاستثمارات الأجنبية المباشرة فى المناطق المعرضة لخطر الهجمات الإرهابية وستواصل الانخفاض. إذا استعرضنا الكتابات التى تناولت تأثير الإرهاب على الاستثمار الأجنبى المباشر نجد الدلائل متباينة. فقد ازدادت تدفقات الاستثمارات الأجنبية المباشرة إلى العالم النامى بنسبة ٢٠٠٪ ما بين عامى ٢٠٠٠م و٢٠٠٤م ليرتفع حصتها إلى ٣٦٪ من الاستثمارات الأجنبية المباشرة فى العالم بعد أن كان حوالى ١٨٪ فقط. على حين انخفضت تدفقات الاستثمارات الأجنبية المباشرة إلى الدول المتقدمة بنسبة ٢٧٪ لتتخفص حصتها من ٨١٪ إلى ٥٩٪ من إجمالى الاستثمار الأجنبى المباشر العالمى. فى كل فئة من فئات الدولة النامية يأخذ الاستثمار الأجنبى المباشر الداخلى اتجاهاً صاعداً رغم أن الأغلبية الكبيرة من الأحداث الإرهابية الأخيرة وقعت فى الدول النامية.

على الجانب الآخر هناك براهين على أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر كلفت الولايات المتحدة الأمريكية ٦٦٠ مليار دولار بحلول عام ٢٠٠٥م وأسهمت بشكل كبير فى انخفاض معدلات الاستثمارات العالمية. فقد قدر صندوق النقد الدولى أن خسارة ناتج الولايات المتحدة الأمريكية بسبب الإرهاب يمكن أن تصل إلى ٠,٧٥ ٪ من إجمالى الناتج المحلى أو ٧٥ مليار دولار سنوياً فى المستقبل (واجنر 2006 Wagner). ومن المحتمل أن تأثيرات المخاطر الإرهابية العالمية متفاوتة عبر العالم، لذا فليس لها نفس الآثار على عملية العولمة الاقتصادية.

بيد أنه هناك دلائل بسيطة على تراجع الليبرالية الجديدة والنقابات الحرة. وفقاً لجيروكس (Giroux 2005)، "ما زالت الأسواق تواجه إلى حد كبير بوصفها القوى المحركة للحياة اليومية على حين يستخف من قدر الحكومة." إن المواطنة وبشكل متزايد اتجهت إلى النزعة الاستهلاكية، على حين السياسة تتم إعادة هيكلتها لتحرر الشركات من القيود من خلال التخفيف من اللوائح والتوجه للخصخصة. فى الواقع يرى جيروكس Giroux أن مكافحة الإرهاب تستنفذ طاقتها فى نقاش حول المطلقات الأخلاقية التى تنحى السياسة من سلطة الدولة وتقمع المعارضة. من ثم "فإن تدمير دولة الرعاية الاجتماعية مضى يداً بيد مع ظهور مجمع صناعى يشبه السجن، ودولة جديدة تستخدم على نطاق واسع لفرض السيطرة وكبح وعقاب هؤلاء الذين حرموا من مزايا الطبقة الاجتماعية." (جيروكس 2005 Giroux). وبدلاً من تحفيز إعادة التفكير فيما هو سياسى من خلال الشرعية والوطنية فقد زادت الحرب (التي لا يمكن إحراز النصر فيها إلى أجل غير مسمى بعد) على إرهاب الدولة على حين زادت من تحرر الشركات من أوجه القصور السياسى.

فى الواقع هناك علاقة وطيدة بين إعادة هيكلة الليبرالية الجديدة والعولمة - فالأخيرة هى نتيجة ووسيلة فى ذات الوقت للأولى (كوهلر

وفيسسين 2003 Kohler and Wissen) حيث إنها تنتج عن تحرير رأس المال من الحدود القومية من خلال السياسات الليبرالية الجديدة كما أنها تهيئ الظروف المواتية للمضى في إعادة الهيكلة الليبرالية الجديدة. علاوة على ذلك كما يشير هيلد (Held) "فإن بؤرة اهتمام النظام الدولي الليبرالي هي الحد من سوء استخدام النفوذ السياسى لا النفوذ الاقتصادى. وهذا النظام لديه القليل من -إن كان لديه بالفعل- الوسائل المنهجية للتعامل مع مصادر النفوذ غير السياسية" (هيلد 2002 Held). وبالتالي فهناك صراع قائم بين النموذج الليبرالي الجديد العالمى المتحرر من الضوابط من جهة وتحصن القيم العالمية كقيمة المساواة فى الهوية والاحترام لجميع البشر التى يتمنى بك أن تظهر فى مجتمع الخطر العالمى. وكما رأينا فى الفصل الأخير، لقد أسفرت عملية التحرير الاقتصادية العالمية والنمو غير المنظم لسوق رأس المال عبر العالم، عن معدلات محمومة من عدم المساواة الاجتماعية ولا تستطيع الدول بالإرادة أو القدرة الكافية معالجتها. وقد وصف هيرتز (Hertz 2001: 11) هذه العملية بأنها "استيلاء صامت" جرت فى أعقاب انتهاء الحرب الباردة، "فقد تغير ميزان القوة بين السياسة والتجارة بشكل جذرى" حتى إن "الشركات أصبحت تضطلع بمسؤوليات الحكومة".

فى الوقت ذاته أصبحت الليبرالية الجديدة فى بؤرة اهتمام الحركات الاجتماعية العالمية التى تحاول محاربة تأثيراتها على الحياة اليومية وأن تخلق فضاءات معاشة من البنى التحتية الاقتصادية والاجتماعية البديلة. مثل هذه الحركات التى غالبًا ما تستقر داخل الدولة ولكن تربطها ببعض شبكات عالمية، "تشمل مجالات مكانية متنوعة مما هو دون المحلى وحتى العالمى" مسهمة بذلك فى "ظهور حركة عالمية لكنها متنوعة" (كوهرل وفيسسين Kohler and Wissen 2003). على سبيل المثال كانت هناك شبكة المجتمع المدنى التى نشأت على يد جماعات فرنسية تهدف إلى فرض ضريبة دولية على المضاربات فى العملة (ضريبة التوبين) وانتشرت عبر الحركات الاجتماعية

العالمية. كما كان هناك منظمات (البيكيتيروس) وهي منظمات للعمال غير المعينين في الأرجنتين والتي بدأت تحتل المصانع التي هجرت خلال الأزمة الاقتصادية التي وقعت عام ٢٠٠١م في حين هدفت نظم التبادل والشبكات المحلية إلى تطوير أشكال من التبادل التعاوني خارج السوق. قد تكون هذه المجالات للسياسات المحلية والنشاط الاجتماعي وعلى الأرجح هي التي ستقرر مصير الاستراتيجيات الليبرالية الجديدة بدلاً من الحرب على الإرهاب. في هذا السياق، يكتب راينجولد (Rheingold 2000) عن "الموبايلات الذكية" التي ظهرت حين وسعت تقنيات الاتصالات و الحواسيب الآلية، المواهب البشرية للتعاون. إن التقنيات بدأت في جعل صناعة الموبايلات الذكية أجهزة الاتصالات المتقلة وتكنولوجيا الكمبيوتر - ذات المعالجات متناهية الصغر زهيدة الثمن الموجودة في أشياء نستخدمها أو توجد حولنا في الحياة اليومية. إن تأثير تقنية الموبايلات الذكية نافعة ومدمرة في ذات الوقت - يستخدمها البعض لدعم الديمقراطية والبعض الآخر لتنسيق الهجمات الإرهابية. وبالفعل انهارت حكومات وازدهرت ثقافات ثانوية خاصة بالشباب من آسيا إلى اسكندنافيا وولدت صناعات جديدة، وشنت الصناعات الأقدم هجمات مضادة حائقة. لقد استخدم المتظاهرون في الشوارع في الاحتجاجات المناهضة لمنظمة التجارة العالمية عام ١٩٩٩م مواقع حديثة حيوية على شبكة الإنترنت والهواتف المحمولة وتكتيكات "الحشد" في "معركة سيائل". يشير كل من جلاسيوس وكالدور (Glasius and Kolder 2002)، إلى الأعداد المتزايدة للمنظمات الأهلية الدولية والعلاقات القائمة بينها منذ ١٩٩٠م ونمو "القمم الموازية" منذ ١٩٩٠م مثل اجتماع "بورتو أليجري" الذي أقيم عام ٢٠٠١م في البرازيل الذي حضره ١١ ألف شخص للاحتجاج على المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس (سويسرا). هذه الاحتجاجات الموازية إلى جانب الحركات المناهضة للرأسمالية وحركات السلام والبيئة الموسعة والمتراصة تقدم رؤية بديلة لنظام عالمي قائم على المعايير العالمية لحقوق الإنسان وحماية البيئة والعدالة الاجتماعية.

بيد أن هناك عقبة واحدة تكمن هنا وتتعارض مع رأى بك وهى أن مجتمع الخطر العالمى تمنع فيه الرقابة المشددة للدولة والحكومات ظهور أشكال محلية للمقاومة والتنظيم. وفى الواقع يواصل راينجولد (Rheingold 2000) الإشارة إلى أن اتحاد منتجى وسائل الإعلام والوكالات الحكومية تسعى لإعادة فرض نظام البث على "الهواتف المحمولة" الذى سيحرم مستخدمى التكنولوجيا من إمكانية استغلال الإبداع، تاركة لهم فقط القدرة على الاستهلاك - من خلال معارك على تبادل الملفات وحقوق النسخ وتنظيم نطاق البث الإذاعى. ليس ذلك فقط، بل إن الرقابة المتزايدة والاستقطاب المرتبطة بالحرب على الإرهاب تشجع نظريات المؤامرة بين الناشطين المناهضين للعولمة. فعلى سبيل المثال يبيع الموقع الإلكتروني الخاص بمركز البحوث على العولمة ومقره كندا - كتيباً وأشرطة فيديو "تكشف" كيف كانت هجمات الحادى عشر من سبتمبر "على الأرجح عمل خفى خاص" من أجل "تحقيق المزيد من أهداف العولمة". هذا النوع من الفكر التأمري ليس استثنائياً. إضافة إلى ذلك كما يرى شتراوس (Strauss 2003) إن معاداة السامية أصبحت سمة خاصة ومتنامية لتحليل مناهضة العولمة - "فنظريات المؤامرة دائماً لا بد لها من متأمر، وفى كثير من الأحيان يُعتقد أن هؤلاء المتأمرين من اليهود". فى مواجهة البورصة العالمية، نبدأ فى التساؤل عن أشكال جديدة من النقود والحدود المفتوحة ومفاهيم كالدولة والقومية، وبحث مناهضو العولمة عن الأشخاص المتورطين فى هذا الوضع الجديد حتى يصلوا إلى اليهود. فى أعقاب الحرب على العراق قيل إن عصابة من المستشارين اليهود الجدد أجبروا الولايات المتحدة على غزو العراق لحماية إسرائيل. إن رد الفعل العنيف المناهض للعولمة يجمع عناصر من المشهد السياسى - نظرة اليمينيين المتطرفين لليهود (كالطابور الخامس الذين لا يدينون بالولاء سوى لأنفسهم والمقوضين للسيادة الاقتصادية والثقافة القومية) ورؤية اليساريين المتطرفين لليهود (كرأسماليين

ومرابين ومتحكمين فى النظام الاقتصادى الدولى) و"جريمة الدم" أن اليهود (قتلة وطغاة ومستعمرو العصر الحديث). فى خضم العملية نجد أن التزييف القيصرى و"بروتوكولات حكماء صهيون" التى ترسم مؤامرة يهودية عالمية يتم الاستشهاد بهما كثيرًا ومنحهما المصادقية (بين - إيتو 2005 Ben-Itto).

فى النهاية يجب أيضًا أن نذكر أن "الحادى عشر من سبتمبر كانت لحظة ربما كان من الممكن أن يؤخذ فيها القانون الدولى مأخذ الجد.... [حيث إن] الإرهابيين ومنتهكى حقوق الإنسان والمجرمين ينالون أقصى الهزائم من خلال التمسك بإعلاء سيادة القانون " (جلاسيوس وكالدور Glasius and Kaldor 2002: 27) لكن هذا لم يحدث. رغم أنشطة العديد من المنظمات الأهلية الدولية وشبكات المجتمع المدنى ليس هناك (نعود ثانية لمقولة بك بأنه) مجتمع مدنى (أو عالمى) متطور ومؤثر تشارك فيه كل من سلطة الدولة والكيانات المتحدة فى إطار قانونى. وبدلاً من دعم هذه التكهّنات المتفائلة، ألقت عواقب الحادى عشر من سبتمبر والحرب على الإرهاب بظلال الشك على إمكانية تطوير مجتمع مدنى عالمى، وعلى حين كانت هناك بدايات لمنظمات الاتحادات العمالية عبر القومية (على سبيل المثال، فى نزاع عمره ١٥ شهراً من جانب عمال المجموعة الرابعة فى الهند وأوغندا وجنوب أفريقيا وكينيا ٢٠٠٥-٢٠٠٦م) ما زال الحال بصفة عامة أن رأس المال يكتسب أقصى درجات القدرة على التحرك عبر الحدود القومية ليتحكم فى المكان بطريقة لا تتوفر للمنظمات التطوعية التى تتجذر بشكل أكبر فى المحليات والمكان (هارفى 1994: 238 Harvey). بالمثل فإن سوزان بك مورس (Susan Buck-Morss 2003: 65) تقول إن الأمن القومى والتهديد يهيمنان على الخطاب السياسى على حين تمحو الليبرالية الجديدة إمكانية النقد الفكرى.

الإرهاب والهينات والتفاعل الاجتماعي

سياق التهديدات العالمية والخطر المدرك يدخل إلى الحياة اليومية للمرء بطرق معقدة ومتناقضة. ففي الأماكن العامة نجد سيادة الدولة منقوشة على الجسد من خلال الممارسات الموضوعية لإخضاعه للسلطة. تحض كل من الحركات الشرعية وغير الشرعية على التحكم في الأجساد وهي عملية يدعمها تنامي بيانات علم البيئة المخزونة والتقنيات التي تمكنهم من الترميز الظاهري لحركة الأجساد. من أمثلة ذلك، الاقتراح بأن يتم وضع شعارات إلكترونية للمسافرين جواً^(٨) الحدود هي مواقع للشفافية والانتهاك المحتمل لخصوصية الجسد، مثل عمليات التفتيش الذاتي؛ إذ إن المطارات مناطق تمس الشعور الإنساني ولا تطبق فيها الانقسامات الغربية المعتادة للتعامل مع الجسد (دونان وويلسون 1999: 130). يتم فرض سلطة الدولة على أكثر العناصر الحميمة لوجودنا - جسداً، "حيث يمكن رؤية النفوذ الصلف للدولة" (دونان وويلسون 1999: 132).

التجربة اليومية في الأماكن العامة ترتبط بشكل وثيق بالثقة الساذجة التي تفترض أن الآخرين يبدون بما يدل عليهم مظهرهم. يرى جوفمان (Goffman 1983) "حين يلتقي الأفراد بشكل مباشر، فمن الضروري أن يواجهوا أحداثاً شخصية غير متوقعة." يواصل جوفمان "هناك إمكانات ومخاطر متأصلة في الوجود الجسدي المشترك" حيث إنه للمشاركة في مواقف اجتماعية (خارج شبكة الإنترنت) نكون موجودين بأجسادنا. الأمر الذي يثير نقاط الضعف فينا. وتتضمن مخاطرة وقوع الاعتداء الجسدي أو التحرش الجنسي أو السطو وإعاقة الحركة وانتهاك الأسرار النفسية، وفي الوقت ذاته نحشد طاقاتنا لنجعل من الآخرين ضعفاء أمامنا رغم أن هذه المخاطر ونقاط الضعف تنتظم في خطوط (خاصة) طبقاً للنوع والجنس. في نفس الوقت يشم التفاعل اليومي في الأماكن العامة "بعدم التيقظ المدني" - وعدم إغارة الانتباه للمجهولين الموجودين في نفس المكان مع الفرد - الأمر الذي يفترض مسبقاً النية الحسنة تجاه مظهر وسلوك الآخر.

على النقيض ينتهك الإرهاب الثقة ويضعف النظام العام من خلال تهديد أمن أصحاب الهويات فى الأماكن العامة. غير أن جوفمان (١٩٨٣) يرى أن القائل "يجب أن يعتمد ويستفيد من التدفق المروى التقليدى" ومن مظهر شخص لا "يسىء استغلال ممر خال". من ثم فإن الحالة السوية ما هى إلا واجهة هشة، على حين الذات والآخر يفسران المواقف ليس بما هو ظاهر بل بما قد يختبئ وراءها. "وفى الواقع "يوجد فى قلب النظام العالمى مفارقة عميقة: فالقواعد والتكهنات التى تخلق النظام هى نفسها القواعد والتكهنات التى تسمح بإخفاء التهديدات لهذا النظام". (وايجرت 2003 Weigert). يسمح القبول النفعى للأداء العام للآخرين بالقيمة الظاهرية بإمكانية فعلية بأن تكون الحقيقة مخالفة للمظهر - فالهوية المظهرية لمسافر بالخطوط الجوية أو متنقل بمترو الأنفاق قد تخفى الهويات الظاهرة لإرهابى أو انتحارى (من وجهة نظر الضحية) أو البطل أو الشهيد (من مرتكبى الجرائم).

يرى جوفمان "Goffman" ووايجرت "Weigert" أن الإرهاب يخلق (أو بشكل ملحوظ تهديدات) ديناميكية ذاتية التحقق تجعل الناس تميل إلى أن يروا المواقف بمثابة خطر يودى إلى تدهور الثقة العامة وزيادة الحواجز وتكثيف المراقبة. ومن جانب آخر، فإن وجود الرقابة بشكل طبيعى وحساب المخاطر، أصبحت أموراً تدخل الطقوس الروتينية للحياة اليومية خاصة تلك التى تتضمن التنقل والترحال العالمى. إن الأسئلة الأمنية التى تطرح فى المطارات وعلى استمارات طلب التأشيرة أصبحت أموراً روتينية إلى جانب التفاصيل الدقيقة فى مناطق الرقابة والتنظيم مما ينتج عنه ما يسميه فوكولت (Foucault 1977: 135 ff) "الأجساد الطيعة" الخاضعة للاستكشاف وإعادة الترتيب. يقول سبينس (Spence 2005) : "يتم التحريض على الإرهاب داخل بنى العالم الاجتماعى وهو جزء من خلفية إطلاق الأحكام المسبقة والافتراضات والمفاهيم التى تشكل عملية التلقى والتجربة وإعادة إفراز الحياة اليومية." إن حالة الطوارئ، كما يقول، "تصبح طبيعية" غير أنها بالتأكيد أيضاً

يتم تطبيعها. لذا، ففي نفس الوقت فإن متطلبات الحياة اليومية تمارس بإكراه ممل غالبًا ما يتجاوز اللحظة الراهبة- كما صاغتها الصحفية سوزان رايمر "Susan Reimer" في جريدة بالتيمور صن حيث كتبت:

"كتبت منذ خمس سنوات أن حياتي لن تسمح بأية تغيرات جذرية في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر... غير أن الطفل الدنيوى تدخل بلا هوادة حتى في أحلك أيامنا. واتضح أنني كنت محقة فأنا مشغولة للغاية لأن أقيم معدل هلعى الشخصى- برتقالى أم أصفر. لا أستطيع حقًا أن أقول إننى كنت أشعر بأننى أقل أمنًا أم لا... لم يكن لدى الوقت لأقلق بشأن إن كان المركز التجارى الذى أرتاده بمأمن من مفجرى القنابل الانتحاريين أو ما إذا كان مصدر مياه الشرب الذى استخدمه عرضة للإرهاب البيولوجى.

(رايمر 2006 Reimer)

إن الفكرة القائلة بأن المستويات الثلاثية للحياة اليومية المتمثلة فى الكوارث البيئية والانهيال المالى والإرهاب تثير ردة فعل انعكاسية مستمرة نحو التوجه للفردية تحتاج إلى إحداث توازن بينه وبين روتين الحياة اليومية التى يمر عبرها الإرهاب المضاد دون أن يلاحظ. على الجانب الآخر فإن الإيحاء بالتهديد الذى تزكيه طقوس الحياة اليومية بالتميز من المراقبة المشددة والوقوف فى صفوف وجمع البيانات ونقاط التفتيش والحاجة إلى إثبات أن الشخص فى أماكن عامة بعينها ليس بإرهابى، هى أمور أيضا ذات بنية محكمة وتخضع لتوصيف عرقى" وهذا إجراء يودى إلى تعميق نزعة الاحتواء أو الإقصاء. عدم التيقظ المدنى اليومى يظل شرطًا رئيسيًا لوجود المكان العام وربما بشكل خاص فى الفترات الزمنية الفاصلة فى صالات المغادرة لكنه شرط يعيبه انعدام الثقة المتزايد. على سبيل المثال، يتركز النقاش العالمى المتزايد حول مدى ملائمة الحجاب الإسلامى فى ثقافة مرئية كما يلاحظ سيميل (Simmel 1997: 109- 19) بأن التلاقى المتبادل للأعين

يشير إلى الندية. غير أن الثقافة المرئية هي أيضا ثقافة الرقابة والشفافية وفيها يكون الحجاب رمزاً للإقصاء والوضوح- خاصة وضوح الآخر الذى ينظر إليه الكثيرون على المستوى الشعورى كرمز للتهديد.

التنقل والحدود والمخاوف

كان للتغير العالمى على مدى العقدين الماضيين أثر هائل على التنقل الإنسانى نتيجة لبعض العوامل مثل الإمبراطوريات المنهارة والحروب الأهلية والدولية والكوارث البيئية وعمليات التحول عن الفلاحة، والتي ناقشناها فى الفصل الخامس والتحول عن الصناعة والاستعانة بمصادر خارجية ودور الإعلام العالمى والسفر جواً بأسعار زهيدة . أدى ذلك إلى دفع بعض الناس إلى اتجاهات غير محددة وخلق وعياً متزايداً بالتواصل والإمكانات العالمية. ترتبط الكثير من المخاوف المعاصرة بالمجموعات المتحركة. إن العلاقة بين العولمة والهجرة على سبيل المثال، علاقة معقدة حيث إن تخفيف القيود فى منطقة ما لا يعنى بشكل تلقائى تخفيفها فى منطقة أخرى. وعلى النقيض من المزايم القائلة بأن أهمية الحدود تتلاشى، فإن بعض الدول تعمل لتضفى عليها أهمية بطرق مبتكرة كما أن سياسة الهجرة ذات أهمية كبرى للحفاظ على المجتمع القومى (جوف 2000 Goff). مع تزايد تدفقات الحركة العالمية يصبح تحصين الحدود القومية أكثر تقيظاً- وهو الاتجاه الذى يتم دعمه منذ الحادى عشر من سبتمبر، وتصاعد السياسات المناهضة للهجرة فى أوروبا. وأصبحت مناطق الحدود ذات أهمية متزايدة كموارد وسبل للاستغلال؛ حيث يتمتع البشر بحرية الحركة عبر الحدود الدولية أقل مما يتمتع به رأس المال (دونان وويلسون 1999 Donnan and Wilson).

تسعى الدول لتعظيم فرص الاستثمار للشركات العابرة للقوميات على حين توعد أبوابها أمام أشكال الهجرة التى تفرزها هذه التحولات الاقتصادية

(باباستيرجياديس 2000: 2-3). تنص اتفاقية شينجين المبرمة عام ١٩٩٨م على وضع نظم موسعة للرقابة والتحكم في الهجرة إلى دول الاتحاد الأوروبي من الشرق الأقصى خاصة من دول الاتحاد السوفيتي السابق ومنطقة الشرق الأوسط. تتضمن هذه الضوابط التوسع في قاعدة بيانات بصمات الأصابع بالكمبيوتر الخاصة باللاجئين أو طالبي اللجوء السياسي وتنسيق العقوبات على جالبي المهاجرين غير الشرعيين ومجموعة كبيرة من الإجراءات الضبطية ومتطلبات فرض الرقابة على الحدود الخارجية.

لقد أسفرت النواعيات المختلفة للهجرة القهرية على الأقل عن ١٤٠ مليون مهاجر ولاجئ في جميع أنحاء العالم، وقد ارتفعت هذه النسبة بشكل مطرد مع تطورات العولمة في القرن العشرين. هناك بعض الحدود يمكن اختراقها على الأقل بالنسبة لحاملي الأوراق السليمة، في حين هناك حدود أخرى موصدة بشكل محكم. أما بالنسبة لحاملي جوازات السفر أو التأشيرات السليمة الذين تتوفر لهم وسائل شراء تقنيات التنقل الواقعي والفرضي، فالعالم متاح للتنقلاتهم. غير أن العالم يقدم تجربة معيشة مختلفة تمامًا لهؤلاء انفراد أو المشردين الذين ليس لهم مكان يذهبون إليه على وجه السرعة. في هذا السياق يفرق باومان "Bauman" بين "السياح" و"المشردين". فالنوع الأول يتحرك باختياره بسهولة ويحتقر ويخاف من المشردين الذي بدوره يتحرك بدافع الضرورة ولا يختار وجهته وبصعوبة ويعجب بالسياح ويحسداهم - "السياح يسافرون لأنهم يرغبون في ذلك؛ أما المشردون فيرتحلون لأنه ليس لديهم أي خيار آخر ممكن" (باومان 1998: 94). المشردين حاج دون قبلة أو جدول رحلة، على حين يدفع السياح "مقابل حريتهم والحق في تجاهل الهموم والمشاعر الوطنية وغزل نسيجهم الخاص بمفهومهم... ما العالم إلا محارة السائح... يحيا فيها بسعادة- ومن ثم يكتسب معنى" (باومان 1993: 241). المشردون والسياح يرتحلون في أماكن تخص أناسًا آخرين - وكلاهما يمارس أثناء ذلك انفصال القرب الجسدي عن القرب المعنوي، وتحدد هذه التجربة

معايير السعادة والحياة الرغدة لكليهما. يرى باومان أن الحياة الرغدة أصبح يُنظر إليها كشئ أشبه "بعطلة دائمة" (٢٤٣: ١٩٩٣) على حين المشرّد "مستهلك معيب" (٧٧: ١٩٩٩).

هناك تصورات اجتماعية واقتصادية جدّ مختلفة تفرز ثقافة عالمية من السياحة الاستهلاكية من ناحية وهناك حوالى ١٠ ملايين مهاجر و ٢٥ مليون شخص مشرد من ناحية أخرى. هذه التطورات لها أهمية عالمية وتتشأ بطرق مختلفة غاية الاختلاف، فالسياحة واحدة من أكبر الصناعات العالمية^(١) لكنها لا تقوم على التنقل فى حد ذاتها بل على أساس الإقامة المؤقتة التى تتوفر فيها العديد من وسائل "الراحة المنزلية" والأشكال المألوفة من الاستهلاك. غير أن الهجرة فى حد ذاتها عملية متباينة للغاية تضم عمالاً مهاجرين مؤقتين ومهاجرين متطوعين ذوى مهارات عالية ومهاجرين مجبرين أو مهربين ولاجئين؛ كل نوعية من المهاجرين أفرزتها مجموعات مختلفة من العلاقات الاجتماعية. يكمن وراء الهجرة الاقتصادية الطريقة التى يقوم بها رأس المال بشكل متزايد بتحديد تكاليف العمل من حيث أكثر التكاليف العالمية الأقل انخفاضاً ومن خلال التعاقد من الباطن فى الأسواق الوطنية والأسواق الخارجية، والتى يتمكن من خلالها تحقيق أقل التكاليف فى بعض القطاعات مثل قطاع النسيج. غالباً ما تكون التكلفة الزهيدة من نصيب المهجرين المجبرين، ويعد هذا من أوجه التنقلات العالمية (باباستيرجياديس ٢٠٠٠: ٤٠). كان لوجود العمال غير الموثقين فى الاقتصاديات الرأسمالية المتقدمة أثر مهم فى تخفيض التكاليف فى القطاعات التى تعتمد بشكل هيكلى على العمالة غير المسجلة كقطاع النسيج وخدمات سيارات الأجرة وخدمات التنظيف وخدمات الطعام والزراعة (ريفيرا- باتيز ١٩٩٩: Rivera- Batiz). إن الهجرة والانقسامات العرقية لخير مثال على الطريقة المفضلة التى يتم بها إضفاء الصبغة المحلية على العناصر العالمية وتشكيل أسواق العمالة وفصل الثقافة وإعادة أقاليميتها (ساسين ١٩٩٨: Sassen).

وفى الواقع هناك شبكات لامركزية مرنة وثرية بالمعرفة تعيد هيكلة نفسها باستمرار بناءً على إشارات لسلسلة سريعة من الاتصالات والتدفقات العالمية. لذا فإن استعارات باومان عن "المشردين" و"السياح" ربما تخفى أكثر مما تعلن، فى حين يمكن أن يتم تفسير أنماط حركة التقلات العالمية للسكان فى ضوء النظريات والمفاهيم القائمة حول رأس المال العالمى والطبقة الاجتماعية والنوع والبنى العرقية. هناك صناعة عالمية للاتجار بالبشر (سولت 106: 2000 Salt) أعقبت ظهور الشبكات العالمية لوكلاء الهجرة والمهربين والتجار، ولذلك فهى فى جزء منها أيضاً نتاج لعملية عولمة الجريمة الدولية التى حدثت فى أواخر القرن العشرين. فى هذا الصدد، تلعب الرقابة على الحدود دوراً غامضاً إذ تزيد من الخطورة بالتربح من تجارة الجنس والأعضاء البشرية والعمالة. علاوة على ذلك فإن التجارة تجرى فى مفترق الطرق فى الجزء الفاصل بين الحدود- بمصطلحات لفظية ذات دلالات مختلفة. هذه التجارة قائمة على القضايا الوظيفية والاقتصادية من جهة (أى الحاجة إلى سد العجز فى العمالة) وتلك القائمة على الثقافة والهوية والتقاليد من جانب آخر (زولبيرج 1999 Zolberg). وأقل التبعات التى يمكن الإشارة إليها بالنسبة لهذه المنطقة أن أشكال الولاء السياسى غير المستقرة بشأن قضايا الهجرة لا يمكن ضبطها بكفاءة من خلال استخدام صيغة ثنائية للنشاط السياسى تشرح الفرق بين ما هو محافظ وما هو تقدمى (لومان 89- 166: 1982 Luhmann). وهذا يفسر لماذا يمكن تغيير بعض سياسات الهجرة فقط من خلال "ائتلافات غير مستقرة" مهيمنة مؤقتة (جاكوبس 1998 Jacobs). فى الوقت ذاته- فإن استحالة الربط بشكل مطرد بين الهجرة والقضايا العامة فى ظل نبرة التسييس العالية تفتح مجالاً أوسع لإجراء تعديلات حرة وتغييرات سريعة (سيورتينو 2000 Sciortino).

لهذا السبب ربما تكون هناك مخاوف متعددة ترتبط بحركة الناس عبر الحدود. باستعراض ما يكتب فى وسائل الإعلام المطبوعة ما بين شهري

أكتوبر وديسمبر من عام ٢٠٠٢م (المادة ١٩ لعام ٢٠٠٣م) نجد أن التقارير التى يقدمها الإعلام عن الهجرة كان يغلب عليها السلبية والعنصرية - خالقة بذلك أزمة وذعر بشأن "الغزو" - خاصة فى أعقاب الحادى عشر من سبتمبر. فالقصص المنشورة عن الجريمة والآثار السلبية على المجتمعات المحلية والاحتلال والعمالة غير الشرعية والإقامة، سيطرت على كل من الصحف الكبرى والصحف الصغرى. هذا يفسر كيف تدير الهجرة القضية بشكل حذر متجنباً الشفقات السياسية المهيمنة من "يسار" و"يمين".

غالباً ما تثير المخاوف المرتبطة بالهجرة الصور المجازية للحرب، لتبرير الاحتياج لصد ما هو عدائى أو تهديدى. لقد أصبحت ضوابط الهجرة قضية من قضايا الأمن القومى وحالة طوارئ قومية تستدعى التعبئة الكاملة للقوات المسلحة فى مهمة دفاعية رئيسية لتتبع العدوان. يمثل طالبو اللجوء السياسى الذين يفدون إلى المملكة المتحدة دون قرار مسبق بمنحهم حق اللجوء السياسى ككاذبين ومدعين، وهذا يخول الشرعية ضمناً للسياسات لتتجاوز حدود الضبط والرقابة، ونقوم بالاحتجاز والردع فى سبيل الأمة. إن حالات الهلع المتكررة بشأن حق اللجوء السياسى والتى تدعمها المخاوف من الإرهاب تشجع على نبذ الأقليات المحلية على حين تترر سياسات العقوبات التوسعية. على سبيل المثال نقرأ فى بعض العناوين الرئيسية فى الصحف البريطانية فى السنوات الأخيرة ما يلى:

٣٠٠٠ عجزى يفدون إلى بريطانيا ليصيبوا حظاً من نظام الإعانات.

(جريدة الصان ٢٠ أكتوبر ١٩٩٧م).

العجز يغزون دوفر أملين فى المساعدة.

(الإنديبيندنت ٢١ أكتوبر ١٩٩٧م).

نود أن نتخلص من هذه النفايات بالقائها فى المجارى.

(دوفر إكسبريس أكتوبر ١٩٩٨م) (١٠)

عندما تكتب الصحافة عن اللاجئين السياسيين واللاجئين فإنها غالباً ما تتجاهل مفردات الحرب ومفردات الجريمة. فى أعقاب إغلاق معسكر سانجات "Sangatte" للاجئين على الجانب الفرنسى للقنال وسط مخاوف من انهجرة غير الشرعية إلى المملكة المتحدة، نشرت صحيفة الديلى ميل البريطانية فى السادس من سبتمبر ٢٠٠٣م ما يلى: "لقد عادوا - جيش اللاجئين السياسيين الجديد يحتشد بأعداد هائلة، المهاجرون يعدون أنفسهم لغزو جديد لبريطانيا"؛ مرة أخرى فى التاسع عشر من فبراير ٢٠٠٤م، اقتطفت صحيفتا الديلى ميل والإكسبريس جزءاً من تقرير رسمى، غير محدد المصدر - له مصادر سلطوية بشكل ضمنى - ورد فيه أن "واحدًا من كل عشرين فرد فى لندن مهاجر"، وأن "٦٠٠ مليون جنيه إسترليني أو ١٪ من ميزانية الخدمات الصحية القومية تتفق على "المهاجرين". المخاوف من اللجوء السياسى ارتبطت بمخاوف أكبر من الجرم لتصوير الساعين للحصول على حق اللجوء السياسى من الشباب كمجرمين - من خلال النقاط صبور لمجموعات من الشباب للإلحاح إلى وجود خطر غامض - وخاصة بعد التفجيرات الانتخابية التى وقعت فى السابع من يوليو ٢٠٠٥م فى لندن، فتحولت المخاوف من مجرد انشغال بحق اللجوء السياسى إلى تهديدات تطرحها الحركة الانفصالية المسلمة والاختلاف عن عامة المجتمع.

الحدود والمرض

"الشواغل والهموم السياسية المهيمنة والقلق المجتمعى تميل لأن تترجم إلى صور مشوشة ومضطربة للكيان الإنسانى." (تيرنر 2006). إن موسيقى رقصة المقابر^(*) تعبر تعبيراً بشعاً عن التدمير الذى لحق بالمجتمع

(*) مقطوعة موسيقية للموسيقى الفرنسى سان صانسر. (المترجم)

فى العصور الوسطى على يد الموت الأسود، وفى المجتمع المعاصر على يد الإيدز "غالبًا ما تم تخيله كصور مجازية عسكرية للجيش الغازية" (تيرنر 2006 Turner).

إن الأجساد التى تتدفق من الداخل إلى الخارج خطيرة وملوثة تتحدى إحساسنا بالنظام. "إن جزءًا من المفهوم القديم الذى ظل لقرون فى أوروبا ككيان ثقافى متميز، يتمثل فى أنها مكان استعمرته الأمراض القاتلة التى وفدت إليه من أماكن أخرى". (سونتاغ 1988 Sontag). علاوة على ذلك فإن الأوبئة تخفف من حدة التوترات والمخاوف الاجتماعية العميقة القائمة، خاصة حين تتسرب توترات بشأن الحياة الجنسية. يستخدم بوخولتز ورايس (Buchhaltz and Reich 1987) نظرية هابرماس "إقحام النظام" فى العالم الواقعى للتعرف على عملية التطور العنيفة للتفكير الذى يقوم من خلاله الأشخاص استبدال بالمخاوف والتهديدات الواقعية إكليشيدهات تروج لها وسائل الإعلام. كالأمنلة السابقة للمخاوف من اللجوء السياسى والهجرة، فنجد أن المرض يقدم صورًا قوية لهذا.

غير أن هذا يوضح أيضًا استمرارية الأهمية لفهم عدم المساواة فى احتمالية التعرض للخطر. وفقًا لما قاله بك (Beck 1992: 36) "بأن الفقر هرمى؛ أما الضباب والندخان فديموقراطى" وأن المساواة فى احتمال التعرض للخطر هو أمر أساسى فى مفهوم بك عن مجتمع الخطر العالمى. غير أن هذا التوكيد لا يأخذ فى الاعتبار بشكل كاف الهيكلية الاجتماعية للمرض على نطاق عالمى، وهو نفس الأسلوب بالنسبة لمبدأ عدم المساواة فى الخدمات. التقسيمات الاجتماعية وعدم المساواة لها تأثير مباشر على أنماط المرض والصحة. يتم هيكلية الأنماط العالمية للمرض وفقًا للوضع الاجتماعى والمكانة فى التسلسل الهرمى. هذا هو الحال على وجه الخصوص فى الدول النامية، حيث يمر ملايين كثيرة من الناس بدورة من سوء التغذية والأطفال الرضع الأقل من الوزن المثالى، وارتفاع معدلات الوفيات بين المواليد، وبطء نمو الطفل والمرضى المتكرر فى مرحلة الطفولة، مما ينتج عنه نظام مناعة

أضعف وفترات أطول من الإصابة. كل ذلك، بالإضافة إلى نقص المياه النظيفة و(غالبًا) المأوى المناسب يؤدي إلى معدلات أعلى من الوفيات والإصابة بالمرض خاصة بين الأطفال دون سن الخامسة. إن أشهر أسباب الوفاة بين الأطفال دون سن الخامسة في الدول النامية، هي الالتهاب الرئوي والإسهال والملاريا والحصبة وأمراض الجهاز التنفسي. معدل وفيات الأطفال أعلى في المناطق الريفية والعشوائيات الحضرية عنها في المناطق الحضرية، حيث يوجد ما يمكن أن نسميه مرافق شبه منظمة وإسكان كاف. إن نقص المياه النظيفة يعنى أن الأمراض التى تنتقل من خلال البراز تنتشر بشكل عام (منظمة الصحة العالمية B ٢٠٠٤م).

علاوة على ذلك، رغم أن الصلة بين عدم المساواة الاجتماعية والمرض صلة معروفة، فلم يرق سوى عدد قليل بدراسة عدم المساواة الاجتماعية بالنسبة لظهور الأمراض (فارمر 1996). بيد أن فارمر يرى أن أشكال عدم المساواة لم تؤثر فقط على عملية انتشار الأمراض المعدية، بل أيضًا على مسار المرض في أجساد من التقطوا العدوى. إن وباء الإيبولا والإيدز والسل يشير إلى أن أنماط هذه الأمراض تحتاج إلى نوع من الحيوية والحسم وأن تشتمل على تحليل للتعقيد العالمى. هذا يدل على الحاجة إلى نظرة مجتمعية قوية لأسباب ظهور المرض من جراء العمليات الفيروسية التى تستجيب فيها الطفرات الميكروبية للتصرفات البشرية. فعلى سبيل المثال غالبًا ما يتم النظر إلى الملاريا على أنها "مرض استوائى" إلا أنها أثناء القرن التاسع عشر أصابت حوالى مليون شخص سنويًا فى الولايات الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية، غير أن النسبة انخفضت بعد ذلك ويرجع هذا بشكل كبير إلى التطور الزراعى والإسكان المتطور والصرف الصحى الأرضى - تنتشر الكثير من "الأمراض الاستوائية" بشكل كبير بسبب عدم المساواة لا بسبب خطوط الطول والعرض. فعلى سبيل المثال، إن معدل الوفيات فى سن محددة بمرض هارلم (من جراء الأمراض المعدية والعنف) يرتفع بين العديد من الجماعات عنه فى بنجلاديش (فارمر 1996).

عادة ما يصنف المرض الوبائي بأنه قادم "من الخارج". فالكثير من الحدود تمثل وسيلة لنقل "عدوى ما"، فهي لا تقوم بتسريب البشر فقط بل أيضاً المواد الملوثة (سيريميتاكيس 1996: 490) إن بدايات التعاون الإقليمي عبر الحدود بين بلغاريا وألبانيا ورومانيا وتركيا واليونان في بواكير التسعينيات من القرن العشرين صحبه "قصص عن الذعر في الإعلام حول موجات الأمراض المعدية التي عبرت الجبهة اليونانية: الإيدز والالتهاب الكبدي فيروس ب B والكوليرا والإيبولا والقائمة لا تنتهي. لم تقم الحدود بتسريب البشر فقط بل... المواد الملوثة" (سيريميتاكيس 1996).

خلال الثمانينيات من القرن العشرين كان الإيدز مثلاً مصغراً للخطر والتهديد العالمي. إن الارتباط الذي عقد بين اتحاد السفر جواً عبر العالم والاختلاط الجنسي كان صورة مجازية قوية تعبر عن المخاوف بشأن نفاذية الحدود والأجساد. كشف ذلك أسطورة أن الإيدز جلب إلى الولايات المتحدة الأمريكية على يد "المريض O"، وهو مضيف جوى يعتقد أنه قد نقل العدوى لأربعين من إجمالي ٢٤٨ شخصاً أعلن عن إصابتهم بالإيدز عام ١٩٨٣م. كان الاهتمام الإعلامي بالإيدز شديداً للغاية، فلا يكاد يمر يوم دون إذاعة أخبار أو تعليقات عن الإيدز إلى جانب تناوله من قبل الأدب وقصص الخيال العلمي مثل رواية راندى شيلتز "وما زالت الفرقة تعزف" (١٩٨٧م) وفيلم فيلاديلفيا (١٩٩٣م). هدأت هذه الموجة أثناء التسعينيات من القرن العشرين وحل محلها الإرهاب كرعب عالمي. يرجع هذا في أحد أسبابه إلى أن معدل الإصابة بالإيدز في الدول المتقدمة قد تباطأ وأصبح مرض نقص المناعة عند الكثيرين مرضاً مزمناً يمكن التعامل معه بعد أن كان حالة قاتلة. إلا أن الدول النامية وإفريقيا - على وجه الخصوص - أصبحت الموطن الرئيسي للوباء^(١١).

لفترة ما أصبح الإيدز رمزًا لنفاذية الحدود والأجساد والآثار المنعكسة للخوف والهلع. في عام ١٩٨٢م أعلن المعهد القومي للسرطان في الولايات المتحدة الأمريكية أن وباء الإيدز ما هو إلا فيروس من هايتي لمرض مستوطن تم جلبه إلى الولايات المتحدة على يد سياح من الشواذ. ثبت خطأ هذا الادعاء إلا أن الضرر كان قد لحق بالفعل بالسياحة في هايتي مما أسفر عن زيادة الفقر وتدهور الأحوال فيما يتعلق بعدم المساواة والتعرض للإصابة بالأمراض (فارمر 1996 Farmer). أسفر هذا الزعم الزائف أيضًا عن بيان رمزي بأن الهايتيين دخلاء، وحشد المعتقدات الشعبية بشأن الهايتيين والأفارقة وجمع بين الفقر والاختلاف الثقافي. بيد أنه في نفس الوقت كان الفيروس يعبر الحدود إلى هايتي وعبر العالم متبعا مسارات النظام الاجتماعي الاقتصادي العابر للقوميات. من ثم فإن معظم خطوط انتشار فيروس HIV في السبعينيات والثمانينيات كانت تسير بمحاذاة "المسارات الدولية الخاطئة" لمعالم النظام الاجتماعي الاقتصادي عبر الحدود القومية وهي أيضًا مسارات العمالة المهاجرة وتجارة الجنس" (فارمر 1996 Farmer). ومثل السل في الماضي أصبح الإيدز من أمراض الفقر والتباينات في مسار المرض بين المصابين بالعدوى يتم شيكلتها على أساس اجتماعي واقتصادي وهي الظاهرة التي زاد من حدتها عدم المساواة العالمية فيما يتصل بسهولة الحصول على الأدوية المضادة للفيروس.. إن برامج صندوق النقد الدولي للتعديل الهيكلي (التي ناقشناها في الفصل الخامس) "تدفع الفقراء أكثر إلى هوة الفقر [فذلك]... يزيد من التعرض للإصابة بعدوى الإيدز، وتدعم الظروف التي تمكن... [له] أن يستفحل." (حركة التنمية العالمية ١٩٩٩م)

هناك مستويات عالية من الاضطراب على الحدود ليس فقط بين الدول لكن أيضًا بين الإحصائيات الصحية المتفاوتة والاستحقاقات الاجتماعية.

هذه هي معالم عدم المساواة الاجتماعية الاقتصادية العالمية، حيث تدور حولها حركة مستمرة وتنظيم للهينات ونشر القانون والسلطة. على سبيل المثال، فإن الحدود الأمريكية - المكسيكية - التي وصفت بأنها "الكارثة الاقتصادية الأضخم على سطح الكوكب" (ديفيس 2004 Davis)، تفصل بين دولتين يزيد في إحداها متوسط الدخل القومي أربعة أضعاف، ويقل معدل وفيات المواليد ثلاث مرات عن الأخرى. في أى يوم عادى، على حين يعبر الشباب الأمريكيون الحدود كي يتمكنوا من شرب الخمر بشكل غير مشروع، وهو الأمر الذى يحظره القانون فى بلادهم، يموت بعض المكسيكيين من العطش أثناء محاولاتهم عبور الحدود بشكل قانونى كي يتمكنوا من العمل. ولكن فى حين جرت العادة على النظر إلى ضبط الحدود كقضية هجرة، فإنها أصبحت منذ الحادى عشر من سبتمبر قضية أمنية ترمز إلى نفاذية خط الحدود/ الجسد السياسى للولايات المتحدة الأمريكية^(١٦). وبدلاً من خلق عالم مفتوح من الحركة غير المباشرة نجدها تقوم فى ظل حركة العولمة بالممارسات الضبطية الصارمة للحجر الصحى وصنع أجساد طيعة - على الحدود ومناطق الترانزيت وفى الكثير من وسائل النقل الداخلية والدولية. رغم أن كل ذلك اتسم بالصبغة الروتينية فإن مبدأ الثقة العمياء المفترضة وعدم تيقظ الانتباه فى اللقاءات العامة اليومية ربما يتعرض أيضاً للتلاشى فى ظل حالة من التيقظ الدائم. فى ظل التطورات الحالية والأشكال الجديدة العملية سيتم التعامل على الأرجح مع الأشكال القائمة والأشكال الجديدة للنبد الهيكلى إلى جانب عدم وضوح فكرة الأجساد/ الحدود والمرضى والخطر. لذا ليس من الضرورى أن تؤدى العولمة إلى "دمقرطة الخطر" كما أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر لم تفصح بكلمة عن نهاية الليبرالية الجديدة وأن يحل محلها عهد من التعاون العابر للقوميات. غير أن مرحلة العولمة التى أعقبت الحادى عشر من سبتمبر تشير إلى عدم حتمية هذه التطورات التى يعترىها التناقض والتعقيد.

خاتمة

فى الفصل الخامس لاحظت أن الاستراتيجيات الاقتصادية العالمية - خاصة برامج التعديل الهيكلى - كانت تخلق حالة من الاضطراب فى الحياة اليومية فى أجزاء كثيرة من العالم تفرز حلولاً محلية تشمل الهجرة وأشكالاً موسعة من السلوك الاجتماعى فى المناطق العابرة للقارات. لقد أنتجت العولمة الاقتصادية أشكالاً متزايدة من عدم المساواة الاجتماعية (إلى جانب المزيد من النمو) وفى أعقابها استفحلت الانقسامات العالمية والقابلية للتعرض للإصابة بالضعف والقدرة على الحصول على الموارد. تتضمن نقاط الضعف هذه بشكل خطير مخاطر الفقر والمرض والى بدورها تشكل معظم فرص الحياة الأخرى. بهذه المعانى فإن مفاهيم التقسيم الاجتماعى والتنميط الهيكلى للآثار الاجتماعية - القضايا التى تمثل لب معظم العلوم الاجتماعية - تظل نقاطاً مرجعية مهمة لتفسير الشكل الذى اتخذته الروابط العالمية . ربما يكون الضباب الدخانى "ديموقراطياً" غير أن التنظيم الهرمى للمخاطر لا يزال أساسياً للممارسة المعاشة فى المجتمع العالمى. كما أن تقلص المكان بموجب العولمة قد زاد من حركة التنقل العالمية للسكان والوعى بالفروق بين فرص الحياة. وقد أفرز هذا الوعى بدوره - خاصة منذ الحادى عشر من سبتمبر - مخاوف عولمية جديدة منذ أن تم إدراك أن المخاطر تنشأ من البنى التحتية الاجتماعية التى أفرزت العولمة ذاتها.

تكم فى قلب الخيال العالمى فكرة نفاذية الحدود، التى كانت دائماً ما تفهم بشكل استعارى ليس فقط على المستوى الإقليمى وإنما أيضاً كخلاف للسياسة الجسدية. كان الكثيرون، خاصة فى السنين التى أعقبت نهاية الحرب الباردة، ينظرون إلى العولمة نظرة إيجابية على أنها تخلق فرصاً لهويات عالمية انسيابية، وتدعم الأمن والنمو الاقتصادى. غير أنها أيضاً كانت تتطوى على مخاطر تهدد الأمن والتكامل وهوية الثقافات والدول وأساليب الحياة التقليدية. غالباً ما يكون هناك إجماع استعارى مشحون بعواطف مهمة

بين التهديدات العنيفة للأمن والعدوى الفيروسية، لدرجة أن حدود الأمة والجسد تتدمجان. لا تقتصر مثل هذه المفاهيم على مواقف سياسية معينة ويمكن أن تظهر في كل من اليمين التقليدي والحركات المناهضة للعولمة. منذ الحادى عشر من سبتمبر ازداد الوعي بالإرهاب العالمى ورأيت أن الغلاف المتفائل لهذه الرؤية إذا كان يشجع على النزوع لتجاوز القومية إلى العالمية فقد شابهته المبالغة فى الوقت الحاضر بأى حال من الأحوال. فى هذا الصدد تستلزم متطلبات الرقابة المشددة والمخاوف المصاحبة لها الشكل الروتينى فى الحياة اليومية. غير أنها يتم حشدها كمخاوف من "البرابرة" الجدد وتحدث تغييراً على طبيعة وإدراك التفاعل الاجتماعى فى الأماكن العامة.

نتائج

العولمة هي منجز من منجزات الحياة اليومية التي تتضمن عملاء من البشر منخرطين في البناء الفاعل لأشكال عالمية للسلوك الاجتماعي. تشير النقاشات حول العولمة بعض التساؤلات الاجتماعية المهمة حول المدى الذي تكون فيه التطورات الاجتماعية غير مباشرة وذاتية التوجيه في مقابل أن يتم تشكيلها ودعمها من خلال الأساليب التي تحددها الأطراف الفاعلة من خلال الخيارات ويشكلون بنية الحياة الاجتماعية بصورة حقيقية. في هذا السياق، تبقى المشكلات الاجتماعية للنموذ والتقسيمات الاجتماعية مثل الطبقة الاجتماعية والنوع والجنس والعرقية والتنظيم المؤسسي والرأسمالية ذات الأهمية المركزية كما كانت على الدوام. لقد حاولت توضيح ذلك في عدد من المواضيع من خلال الانخراط مع علماء الاجتماع الكلاسيكيين من أمثال ماركس ودوركايم وسيميل. في مقابل هذا رأيت أن بعض التوجهات المهيمنة للعولمة في علم الاجتماع المعاصر تشدد على الخواص المنهجية للعولمة كظاهرة جديدة، وغالبًا ما تؤكد على كيفية تقويضها للروابط الاجتماعية التي سبقتها في الوجود، لكن لم يكن لديهم الكثير ليقولوه حول كيف "تُنجز" الحياة الاجتماعية رغم ذلك. نظريات الفردية الانعكاسية تخاطر (إن جاز التعبير) بأنها تصبح قبل-اجتماعية لعدم وجود أي تفاصيل عن استمرارية الحياة اليومية ولا أي نقد فكيف يمكن لأيديولوجية الفردية أن ترتبط بصلات مع واقع يتسم بمزيد من الروابط الاجتماعية المعقدة. ربما يكون صحيحًا أن هناك ميلًا من جانب العولمة لإزالة أشكال من الحياة من داخل سياقات محددة- على سبيل المثال، من خلال شبكات مؤسسية ومالية بعيدة المدى- وفي التطورات السابقة التي تم تحويلها إلى المحلية- وتصبح

الإمكانات المنظمة ضمناً كلية الوجود وتستلزم معرفة مقننة. فعلى سبيل المثال، من المزمع أن ينتج منطق السوق تجانساً مجهولاً وعمليات تبادل روتينية عبر المسافات الطويلة. رغم ذلك فإن الأسواق - حتى الأسواق المنظمة عالمياً- تتطلب دعماً اجتماعياً وثقافياً ومؤسسياً معقداً، وقد قلت إنه حتى العلاقات الاجتماعية بعيدة المدى يعتمدها "الزوجة"؛ حيث إن المشاركين فيها غالباً ما يدعمون الاتصالات من خلال التعاملات وجهاً لوجه. علاوة على ذلك، فإن الاتصالات والشبكات الممتدة عبر المسافات الطويلة ما زالت تفترض مسبقاً معايير وتقاليد وقيماً وتوقعات وروتيناً مشتركاً، تنشأ عن أطر ومؤسسات مشتركة- مثلها في ذلك مثل الاتصالات في إطار التجاور المكاني.

لقد بدأت بالتساؤل عما إذا كانت العولمة تجعل من "المجتمع" وحدة غير ملائمة للتحليل. هؤلاء الذين يتحدثون عن نهاية "نظرية المجتمع كوعاء" بنوا رأيهم بشكل كبير على النهاية المفترضة للدولة القومية. يشير بك إلى الدولة ومفاهيم هيكلية اجتماعية مهمة أخرى "كمقدسات" مستقاة من علم الاجتماع في القرن التاسع عشر. لكن فكرة الدولة القومية كحقل متجانس عرقياً جديداً نسبياً وتعايش مع تنظيمات أخرى للدولة خلال الفترة الحديثة. القضية الرئيسية هنا لا تكمن في ترسيم حدود "المجتمع"- على سبيل المثال، المحيط "بالدولة"- لكن القضية تكمن في فهم ديناميكيات التضامن الاجتماعي في المجتمعات المتعولمة الكونية. علم الاجتماع لم يقتصر في حقيقة الأمر قط مع المفهوم القومي للمجتمع وبالتالي دار النقاش حول جدل هش. بدلاً من ذلك كان علم الاجتماع الكلاسيكي ينتظم حول مفاهيم مثل الرأسمالية والمجتمع المدني والتصنيع والبيروقراطية وأديان العالم وما إلى ذلك وهي أمور ليست "إقليمية" على وجه الخصوص وتتجهن بأشكال ما بعد- قومية للمجتمع. على أي حال، فلأن السكان يختلفون ثقافياً و الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية معقدة، لا يستتبع ذلك أن تكون الدولة و"الإقليمية" لم يعودا وحدات ذات أهمية

للتحليل. بل على النقيض، أصبحت الدولة أكثر أهمية كعضو فاعل فى الساحة العالمية عما كانت من قبل ليس فقط بالنسبة للرقابة وضبط الحدود ومكافحة الإرهاب، بل أيضاً فى محاولاتها لمجابهة العواقب المدمرة اجتماعياً للبيرالية الجديدة العالمية.

فى هذا السياق تحاول الدول التوسط لضبط التوتر بين الحركة النسبية لرأس المال الذى يتحتم عليه أن يترسخ مكانياً ويجد عمالة ثابتة ولو نسبياً وهذه الممارسات تمثل قيوداً مهمة على التكامل انعالمى المتحرر. من بين عواقب إعادة الهيكلة الاقتصادية العالمية إضعاف التضامن الاجتماعى والدعم المؤسسى (من أبرزها الرعاية الاجتماعية) وازدياد الشك وسلاسة الخبرة فى مجال العمل، ومن آثار ذلك جزئياً تقويض بعض الأشكال التقليدية للذكورة والإدراك المتزايد للمخاطر العالمية. يحاول برنامج "التماسك الاجتماعى" العالمى - من جهة- كرد فعل أن يعيد هيكلة النشاط الاجتماعى (ببناء رأس مال اجتماعى محلى مثلاً) على حين يحاول - من جهة أخرى- تنظيم الفوارق المجتمعية - التى غالباً ما تكون داخل العرقيات- التى استفحلت من جراء تقلبات رأس المال العالمى. فى خضم هذه التطورات دفعت الأطراف النافذة بالدولة إلى مزيج معقد من العواقب المقصودة وغير المقصودة، كان لبعضها تأثير خلق أشكال جديدة من الشبكات الاجتماعية والإجراءات (مثل التأثيرات المتناقضة لضوابط الهجرة على الهجرة).

من الواضح أن مناقشات العولمة تطرح أسئلة مهمة حول ما يقوم بدراسته علماء الاجتماع. الموضوع الرئيسى لعلم الاجتماع هو السلوك الاجتماعى وأعنى به كلاً من المعرفة والدلالات الضمنية والصريحة التى تعزز الحياة الاجتماعية وتدعم العمليات التى تبدو وكأنها مستقلة كعمليات المال والسوق ووسائل الإعلام الأخرى. لقد حاولت التأكيد عبر هذا الكتاب على مسألة كيف ينبغى للتدفقات العالمية أن تتحقق وتتضح فى أماكن

أصبحت منطقة متنوعة من التكامل والصراع. إن وجود مجالات متعولمة من الاتصالات ما زالت تفترض مسبقاً المغزى الاجتماعى الذى تفرزه سياقات ثقافية وجغرافية واجتماعية يفرضها الزمن. فى خضم عملية تحويل العالمى إلى محلى وعولمة المحلى توجد بنى اجتماعية وثقافات وأشكال ذات نفوذ استدعت إعادة النظر فيها وبطبيعة الحال تحويلها من خلال التفاعلات اليومية. إن نتائج الأبحاث الحديثة على الاتصالات الرقمية تعتبر - فى رأيي - أمثلة جيدة على هذا. فالإنترنت مصدر من مصادر ضغط الزمان والمكان ويعد أمراً أساسياً بالنسبة للعولمة وفى الوقت نفسه يعتبر من أكثر الأماكن العامة تعولماً وحميمية التى غالباً ما يتم التعامل معها فى حالات الانفراد بالذات. فى المجتمعات المتعولمة يشعر الناس بأنهم جزء من عالمهم وأنهم "قرية" واحدة فى آن واحد. هناك آراء مختلفة حول ما إذا كان الإنترنت ينبئ بعالم بعد-بشرى فقدَّ أصلته أو التحرر من المكان والتجسد. أو ربما يكون مجرد وسيط آخر للاتصال إلى جانب عناصر أخرى. وجهة النظر هذه ترى أن استخدام الإنترنت يقبع بشكل عضوى فى طيات الأنماط الاجتماعية القائمة للحياة المحلية وداخل علاقات ثقافية مقيدة تشكل العلاقات الاجتماعية. إن الأطراف الفاعلة التى تتواصل فى فضاء الإنترنت تقوم بابتكار أساليب يمكن من خلالها إدراك العالم من قبل الأطراف الأخرى. فى الواقع وفى حين تمثل العوالم المفترضة نموذجاً مصغراً للانسيابية و"لامكانية" التفاعل المتعولم، نجد أن الاتصالات الافتراضية تحكمها المعايير الاجتماعية (التي لا محالة يتم انتهاكها، بطبيعة الحال)، والسياقات المؤسسية (المنظمون، وقوائم المديرين... إلخ) والمدرجات الضمنية وأن البشر الذين يتواصلون عبر الإنترنت غالباً ما يكون لهم علاقات متطورة خارج الإنترنت وهكذا؛ لأن التفاعل الاجتماعى خارج الإنترنت له أهمية كبيرة فى استمرار الثقة والصلات الاجتماعية القوية تقوم الكثير من الشركات العابرة للقوميات

بإرسال مديريها التنفيذيين فى رحلات حول العالم لحضور اجتماعات وجهاً لوجه حين يكون هذا الأمر أرخص بكثير وأكثر فاعلية من ترتيب مؤتمرات الفيديو كونفرنس. "العالمية" إذن "ليست كياناً يوهب مسبقاً منفصلاً عن الموازين المكانية الأخرى، لكنها تنتج ويعاد إنتاجها وتعديلها وتواجه تحديات من قبل أحداث متعددة على نطاقات مكانية متنوعة" (كوهلر وفيسين 2003 Kohler and Wissen).

قامت العولمة لأول مرة فى تاريخ العالم بخلق سوق عالمى وشبكة كثيفة من سلاسل الإنتاج والسلع، الأمر الذى كان له آثاره العميقة على العلاقات الاجتماعية فى العقود القليلة الماضية. على حين تركز الكثير من الوكالات الدولية على الفقر (والنقاشات فى أكثر من اتجاه) هناك دليل على أن عدم المساواة العالمية داخل الدول وبينها نشأت إلى جانب التكامل الاقتصادى الاجتماعى العالمى المتزايد. إحدى النتائج العالمية لهذه التطورات وعلى نطاق واسع القضاء على الريف - اختفاء الحياة الريفية التى كانت فى بداية القرن العشرين أسلوب حياة معظم الناس فى جميع أنحاء العالم، مما أفسح المجال للتحويل الهائل (غير المخطط له عمومًا) إلى الحضر. هذه تطورات معقدة ومتفاوتة تتجلى فى محليات معينة، نتيجة لعملية التحول إلى الحضر التى تمت على نطاق واسع والمرتبطة بالمصادر الجديدة للتوظيف وتخلق معدلات عالية من البطالة أو شبه-بطالة فى الاقتصاديات غير الرسمية. هذا بدوره يدفع الهجرة الشرعية وغير الشرعية نحو الاقتصاديات ذات الأجور الأعلى التى بدورها تزيد نطاق الترابط العالمية بين الناس، والحوالات التى يتم إرسالها للوطن الأم تصبح تدفقاً رئيسياً لتدفق السيولة النقدية فى الاقتصاد العالمى.

هذا الحراك الذى لم يسبق له مثيل للسكان فى القرن العشرين أفرز أشكالاً جديدة من التهجين الثقافى، وظهرت الهويات العابرة للقوميات التى فيها يكون للكثيرين عضويات متداخلة لمجتمعات قومية ودينية وإثنية. خلال هذه العملية تصبح الكونية متجذرة فى نسيج المجتمعات الحديثة أيضاً التى تدعو إلى وضع استراتيجيات جديدة (بين الأطراف التابعة وغير التابعة للدول) للتنظيم والتكامل. ولأن الناس يقل ارتباطهم بالقيم المشتركة أو أساليب الحياة المشتركة فإن الإجراءات الرسمية (كالديمقراطية الليبرالية وضمانات الحقوق) أصبحت مهمة للغاية للتعبير عن الفروق الموضوعية وبالتالي فقد كان هناك اقتراح بأن تكون العالمية الكونية المتأصلة و"الوطنية، الدستورية" كأشكال بعدد - قومية للهوية السياسية والمدنية. هذه مسألة من مسائل التهجين والتفاوض الثقافى والتى - مثلها مثل جميع العلاقات الاجتماعية المعقدة - التى قد تثير التوترات. يستطيع الناس أن ينتسبوا للعديد من الهويات ونقاط المرجعية بما فيها الهويات المهجنة التى تشمل مرجعيات عالمية وقومية وتاريخية متداخلة - مثل: الأفارقة الأمريكان والأمريكان الآسيويون والآسيويون البريطانيون والبريطانيون الصينيون والمسلمون البريطانيون واليهود البريطانيون والعرب المسيحيون... إلخ، رغم أن هذه فى بعض الأحيان.

قد ينتج عنها صراعات على الولاء داخل كل من المرء ذاته ومع الآخرين. حياة الناس تقبع داخل أماكن مقننة تغلفها الذاكرة والدلالة وهى أيضاً مجالات للتحكم. الطبيعة الحضرية ذاتها والدلالات وتواريخ ومزاعم أصالة متنافسة التى توضحها الدلالات العامة المهمة التى تنسب للآثار والشوارع والنصب التذكارية - ولقد ناقشت مثلاً للخلافات حول معنى الأوسفيتس Auschwitz فى التاريخ البولندى والأوروبى، وحقيقة يمكن العثور على الكثير من الأمثلة التى تغلفها دلالات متصارعة مثل الخلافات حول حقوق الأفراد المتجانسين فى الأراضى أو التحديات التى يجابهها الأمريكان الأصليون فى الاحتفاء بساحة المعركة فى الولايات المتحدة. يتم تنظيم الفضاء العالمى داخل مجتمعات مدنية داخل حدود إقليمية وتعريفات للوطنية

ومؤسسات ولغة أو لغات رسمية ونظم ثقافية وتعليمية وسياسية... إلخ. الحكومات نفسها غير حيادية تجاه تلك الخلافات بل تحاول تأمين الولاء من قبل الدوائر الانتخابية المختلفة في المواقف العامة التي تتخذها. بيد أنه كى تزداد الأمور تعقيداً فهذه ليست مجرد عملية ثقافية، ما دامت الهجرة العالمية وأنماط التمايز العنصرى تنشأ أيضاً من إعادة خلق الفروق والإقصاء الاجتماعى. إن الخوف من "الهجرة من الشرق" فى أوروبا الغربية هو فى جانب منه إزاحة القلق المعقد بشأن الغزوات الثقافية العالمية، ولكن أيضاً الحرص على حماية مكانة لسوق العمالة، بين مجموعات يرون أنفسهم فى تنافس مع المهاجرين الجدد. ستظل الكونية مجرد مطمح إذا لم تعالج المصادر المتعددة لهذه التوترات.

تساءلت فى المقدمة عما إذا كانت العولمة نتاج لتطورات اقتصادية- اجتماعية معقدة أو عملية جديدة فى حد ذاتها. هل هى تأثير تركيب معقد من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية؟ يظهر التحليل الذى قمت به هنا أن التطورات متعددة الأشكال التى تم وصفها "بالعولمة" هى نتاج لعملية معقدة بالكامل من التغيرات الاجتماعية-الاقتصادية والثقافية، والنتائج الجمعية لها غير مقصودة وإلى حد ما لا يمكن التنبؤ بها. من الأحداث العالمية الحاسمة فى العصر الحالى - انهيار حائط برلين وانهيار النبرجين التوأمين - كانتا نتائج لقوى العولمة غير أنهما كانا غير متوقعتين إلى حد كبير؛ لذا فإن العولمة بصفة رئيسية نتيجة لمجموعة من التطورات التى هى فى حد ذاتها متصلة بعضها ببعض بشكل متفكك رغم أن العلاقة كانت جدلية من حيث إنها بمجرد أن تتشكل الآثار العالمية وتأخذ شكلها الاجتماعى فسوف تقوم بدورها بأفعال وبنى تنتمى للأشكال التى بزغت فيها. علاوة على ذلك فإن فكرة العولمة شغلت الأحاديث المعاصرة وأصبحت هدفاً تطمح إليه العديد من الحركات الاجتماعية والجمعية والحكومية والأفعال السياسية موضحة تارة أخرى إن الناس لو اعتقدوا أن الظروف حقيقية فستكون عواقبها حقيقية أيضاً.

كما تساءلت عما إذا كانت العولمة تخلق ثقافة متجانسة عالمية ومرئية على وجه الخصوص أو ما إذا كانت على النقيض تجلب تمايزاً متزايداً بين الرابحين والخاسرين في العولمة إلى جانب هجين منثق من الثقافات المحلية والعالمية. وإجابة هذا السؤال متضمنة فيما سبق، فقد استطاعت العولمة بطرق ما أن تجعل التواصل الثقافي والاقتصادي يجتاز الفضاء الجغرافي ويرسخ معرفة عالمية للسلع والبناء واللغات وأنماط حياة وأطعمة معترف بها عالمياً وهكذا. تروج الشركات متعددة القوميات لثقافة استهلاكية عالمية للسلع المعيارية التي تروجها حملات التسويق العالمية مستغلة الرغبات المادية الأساسية وتخلق أساليب حياة متشابهة مثل "ترويج الكوكاكولا" وتم ترسيخ النمط الغربية بوصفها عالمية ومهددة بأن تحل محل التقاليد المحلية. إن المؤسسات الحديثة بطبيعتها ترشيدية تدفع لأن تكون جميع الممارسات انبشيرية أكثر فاعلية ويمكن التحكم فيها أكثر ويمكن التنبؤ بها بشكل أكبر وخير مثال على ذلك انتشار مطاعم الطعام السريع "ماكدونالدز". غير أنه في نفس الوقت سيكون من السطحية إلى حد ما تخيل هذا لأن الفرد يمكنه أن يحصل على ملابس رياضية من نوع "سكاي" أو شطيرة كبيرة من ماكدونالدز في أي مدينة في العالم فهذا يخلق قواسم مشتركة في الدلالة أو المدركات الثقافية. لم تكتسب السلع العالمية فقط معاني مختلفة في أماكن بعينها، بل وانتقال السلع الثقافية متعددة الاتجاهات - فعلى سبيل المثال استخدام "الهييب هوب" الجامايكي في الموسيقى الغربية أو استخدام الرسوم المتحركة اليابانية في السينما الغربية. إن التدفقات الثقافية تحدث بشكل مختلف في مجالات مختلفة، ويمكن أن تنشأ في أماكن كثيرة، على حين التكامل وانتشار الأفكار والصور تستفز ردود أفعال ونزاعات. علاوة على ذلك فقد أصبح التنوع في حد ذاته قيمة عالمية تروج لها المنظمات وانشركات الدولية - وفي الواقع دول - تؤدي إلى المؤسسات في الاختلاف.

إن العولمة حتمية غير أنها عملية معقدة متعددة الأوجه لها آثار وعواقب متفاوتة على الرعاية الاجتماعية. كما قلت في المقدمة إنها ليست أمرًا واحدًا ولا يمكن الحكم عليها "كخير" أو "شر" في حد ذاتها. في بعض الأحيان أصبحت استعارة للتغيرات المتعددة التي غالبًا ما ينقصها الاستقرار والتي تؤثر في الحياة اليومية. غير أنه في الوقت ذاته فإن المقاومة المتعددة للعولمة أفرزت "العالمية" على حد سواء كأمر يثير الاشتمزاز، ومساحة تجري داخلها أحداث وتعاون. هذا بسبب الطبيعة الحتمية لعلم الاجتماع- الممارسات المتمردة والثورية تحقق الوضوح المتبادل وتنتج ممارسات لها معانٍ مشتركة للأطراف المشاركة، لذا فإن "الإبداع والاستقلالية والثورية تحدث فقط بصورة ذات مغزى في ظل خلفية من الوضوح المتبادل" (راولز 25: 2002 Rawles). ويظل هذا الخيط الذي يربط بين السلوك الاجتماعي العالمي.

الهوامش

ما العولمة؟

(١) ترجع بدايات مبادرات منظمة الأمم المتحدة إلى المحاولات التي قام بها الحلفاء إبان الحرب العالمية الثانية لإعادة خلق العولمة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وبواكير القرن العشرين، لكن في إطار النظم الدولية التي من شأنها موازنة الأزمات الميمة التي أرهصت بظهور الفاشية والحرب العالمية.

(٢) يصف كيو Quah الاقتصاد عديم الوزن بأنه الاقتصاد الذي فيه "تحقق الأهمية الاقتصادية للمعرفة أعظم صدى معاصر" وله أربع سمات رئيسية هي: (١) تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والإنترنت؛ (٢) ممتلكات فكرية - ليس فقط براءات الاختراع وحقوق الطبع لكن أيضا، على نطاق أوسع، الماركات، والعلامات التجارية والخدمات الاستشارية والمالية والإعلانية والتعليم؛ (٣) المكتبات الإلكترونية وقواعد البيانات بما فيها الإعلام الجديد، وفيديو الترفيه والإذاعة؛ (٤) التكنولوجيا الحيوية- المكتبات وقواعد البيانات القائمة على الكربون وشركات الأدوية (كيو 2002 Quah).

(٣) ارتفعت صادرات البضائع الصينية بنسبة ٢٨,٣٪ في عام ٢٠٠٥م في مقابل معدلات نمو بلغت ٣٠٪ في العامين السابقين الأمر الذي يعكس نمواً بمقدار ١٠٪ في إجمالي الناتج المحلي السنوي ما بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٥م (Cohen, Business Week 2006).

(٤) انظر تحذير منظمة الصحة العالمية على الموقع التالي

www.who.int/mediacentre/factsheets/fs274/en/.

(٥) ارجع إلى موقع www.confederationpaysanne.fr/index.php3 (باللغة الفرنسية).

الفصل الأول

ما الجديد عن العولمة؟

(١) يعكس عمل دوركهايم Durkheim أيضا هذا النهج، الذي يعتبر الحياة القومية أرقى أشكال الظواهر الاجتماعية. ارجع إلى مناقشات دوركهايم وموس Durkheim and Mauss (1971) ونيلسون Nelson (1973) ومانداليوس Mandalios (1996) لهذا الموضوع.

- (٢) أطلق هذا الاسم على **نظريته** النسبية إلى الاقتصادى السوفيتى نيكولاي كوندراتييف (Nicolai Kondratieff) الذى طرح هذه النظرية عام ١٩٢٦م. فحواها أن كل دورة تدوم ما بين ٥٠ إلى ٦٠ عامًا وتتم بمرحل التنمية والازدهار إلى أن تصل إلى مرحلة الركود. كانت الدورة الأولى تقوم على طاقة البخار؛ والثانية اعتمدت على خطوط السكك الحديدية؛ أما الدورة الثالثة فقامت على الكهرباء والسيارة؛ والرابعة على المواد الإلكترونية والصناعية. يرى كوندراتييف (Kondratieff) أن إحدى القوى التى تنتج عنها موجات عالية هى عدد كبير من الاكتشافات والمخترعات التى تظهر أثناء فترات الكساد وعادة ما يتم تطبيقه على نطاق كبير فى بداية مرحلة الصعود. ومن المرجح أن يصاحب المنحنى الهابط للدورة حروب وإعادة تنظيم عنيف للإنتاج. (تشيس - دون (Chase-Dunn 1983: 132-3).
- (٣) يشير مصطلح "Latifundia" إلى حيازة الأراضي التى تغطى مساحات شاسعة التى نجدها هذه الأيام فقط فى أمريكا الجنوب. أكثر الأشكال انتشاراً هى المزرعة وهى كيان اجتماعى واقتصادى يشبه الولاية الصغيرة التى تسعى للتمتع بالاكتماء الذاتى والسيادة المطلقة وتتمركز حول "السيد".
- (٤) يشير راديس (Radice 2000) إلى أنه من الصعب إيجاد كتاب أكاديميين قاموا حديثاً بمناقشة الوضع "المفرط للعولمة". هناك أيضاً وجهة نظر هيلد (Held) "التحولية" التى تقول بأن المؤسسات المحلية مثل الولايات تغيرت بسبب العولمة غير أنها احتفظت بأهميتها. تمت مناقشة هذا الموضوع فى الفصل الثالث.
- (٥) إن القيمة المضافة من جراء تنظيم عملية الإنتاج عبر القوميات - على سبيل المثال تصدير بضائع فى صورة غير مصنعة كى يتم تصنيعها أو تشغيلها فى مكان آخر. لكن هذا لا يمكن أن يكون فى الحقيقة معياراً للعولمة كما هو الحال مع وجود العوائق أمام التجارة فى الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة ضد استيراد السكر المصنع والكاكاو وغيرها من البضائع من الدول النامية (Oxfam 2002).
- (٦) بعبارة أخرى مع الحدثة يختفى "المكان" الذى تحدث داخله المعاملات الاجتماعية من الأماكن المباشرة الملموسة ويمتد عبر الزمن - مثال على ذلك الطريقة التى يحتفظ بها المال بقيمته مع مرور الوقت ويسهل عمليات التبادل الاجتماعية المعقدة التى ينفصل بعضها عن بعض زماناً ومكاناً.
- (٧) فى ١٦ يوليو ١٩٤٥م، اجتمع قادة "الدول الثلاث العظمى" فى مدينة بوتسدام فى ألمانيا بالقرب من برلين. وقام من كانوا رؤساء دول إبان الحرب العالمية الثانية - الرئيس ترومان Truman والسكرتير العام ستالين Stalin ورؤساء الوزراء البريطانية تشرشل Churchill وأتلى Atlee - بمناقشة تدابير ما بعد الحرب والحدود القومية فى أوروبا.
- (٨) فى عام ١٩٤٥م تم إعادة ترسيم الحدود البولندية، فقد تم إلحاق المقاطعات الشرقية التى قام الاتحاد السوفيتى باحتلالها، تم ضمها للأراضى البولندية بشكل دائم، وتم طرد معظم سكان هذه المقاطعات من البولنديين. الآن تعد هذه المقاطعات جزءاً من

بيلاروسيا وأوكرانيا وليتوانيا. في مقابل هذا تم منح بولندا مقاطعة ألمانية سابقة والثلثين الجنوبيين لبروسيا الشرقية وهى بوميرانيا وبراندنبرج وسيليسيا حتى حدود الأودر ونيسر. وقد أعاد استيطان هذه المقاطعات البولنديون الذين تم طردهم من المناطق الشرقية.

(٩) أحد الأمثلة هو رئيس الوزراء النيوزيلندى (فى عامى ١٨٧٦ و ١٨٧٣م) ورجل الأعمال جوليوس فوجل (Julius Vogel) وهو ابن مهاجرين روسيين من اليهود إلى لندن الذين قاموا بجمع القروض لتيسير التوجيه الجماعى إلى نيوزيلاندا فى السبعينيات من القرن التاسع عشر. كان التزامه أكثر بالفكرة الدولية للتاج والإمبراطورية أكثر منه لمشروع قومى بريطانى.

(١٠) لا تجمع النظريات الاقتصادية الماركسية عادة مع النظرية الكينزية بل ينظر إليهما عادة على أنهما نظريتان متعارضتان للأزمة والائتياز الحتميين للرأسمالية من جهة فى مقابل إمكانية تحقيقها للاستقرار والعدالة الاجتماعية من خلال التدخلات الحكومية من جهة أخرى. يعكس الاستخدام هنا الإيمان الليبرالى الجديد بأن كلتا النظريتين تتشاركان فى النظرة (الزائفة) بأن "السوق الحرة" خطيرة وفوضوية وغير ناجحة ومنذرة بالأزمات.

(١١) ارجع إلى الموقع التالى:

www.globalpolicy.org/soecon/tid/2003/0722fight.htm

(١٢) يشير مصطلح "المحل-عولمة" إلى "التشابك بين الأحداث الاجتماعية بعيدا عن السكان المحليين". وهو تداخل ما بين الحضور والغياب (جيدنز 21 1990: Giddens). يجذب هذا المصطلح المربك الانتباه إلى نقطة مهمة وهى أن المحلى والعالمى مرتبطان بشكل وثيق غير أنه لا يتم التأكيد فيما يتعلق بالتفسير لمنطوقاته. لا يستخدم هذا المصطلح كثيرا فى هذا الكتاب.

(١٣) فى الواقع الإشارة إلى أن سقوط الحائط كان له أثر محفز لائتياز الاتحاد السوفيتى ليس تحليلا "معقنا" وإنما بسيط نعدد أكثر تعقيدا من العمليات البيئية النظامية.

الفصل الثانى

العولمة وعلم الاجتماع

(١) كان من المزمع نشر انتضامن من خلال النظام التعليمى لدعم العدالة الاجتماعية كساد "لدين اجتماعى" من جانب المميزين للمحرومين. افترض هذا الأمر اعتمادا متبادلا وواجبات شبه تعاقدية بين المواطنين جميعا وتتضمن برنامجا للتعليم العام والتأمين الاجتماعى والعمالة وتشريعات الرعاية الاجتماعية. أيدت التضامن التدخلات الحكومية والتشريعات الاجتماعية والجمعيات التطوعية لخلق حلقة وصل بين الليبرالية (دعه يعمل دعه يمر) والاشتراكية الثورية.

(لوكن 4-350 1973: Lukes)

- (٢) بالنسبة لدوركهيم (Durkheim) لم تكن فكرة الفردية هذه "مناهضة للمجتمع ولا أنانية" بل تتطوى على "عاطف لكل ما هو إنساني. والشفقة لكل أنواع المعاناة والبؤس ورغبة أكبر للعذالة." (دوركهيم 1969).
- (٣) "لا يوجد هناك شيء يدعى المجتمع. بل يوجد أفراد من النساء والرجال وهناك عائلات." (تاتشر في حديثها لمجلة للمرأة، ٣ أكتوبر ١٩٨٧م).
- (٤) رغم أن الفصل الأخير ذكر أن الدولة القومية لم تكن قط نموذجاً عالمياً قد كان وجود الأقليات القومية واللغوية والعرقية والدينية داخل حدود الدولة واسع الانتشار منذ القدم.
- (٥) يقول سينغ (Singh 2004) إن هناك نوعين من الثقة - الثقة "القوية" (التوثيق والتشهير والأمن) وثقة "ضعيفة" (الولاء ومعلومات المستخدم والثقة الاجتماعية والثقافية).
- (٦) بينت المناقشات البرلمانية أن حد العملة تم تلافيه بصورة متكررة خاصة في البنوك السويسرية، الأمر الذي يلح إلى أن المال بالفعل لم يكن بالضرورة مقيداً بالحدود.
- (٧) لقد حل نظام التسعير الآلي بسوق المال محل منصة التجارة بنظام تسعير قائم على الشاشة يستخدمه سماسرة البورصة على حين تم إلغاء القيود على ملكية سماسرة البورصة للأسهم في المملكة المتحدة.
- (٨) تضمن هذا إعادة تطبيق سياسة تخفيض قيمة العملة بشكل درامي (الأمر الذي كان له أثر كارثي على منخرات الكثيرين) وإدخال سياسات مالية مشددة بدرجات متفاوتة باختلاف الأماكن.

الفصل الثالث

ما بعد الدولة القومية؟

- (١) تم التصديق على الدستور من جانب النمسا وألمانيا واليونان والمجر وإيطاليا وليتوانيا وسلوفاكيا وإسبانيا غير أن الرفض الذي تلا ذلك للدستور في استفتاء أجرى في فرنسا (٢٩ مايو ٢٠٠٥م) وفي هولندا (الأول من يونيو ٢٠٠٥م) وفي المجلس الأوروبي الذي انعقدت جلساته في ١٦ و ١٧ يونيو ٢٠٠٥م اعتبروا أن "نيس هناك شعور بأن التاريخ المبني الذي تم تحديده لتقديم تقرير للتصديق على المعاهدة، الأول من نوفمبر ٢٠٠٦م، ... كان ولا يزال من الممكن الوفاء به" (http://europa.eu/constitution/index_en.htm).

- (٢) في المملكة المتحدة، على سبيل المثال، ما بين عام ١٩٤٥م وتطبيق برنامج الخصخصة الشاملة لحكومة المحافظين (١٩٩٧ - ١٩٧٩م) كان قد تم تأميم مجالات واسعة من الاقتصاد البريطاني - من بينها الفحم البريطاني والغاز البريطاني والبتروال البريطاني والسكك الحديد البريطانية والفولاذ البريطاني وويلاند البريطانية

(شركة سيارات بريطانية) والخطوط الجوية البريطانية وبنك إنجلترا ومكتب البريد (بما فيه قسم الهاتف) والهيئة المركزية لتوليد الكهرباء - خالقة بذلك أحد أكبر الاقتصاديات المملوكة للحكومة خارج الكتلة السوفيتية.

(٣) لا يقف الأمر عند مجرد تكاثر الجمعيات الأهلية الدولية ولكن يمتد لمدى الفعالية التي قام بها الأعضاء المرتبطون عن طريق الشبكات والمحتشدون بإعادة تشكيل سياسة العالم. في قمة الأرض التي عقدت في ريو عام ١٩٩٢ على سبيل المثال، قام ١٧٠٠٠ من ممثلي الجمعيات الأهلية بإقامة ندوة بديلة على حين انخرط ١٤٠٠ في الإجراءات الرسمية. في المؤتمر العالمي الرابع للمرأة الذي عقد بمدينة بكين قامت ٣٥٠٠٠ جمعية أهلية بعقد منتدى بديل على حين شارك ٢٦٠٠ في المفاوضات الرسمية متعددة الجنسيات (ماكجان وجونستون ٢٠٠٥ McGann and Johnstone).

(٤) الاعتماد على المسار يشير إلى عملية تطويرية لا تميل فيها التطورات المتتابعة إلى حالة من التوازن الأمثل للكفاءة القصوى بل إلى تعظيم الاستفادة من مميزات الممارسات التي كانت بالفعل قد تم سجنها داخل عمليات التطور. من الأمثلة التي تم الاستشهاد بها كثيرًا هي لوحة مفاتيح الكويرتي QWERTY التي كانت قد صممت أساسًا للإبطاء من سرعة من يكتب باستخدامها وتقليل خطر تعطل الآلة الكاتبة وبعد ذلك كان يتم وصفه في كتيبات التدريب وعمليات الإنتاج وكان سيكلف خسائر فادحة لإيقافه حتى حين كانت آلات الطباعة الأكثر كفاءة متاحة بالأسواق.

(٥) كانت جولة أوروغواي مفاوضات تجارية دولية بين سبتمبر ١٩٨٦م وأبريل ١٩٩٤م التي حولت الاتفاقية العامة على التعريفات والتجارة (الجات) إلى منظمة التجارة العالمية (WTO) لقد نشأت هذه الاتفاقية في بونتا ديل إست في أوروغواي (ومن هنا جاءت التسمية).

(٦) يعلق أميس (Amis) قائلًا بأنه "حتى عام ١٩٨٩م كان متحف الأوشفيتز (Auschwitz) نفسه نصبًا لإنكار الهولوكوست" (Amis 2002: 222).

(٧) بالمثل فإن الهولوكوست الروماني- الذي كان قد راح طى النسيان في التاريخ الأوروبي- يمكن أن يتم تذكره والبحث عن شاهد موثق من بين الناجين من الضحايا. ارجع إلى كابرايسكي (Kapralski 2001).

الفصل الرابع

علم الاجتماع الواقعي

(١) "موجات ك" (موجات كوندراتييف Kondratieff waves) موصوفة في صفحات ٢٤٣-٢٤٥.

(٢) ببساطة تتكون أي شبكة من مجموعة من العقد المتصلة بعضها ببعض بلا مركز. إن المنطق المهم في مجال الشبكات ليس الاستقرار بل الاحتواء أو الاستبعاد. إن الشبكات تتمتع بقدر كبير من السيولة غير أنها أيضًا تولد بنية (تتسم نسبيًا بالاستقرار والديمومة) لكل من العاملين فيها وغير العاملين فيها.

- (٣) رغم أن الكثيرين من العاملين في مراكز الاتصال يطلب منهم خلق إيهام بالأكفة والخدمة الشخصية بتقديم أنفسهم للعملاء باستخدام أسمائهم الأولى وتبنى سلوك ودود.
- (٤) رغم أن البيروقراطية غالباً ما يكون لها تضمينات سلبية هناك الكثير من مجالات الحياة يتم فيها إعلاء الحيادية. على سبيل المثال يطلب من أصحاب العمل بموجب القانون توفير فرص عمل متكافئة لجميع الأفراد المؤهلين بغض النظر عن العرق والسن واللون والجنس والدين والأصل القومي والحمل والإعاقة البدنية والحالة الاجتماعية أو الحالة الصحية. عمليات التقييم مثل تصحيح المقالات تتطلب أن تتسم بالحياد فيما يتعلق بأنه يجب تطبيق نفس المعايير على جميع الطلبة وبشكل أساسي وغالباً ما يتم تصحيحها بحيادية.
- (٥) يجب أن يحذر المرء من المبالغة والإحصاءات الخادعة. غير أنه في نقاش جيد آخر يزعم كاستيلز (Castells 1999) "الإنترنت اليوم يستخدمه حوالي ١٠٠ مليون شخص وهذا العدد يتضاعف سنوياً". لم يتم توثيق مصدر هذا الرقم. لو افترضنا أن عدد المستخدمين كان ١٠٠ مليون عام ١٩٩٨م، إذن فهذا المعدل للزيادة لكان هناك ٦٤٠٠ مليون فرد يستخدمون الشبكة عام ٢٠٠٤م- تقريباً إجمالى عدد سكان العالم في هذا العام. لذا من الأفضل تطبيق نموذج الرسم البياني انتشار- إس الذى يفرز تقنيات جديدة تتطور سريعاً ثم يتعود الناس عليها.
- (٦) معامل الارتباط لنسبة مستخدمى الإنترنت من بين السكان وإجمالى الناتج المحلى لكل فرد يبلغ ٠,٧٧. تم حسابها فى سجل الإحصاءات السنوية لاتحاد الاتصالات (٢٠٠٠م). يرتبط توزيع المضيف أيضاً بشكل إيجابى بالسكان المتناسبة معه على شبكة الإنترنت على موقع <http://news.netcraft.com/>.
- (٧) غير أن هناك بعض الانحرافات عن هذا السياق حيث تكون الدول التى تتمتع بالرخاء فى استخدام الإنترنت بها، أقل من متوسط معدل الاستخدام بدول (مثل السعودية والهند) الأمر الذى يمكن أن تفسره معدلات عالية من غياب العدالة فى توزيع الدخول على المستوى الداخلى أو فرض قيود ثقافية على استخدام الإنترنت. (Norris 2001: 60)
- (٨) انظر على سبيل المثال إلى مناقشة يورى Urry "للحركة الذاتية" على أنها "معقدة ميكانيكياً"- نظام من الصلات المتشابكة تشكل نظاماً ذاتياً من التقنيات والإشارات بشكل يجعل من الحياة الاجتماعية سبينة نمط واحد من الحركة الفردية. (2003: 68-9)
- (٩) http://en.wikipedia.org/wiki/Main_Page
- (١٠) انظر اتحاد المجال العام: <http://english.ohmynews.com/>
- (١١) انظر على سبيل المثال http://en.wikipedia.org/wiki/Internet_censorship_in_China.
- (١٢) ارجع إلى جريدة الهيرالد تريبيون الدولية: www.iht.com/

- (١٣) ليس الإنترنت - رغم ذلك - مربحاً على الدوام الأمر الذى بينه انهيار شركات الدوت كوم فى عام ٢٠٠٣م مما كان له آثار إقليمية دائمة فى المناطق التى كانت شركات الدوت كوم بها جزءاً مهماً من الاقتصاد المحلى مثل منطقة خليج فى كاليفورنيا (جريدة سان فرانسيسكو ٨ مايو ٢٠٠٥ San Francisco Chronicle).
- (١٤) ارجع إلى موقع www.public-domain.org/?q=node/47.
- (١٥) ارجع على سبيل المثال إلى موقع www.groups.google.com.
- (١٦) ارجع إلى موقع www.weil.com/. فى الواقع هؤلاء الذين يلتقون على موقع well إنما يلتقون خارج نطاق الإنترنت أيضاً.
- (١٧) http://avc.blogs.com/a_vc/2004/02/social_networki.html.
- (١٨) كان هذا استقصاءً جرى بين ٢٠٠٧٥ من أفراد من أمريكا الشمالية يستخدمون موقع الجمعية الجغرافية القومية (National Geographic Society) على الإنترنت عام ١٩٩٨م وكان من بينهم ٨٨٪ من الأمريكيين و ١٢٪ من الكنديين.
- (١٩) مثل مواقع "المواعدة اليهودية" (www.jewishdating247.com/)؛ والمواعدة الهندوسية (<http://hindu.indiandating.de/>)؛ والمواعدة لعابدى النار (www.kamaconnection.com/parsi-singles-dating.php)؛ والعزاب المسيحيون (www.linkchristians.com/?gclid=CLPeoorFKogCFRMQZwodelSUAW).
- (٢٠) ربما يكشف هذا أن توقيت ردود الأفعال تجاه الاتصالات بدلاً من التعايش فى حد ذاته أمر مهم فيما يتعلق بتحديد مستوى الثقة والتضامن فى تعامل ما- من هنا فالدردشة الحقيقية يمكن أن يتضح أنها أكثر تضامنية من البريد الإلكتروني اللاتزامنى (بارغ وماكينا 2004 Bargh and McKenna).

الفصل الخامس

عدم المساواة العالمية والحياة اليومية

- (١) انظر موقع <http://iresearch.worldbank.org.Povcal/Net/jsp/index.jsp>.
- (٢) انظر موقع www.transnational.org/features/chossu_worldbank.html.
- (٣) ينبغي توخى الحذر عند استخدام هذه الأرقام لأنها مركبة وقائمة على بيانات قومية متنوعة تنوعاً شديداً تم جمعها بطرق متنوعة للغاية. أنماط الملكية ستختلف باختلاف الثقافة ويمكن للمستثمرين الأفراد فى الأسهم العادية مثل صناديق التأمينات والمعاشات أن يمثلوا ملايين الأفراد. كما سيكون لدور فرض الضرائب على الأفراد والشركات فى الدول المختلفة أيضاً أثر مهم بالنسبة للمساواة وعدم المساواة.
- (٤) سُميت بهذا الاسم لتشابهها مع مفهوم ويبر Weber للتوارثية البيروقراطية، حيث ترتبط البيروقراطيات الممركزة من خلال الدفع مقابل الخدمات أو حسب الرتبة (تيرنر 1981: 245 Turner).

(٥) إن أصول أزمات الديون أمر معقد ومجال نقاشها خارج نطاق هذا الكتاب. لكن في إيجاز- في الستينيات من القرن العشرين (يرجع أحد أسباب هذا إلى كلفة حرب فيتنام) حيث زادت ميزانية الولايات المتحدة من ٠,٨ إلى ٢,١٪ من إجمالي الناتج المحلي الذي مارس ضغطاً شديداً لخفض قيمة الدولار الأمريكي وعلى أسعار الفائدة. ارتفع سعر البترول في عام ١٩٧٣م مما ولد أحجاماً كبيرة من الدولارات البترولية ومعدلات عالية من الاقتراض بين حكومات العالم الثالث. غير أنه في الكساد العالمي الذي تبع هذا انخفضت أسعار البضائع وكانت الكثير من الحكومات عاجزة عن إيجاد عملات أجنبية كافية لتغطية أقساط الفائدة. في عام ١٩٨٢م تأخرت المكسيك في سداد ديونها مهددة نظام الدين الدولي. أعاد صندوق النقد الدولي والبنك الدولي جدولتي ديون المكسيك وغيرها من الأمم التي تواجه مشاكل مماثلة، فارضة عليهم سياسات للتعديل الهيكلي وتعديل القروض بهما لضمان سداد القروض.

(٦) أحد توابع هذا هو أنه في أواخر التسعينيات من القرن العشرين في الدول المتقدمة أنفق جميع الأطفال ما بين ١٥-١٧ سنة في التعليم طوال الوقت، في جنوب صحارى إفريقيا قضى الفتيان في المتوسط من ٣ سنوات وسبعة أشهر، والفتيات حوالى عامين وشهرين وفي جنوب آسيا قضى الفتيان ٥ سنوات والفتيات عامين ونصف وفي أمريكا اللاتينية قضى الفتيان والفتيات ٥ سنوات (أوكسفام 2002: 82) هذا الأمر يزيد من حرمان الدول النامية من المشاركة في معرفة الاقتصاد العالمي.

(٧) أفاد تقرير صادر عن الأمم المتحدة عام ٢٠٠٥م أن مؤشرات الفقر قد سجلت انخفاضاً لتصل إلى ٤٠,٦٪ من السكان وأن ٢,٥ مليون فرد قد أقلتوا من الفقر بسبب الحوالات المالية التي تأتيهم من الخارج تبلغ قيمتها ٤٥ مليار دولار، وهو مبلغ أعلى من مجموع مبالغ الاستثمارات الأجنبية المباشرة ومعونات التنمية (معلومات عن منظمة الأمم المتحدة ٢٠٠٥م).

(٨) وفقاً لأحد التقارير فإن واحداً تقريباً من بين كل ستة متسوقين في المملكة المتحدة يقول إنه يشتري أو يقاطع المنتجات بشكل متكرر بسبب سمعة المصنعين. فهم يشترون علناً، الأدوية المحظورة إلا بتصريح من الطبيب تبلغ قيمتها في الوقت الراهن ما يزيد عن ١,٣ مليار جنيه إسترليني. ٣,٣ مليار جنيه إسترليني آخرين يتم استثمارها في تجارة هذه الأدوية. على حين المبيعات الكبرى للمنتجات من شركات مثل the Body Shop تدفعها أيضاً مخاوف بشأن الأثر الذي تحدثه الشركات على المجتمعات والبيئة (كاو وويليامز 2000 Cowe and Williams).

(٩) رغم أن الشاى هو أكبر مصادر العملة الأجنبية- ٦٣,٧ مليار دولار. ارجع إلى الفاو (منظمة الأغذية والزراعة) ٢٠٠٤م،

www.fao.org/es/ESS/toptrade/trade.asp?dir=exp&country=114&ryear=2004

- (١٠) الشركة البريطانية الأمريكية للتبغ في كينيا لم تعد تتمتع باحتكار إمداد أو أن تكون البائع الوحيد للتبغ غير أنها تبقى مهيمنة في كلا السوقين - في الوقت الراهن تمتلك ٥٥٪ من السوق الكينية، وتمتلك شركة سان كوم ٢٥٪ وماستر مايند للتبغ بكينيا تمتلك ٢٠٪. كانت الشركة البريطانية الأمريكية للتبغ في كينيا متورطة بشدة في وضع تشريع في عام ١٩٩٤م يتطلب من المزارعين زراعة التبغ بموجب عقد مع شركة واحدة فقط، ومنع المزارعين من زراعة التبغ "في غير موسمه" بذلك تم الحد من التنافس بين مشترى أوراق التبغ (المعونة المسيحية ٢٠٠٢م).
- (١١) إنتاج المحاصيل والماشية لعام ١٩٩٤م (قواعد زراعة التبغ وتسويقها)، التفاصيل في باتيل وآخرون (Patel et al 2007).
- (١٢) بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٩٥م، شهدت حوالي ٧٤٪ من الدول النامية و ٧٠٪ من الدول المتقدمة زيادة في مشاركة عمالة النساء بالسوق على حين انخفضت نسبة مشاركة الرجال بعدة نقاط مئوية (بيرونز 82: 2004 Perrons).

الفصل السادس

الإرهاب والمخاطر العالمية

(١) رغم أن فوكوياما Fukuyama تصور هذا التباعد العالمي الذي يحدث من خلال عملية التطور الاجتماعي الضرورية، فإن الاعتقاد بأن الديمقراطية الرأسمالية الليبرالية هي في آن واحد النظام الاجتماعي الأكثر فاعلية وفي حالة توفر حرية الاختيار - ما يريده معظم الناس هذا الاعتقاد أكد على التدخلات العسكرية الأخيرة من قبل الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي التي استهدفت إدخال أنظمة سياسية ديمقراطية في أجزاء مختلفة من العالم، خاصة بالطبع في العراق. فشل هذا التدخل في تحقيق هذا الهدف (في وقت كتابة هذا الكتاب) قد أثار شكوكا واسعة النطاق عن إمكانية تحقيق وصواب التدخلات العسكرية - الأمر الذي دفع فوكوياما Fukuyama إلى التخلي عن بعض من آرائه السابقة.

ارجع إلى موقع www.spiegel.de/international/0.1518.407315.00.html حيث يقول بأن أثر الانهيار السريع للشيوعية في عام ١٩٨٩م "يغير التفكير إزاء طبيعة الدكتاتورية... [و] أقام قياساً خاطئاً بين أوروبا الشرقية وما يمكن أن يحدث في الشرق الأوسط".

(٢) أيضاً يُعرف باسم "المحافظون الجدد" أعضاء هذه الجماعة ومنهم دونالد رامسفيلد Donald Rumsfeld وويليام كريستول William Kristol وإليوت أبرامز Elliott Abrams وبول وولفويتس Paul Wolfowitz وجون بولتون John Bolton وريتشارد بيرل Richard Perle نظموا أنفسهم في التسعينيات من القرن العشرين تحت شعار "مشروع القرن الأمريكي" الذي مارس نفوذه من أجل تغيير النظام الحاكم في العراق.

(٣) هؤلاء المناهضون غير المسلمين للهيمنة الأمريكية مثل الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز Hugo Chavez يعتبر جمهورية إيران الإسلامية حليفاً له في النضال العالمي ضد "الإمبريالية".

(٤) استخدم كلمة "تخيلي" بمعنى بنى العالم القوية والمخترفة التي لا تستجيب العناصر "المنطقية" أو "الحقيقية"، وإنما تصبح القاعدة الرمزية التي تحدث عليها الأحداث وبالتالي لها آثار واقعية.

(٥) إن مصطلح "إرهابي" مصطلح غامض وهناك صعوبات معروفة فيما يتعلق بالتفريق بين الإرهاب والتمرد وحرب العصابات وفي الحقيقة أى نوع آخر من أنواع الحروب. فى رأى الإرهاب يعنى استخدام العنف كمشهد يستهدف بشكل رئيسى السكان المدنيين للسعى وراء تحقيق أهداف سياسية أو دينية أو غيرها. إن الكتابات حول الإرهاب كثيرة وهذا الجزء الموجز لا يهدف إلى علاجه، الأمر الذى قد يتطلب كتاباً آخر.

(٦) اعتقد الكثير من المستمعين عند قراءة أورسون ويلز Orson Wells لكتاب هـ. ج. ويلز H.G.Wells بعنوان "حرب العوالم" فى ٣٠ أكتوبر ١٩٣٨م أنها قراءة لنشرة أنباء حقيقية.

(٧) هذا- فى الظاهر- زعم غريب بالنظر إلى المغزى الجوهرى للإيمان الدينى فى الصراعات العالمية الراهنة. ما يبدو أن ما يعنيه بك Beck هو أنه كان هناك افتقاد للإيمان الدينى فى البلاد المتقدمة الغربية (رغم أنه ربما لا يكون هذا هو الحال على الإطلاق فى الولايات المتحدة) وهذا بدوره يؤدى إلى الحاجة إلى ردود فعل جديدة عبر قومية.

(٨) على سبيل المثال انظر فى الموقع الإلكتروني:

www.tiscali.co.uk/travel/guardian/news/2006/10/13/how-tagging-passengers-could-improve-airport-se.html.

(٩) إن الأرقام الصادرة عن المجلس العالمى للسفر والسياحة توضح أن السياحة تقدم ١١٪ من إجمالى الناتج المحلى العالمى وتوفر وظائف لمئتى مليون شخص وتنتقل تقريباً ٧٠٠ مليون مسافر دولى سنوياً- الرقم الذى من المتوقع أن يتضاعف بحلول عام ٢٠٢٠م. السياحة العالمية مسئولة عن ٣٦٪ من التجارة فى الخدمات التجارية فى الاقتصاديات المتقدمة و ٦٦٪ فى الاقتصاديات النامية وتشكل من ٣ إلى ١٠٪ من إجمالى الناتج المحلى فى الاقتصاديات المتقدمة، وما يبلغ حوالى ٤٠٪ فى الاقتصاديات النامية؛ حققت ٤٦٤ مليار دولار أمريكى من خلال الحركة السياحية فى عام ٢٠٠١م، وهى إحدى أعلى خمس مجالات للتصدير فى ٨٣٪ من الدول والمصدر الرئيسى للعملة الأجنبية بنسبة ٣٨٪ من الدول على الأقل. ارجع إلى موقع www.unepctic.org/pc/tourism/library/mapping_tourism.htm

(١٠) تواصل جريدة دوفر إكسبريس The Dover Express قائلة: "لقد استهدف المهاجرون غير الشرعيين والساعين للجوء السياسى والمهربين... وحتالة الأرض وميربى المخدرات حنودنا البحرية الحبية... وتم تركنا فى مواجهة نزح لمياه مجارى بشرية لأمم بلا أموال سائلة للإلقاء بها فى المجارى". (Dover Express 1999)

(١١) يقدر أن حوالى أكثر من ٤٠ مليون شخص مصابون بالإيدز من بينهم ٢٥,٨ مليون يعيشون فى جنوب صحارى إفريقيا على حين فى عام ٢٠٠٦م كان هناك ٢,٤ مليون من بين ٣,١ مليون من الوفيات الناجمة عن الإصابة بالإيدز فى جميع أنحاء العالم. لذا ينتشر الإيدز بشكل أكبر بين أكثر سكان إفريقيا فقراً وإغراقاً فى الديون ويكون له أكثر الآثار المدمرة على المجتمع والاقتصاد. ارجع إلى موقع "الإيدز فى إفريقيا، قضايا عالمية"

www.globalissues.org/Geopolitics/Africa/AIDS.asp.

(١٢) انظر على سبيل المثال مقال "الاعتقال يزيد من الخوف من وجود الإرهاب على الحدود المكسيكية". (الجريدة التجارية لفينيكس ٢٠٠٥م)، الموقع الإلكتروني http://phoenix.bizjournals.com/phoenix/stories/2005/11/21/daily_23.html

البليو جرافيا

- Abu-Lughod, J. L. (1989) *Before European Hegemony: The World System A.D. 1250-1350*, New York: Oxford University Press.
- Akyuz, Y., Flassbeck, H. and Kozul-Wright, R. (2002) *Globalization, Inequality and the Labour Market*, Geneva: UNCTAD, www.britishcouncil.org/netherlands-networks-apeldoorn-young-globalization-inequality-and-the-labour-market.pdf, accessed 30 October 2006.
- Albrow, M. (1997) *The Global Age*, Stanford, CA: Stanford University Press.
- Amin, S. (1990) *Delinking – Towards a Polycentric World*, London: Zed Books.
- Amis, M. (2002) *Koba The Dread – Laughter and the Twenty Million*, London: Jonathan Cape.
- Ananiadis, B. P. (2003) 'Globalization, Welfare and "Social Partnership"', *Global Social Policy* 3, 2: 213-33.
- Araghi, F. A. (1995) 'Global Depeasantization, 1945-1990', *The Sociological Quarterly* 36, 2: 337-68.
- Araghi, F. A. (2000) 'The Great Global Enclosure of our Times', in Magdoff, F., Foster, B. and Buttel F. (eds) *Hungry for Profit: The Agribusiness Threat to Farmers, Food, and the Environment*, New York: Monthly Review Press, pp. 145-59.
- Article 19 (2003) *What's the Story? Results from Research into Media Coverage of Refugees and Asylum in the UK*, www.article19.org/pdfs/publications/refugees-what-s-the-story.pdf, accessed 30 October 2006.
- Asila, J. (2004) 'No Cash in This Crop', *New Internationalist*, July, 369.
- Aye A (2001) 'Astronaut Families: A Review of Their Characteristics', *New Zealand Journal of Psychology* 30, 1: 9-15.
- Babb, S. (2005) 'The Social Consequences of Structural Adjustment: Recent Evidence and Current Debates', *Annual Review of Sociology* 31: 199-222.
- Back, L. (2002a) 'Aryans Reading Adorno: Cyber-culture and Twenty-first Century Racism', *Ethnic and Racial Studies* 25, 4: 628-51.
- Back, L. (2002b) 'New Technologies of Racism', in Goldberg, D. T. and Solomos, J. (eds) *A Companion to Racial and Ethnic Studies*, Oxford: Blackwell, pp. 365-77.

- Back, L. (2002c) 'When Hate Speaks the Language of Love', *Opendemocracy* 20, 25 April.
- Baldwin, P. (1990) *The Politics of Social Solidarity*, Cambridge: Cambridge University Press.
- Balestri, C. (2002) *Racism, Football and the Internet*, Vienna: Study carried out on behalf of the European Monitoring Centre on Xenophobia and Racism (EUMC) by Unione Italiana Sport per Tutti, <http://eumc.europa.eu/eumc/material/pub/football/Football.pdf>, accessed 30 October 2006.
- Barber, B. R. (2003) *Jihad Vs. McWorld: Terrorism's Challenge to Democracy*, New York: Ballantine Books.
- Barbesino, P. (1997) 'Towards a Post-foundational Understanding of Community', *Kybernetes* 26, 6/7: 689–702.
- Bargh, J. A. and McKenna, K. Y. A. (2004) 'The Internet and Social Life', *Annual Review of Psychology* 55: 573–90.
- BAT (British American Tobacco) (2005) *Social Report 2005*, www.bat.com/OneWeb/sites/uk_3mrnfennsf/vwPagesWebLive/C1256E3C003D3339C125715A004FA7D8?opendocument&SID=&DTC=, accessed 30 October 2006.
- Bauman, Z. (1992) 'Blood Soil Identity', *Sociological Review* 40: 675–701.
- Bauman, Z. (1993) *Postmodern Ethics*, Oxford: Blackwell.
- Bauman, Z. (1998a) 'Europe of Strangers', *Transnational Communities Programme WPTC* 98–03, www.transcomm.ox.ac.uk/working%20papers/bauman.pdf, accessed 30 October 2006.
- Bauman, Z. (1998b) 'What Prospects of Morality in Times of Uncertainty', *Theory, Culture and Society* 15, 1: 11–22.
- Bauman, Z. (1999) *Globalization*, Cambridge: Polity.
- Bauman, Z. (2001) *Liquid Modernity*, Oxford: Polity.
- Bauman, Z. (2003) *Liquid Love*, Oxford: Polity.
- Beck, U. (1992) *Risk Society – Towards a New Modernity*, London: Sage.
- Beck, U. (1994) 'The Reinvention of Politics', in Beck, U., Giddens, A. and Lash, S. *Reflexive Modernization – Politics, Tradition and Aesthetics in the Modern Social Order*, Oxford: Polity, pp. 1–55.
- Beck, U. (1998) *World Risk Society*, Cambridge: Polity.
- Beck, U. (2000a) *What is Globalization?* Cambridge: Polity.
- Beck, U. (2000b) 'The Cosmopolitan Perspective: The Sociology of the Second Modernity', *Sociology* 34, 1: 79–106.
- Beck, U. (2001) 'An Interview', *Journal of Consumer Culture* 1, 2: 261–77.
- Beck, U. (2003) 'The Silence of Words: On Terror and War', *Security and Dialogue* 34, 3: 255–67.
- Beck, U. and Beck-Gernsheim, E. (2001) *Individualization: Institutionalized Individualism and its Social and Political Consequences*, London: Sage.
- Beck, U. and Giddens, A. (2005) 'Nationalism Has Now Become the Enemy of Europe's Nations', *The Guardian*, 4 October.
- Beck, U. and Lau C. (2005) 'Second Modernity as a Research Agenda: Theoretical and Explorations in the 'Meta-Change' of Modern Society', *British Journal of Sociology* 56, 4: 526–57.

- Beck, U., Bonss, W. and Lau, C. (2003) 'The Theory of Reflexive Modernization: Problematic, Hypotheses and Research Programme', *Theory, Culture and Society* 20, 2: 1–33.
- Bell, D. (1987) 'The World and the US in 2013', *Daedalus* 116, 3: 1–32.
- Ben-Itto, H. (2005) *The Lie That Wouldn't Die – The Protocols of the Elders of Zion*, London: Vallentine Mitchell.
- Berger, S. and Dore, R. (eds) (1996) *National Diversity and Global Capitalism*, London: Cornell University Press.
- Bergesen, A. J. (2003) 'Is Terrorism Globalizing?', *Protosociology* 18–19: 32–55.
- Bernal, M. (1989 [1991]) *Black Athena*, London: Vintage.
- Billig, M. (1997) *Banal Nationalism*, London: Sage.
- Boden, D. (1994) *The Business of Talk: Organizations in Action*, London: Polity.
- Boden, D. and Friedland, R. (eds) (1994) *NowHere: Space, Time and Modernity*, London: University of California Press.
- Boden, D. and Molotch, H. (1994) 'The Compulsion of Proximity' in Boden, D. and Friedland, R. eds., *Now/Here: Space, Time and Modernity*, pp. 257–86.
- Bourdieu, P. and Wacquant, L. (1999) 'On the Cunning of Imperialist Reason', *Theory Culture and Society* 16, 1: 41–58.
- Boyer, R. (1996) 'The Convergence Hypothesis Revisited: Globalization But Still the Century of Nations?', in Berger, S. and Dore, R. (eds) *National Diversity and Global Capitalism*, London: Cornell University Press, pp. 29–59.
- Breidenbach, J. and Zukrigl, I. (1999) 'The Dynamics of Cultural Globalization: The Myths of Cultural Globalization', *International Cultural Studies*, www.inst.at/studies/collab/breidenb.htm, accessed 30 October 2006.
- Brinkerhoff, D. W. and Goldsmith, A. A. (2002) 'Clientalism, Patrimonialism and Democratic Governance', Abt Associates, USAID.
- Brune, N. and Garrett, G. (2005) 'The Globalization Rorschach Test: International Economic Integration, Inequality and the Role of Government', *Annual Review of Political Science* 8: 399–423.
- Buchholtz, M. B. and Reich, G. (1987) 'Panik, Panikbedarf, Panikverarbeitung. Sozio-psychoanalytische Anmerkungen zu zeitgenössischen Desintegrationsprozessen aus Anlass von Tschernobyl und AIDS', *Psyche* XLI: 610–40.
- Buck-Morss, S. (2003) *Thinking Past Terror: Islamism and Critical Theory on the Left*, London: Verso.
- Business Journal of Phoenix* (2005) 'Arrest adds to Fears of Terrorist Presence on Mexican Border', 22 November, <http://phoenix.bizjournals.com/phoenix/stories/2005/11/21/daily23.html>.
- Caldwell, M. L. (2004) 'Domesticating the French Fry – McDonald's and Consumerism in Moscow', *Journal of Consumer Culture* 4, 1: 5–26.
- Calhoun, C. (1991) 'Indirect Relationships and Imagined Communities: Large-Scale Social Integration and the Transformation of Everyday Life', in Bourdieu, P. and Coleman, J. S. (eds) *Social Theory for a Changing Society*, Boulder, CO: Westview Press and New York: Russell Sage Foundation, pp. 95–120.
- Callon, M. (ed.) (1998) *The Laws of the Markets*, Oxford: Blackwell.

- Carnoy, M. (2000) *Sustaining the New Economy: Work, Family and Community in the Information Age*, New York: Harvard University Press.
- Carr, M. and Chen M. A. (2001) 'Globalization and the Informal Economy: How Global Trade and Investment Impact on the Working Poor', www.wiego.org/papers/carrchenglobalization.pdf, accessed 30 October 2006.
- Castells, M. (1997) *The Power of Identity* Oxford: Blackwell.
- Castells, M. (1999) *Information Technology, Globalization and Social Development* UNRISD Discussion Paper 114, Geneva; [www.unrisd.org/unrisd/website/document.nsf/d2a23ad2d50cb2a280256eb300385855/f270eoco66f3de7780256b67005b728c/\\$FILE/dp114.pdf](http://www.unrisd.org/unrisd/website/document.nsf/d2a23ad2d50cb2a280256eb300385855/f270eoco66f3de7780256b67005b728c/$FILE/dp114.pdf), accessed 30 October 2006.
- Chacha, B. K. (2001) 'From Pastoralists to Tobacco Peasants: The British American Tobacco and Socio-ecological Change in Kuria District Kenya, 1969–1999', <http://archive.idrc.ca/ritc/winner2.pdf>, accessed 30 October 2006.
- Chase-Dunn, C. (1983) 'The Kernel of the Capitalist World Economy – Three Approaches', in Thompson, W. *Contending Approaches to World Systems Analysis*, London: Sage, pp. 55–78.
- Chayanov, A. V. (1986) *On the Theory of the Peasant Economy*, translated by T. Shanin, Manchester: Manchester University Press (first published 1918).
- Chossudovsky, M. (1997) *The Globalisation of Poverty*, London: Zed Press.
- Christian Aid (2004) *Behind the Mask: The Real Face of Corporate Social Responsibility*, www.christian-aid.org.uk/indepth/0401csr/csr_behindthemask.pdf, accessed 30 October 2006.
- Cohen, D. (2006) 'The Global Reverb of China and India,' Business Week Online 9/2/06, www.businessweek.com/investor/content/feb2006/pi20060209469282.htm.
- Cowe, R. and Williams, S. (2000) *Who are the Ethical Consumers?* Cooperative Bank, www.co-operativebank.co.uk/servlet/Satellite?blobcol=urlpdf&blobheader=application%2Fpdf&blobkey=id&blobtable=PDFFile&blobwhere=1082532276181&ssbinary=true, accessed 30 October 2006.
- Craig, J. (2002) 'Caste, Class, and Clientalism: A Political Economy of Everyday Corruption in Rural North India', *Economic Geography* 78, 1: 21–42.
- CRNM (Caribbean Regional Negotiating Machinery) (2005) 'Private Sector Trade Brief' Vol. 2 March, www.crnrm.org/documents/private_sector/Brief2.htm, accessed 30 October 2006.
- Crow, G. (2002) *Social Solidarities: Theories, Identities and Social Change*, Buckingham: Open University Press.
- Currie, C. C. and Ray, L. J. (1984) 'Going Up in Smoke: The Case of British American Tobacco in Kenya', *Social Science and Medicine* 19, 11: 131–9.
- Currie, C. C. and Ray, L. J. (1985) 'Trend Report: Class Formation and the Peasantry', *Sociology* 19, 4: 573–85.
- Currie, C. C. and Ray, L. J. (1986) 'On the Class Location of Contract Farmers in Kenya', *Economy and Society* 15, 4: 445–75.
- Davis, M. (2001) 'The Flames of New York', *New Left Review* 12, Nov–Dec, pp. 34–50.
- Davis, M. (2004) 'Planet Of Slums', *New Left Review* 26, March–April, pp. 5–34.

- Davis, W. (2004) *You Don't Know Me, But Social Capital & Social Software*, The Work Foundation, www.theworkfoundation.com/Assets/PDFs/you_dontknowme.pdf, accessed 30 October 2006.
- De Atkine, N (1999) 'Why Arabs Lose Wars', *Middle East Quarterly*, VI, 4: 17–27.
- De Haan, L. and Zoomers, A. (2003) 'Development Geography at the Crossroads of Livelihood and Globalization', *Journal of Economic and Social Geography* 94, 3: 350–62.
- DiMaggio, P., Hargittai, E., Neuman, W. R. and Robinson, J. P. (2001) 'Social Implications of the Internet', *Annual Review of Sociology* 27: 307–36.
- Dollar, D. and Kraay, A. (2001) *Trade, Growth and Poverty*, World Bank Policy Research Working Paper No. 2615.
- Donnan, H. and Wilson, T. M. (1999) *Borders: Frontiers of Identity, Nation and State*, Oxford: Berg.
- Doogan, K. (2005) 'Long-term Employment and the Restructuring of the Labour Market in Europe', *Time and Society* 14, 1: 65–87.
- Dore, R. (1996) 'Convergence in Whose Interest?', in Berger, S. and Dore, R. (eds) *National Diversity and Global Capitalism*, London: Cornell University Press, pp. 366–74.
- Durkheim, E. (1969) 'Individualism and the Intellectuals', *Political Studies* 17: 14–30.
- Durkheim, E. (1984) *The Division of Labour in Society*, translated by Wilfred Douglas Halls, London: Macmillan.
- Durkheim, E. and Mauss, M. (1971) 'Note on the Notion of Civilization', *Social Research* 38, 4: 808–13.
- Eade, J. and O'Byrne, D. (eds) (2005) *Global Ethics and Civil Society*, Aldershot: Ashgate.
- Eisenstadt, S. N. (1973) *Tradition, Change and Modernity*, London: John Wiley.
- Eisenstadt, S. N. (ed.) (1987) *Patterns of Modernity*, London: Pinter.
- Elliott, A. (2003) *Critical Visions – New Directions in Social Theory*, Oxford: Rowman and Littlefield.
- Farmer, P. (1996) 'Social Inequalities and Emerging Infectious Diseases', *Emerging Infectious Diseases* 2, 4: 259–69.
- Featherstone M. and Lash S. (1995) 'Introduction', in Featherstone, M., Lash, S. and Robertson, R. (eds) *Global Modernities*, London: Sage.
- Figstein, N. (2001) *Architecture of Markets*, Princeton, NJ: Princeton University Press.
- Financial Services Authority (2000) *In or Out? Financial Exclusion: A Literature and Research Review*, London: FSA.
- Food and Agriculture Organization of the UN (2004) 'Key Statistics on Kenya', www.fao.org/es/ESS/toptrade/trade.asp?dir=exp&country=114&year=2004
- Foresight (2002) *Britain Towards 2010*, www.foresight.gov.uk/Previous_Rounds/foresight_1999_2002/Financial_Services/Reports/Britain_Towards_2010
- Foucault, M. (1977) *Discipline and Punish: the Birth of the Prison*, London: Allen Lane.
- Friedman, T. (2000) *The Lexus and the Olive Tree*, New York: Anchor Books.
- Fukuyama, F. (1992) *The End of History and the Last Man*, London: Hamish Hamilton.
- Fulcher, J. (2000) 'Globalisation, the Nation-state and Global Society', *The Sociological Review* 48, 4: 522–43.

- Gadamer, H. (1975) *Truth and Method*, New York: Seabury Press.
- Gallagher, S. (2004) 'The Personal Is Political. Now What? Privacy, Publicity, and Gender in American Politics', <http://faculty.uml.edu/sgallagher/personalispolitical.htm>, accessed 30 October 2006.
- Garmadi, F. (2001) 'Économie solidaire une troisième voie', www.local.attac.org/attac86/Telechargements/Economie_solidaire.PDF, accessed 30 October 2006.
- Garrett, G. (1992) 'International Cooperation and Institutional Choice: The European Community's Internal Market', *International Organization* 46: 533–58.
- Garrett, G. (2001) 'Globalization and Government Spending Around the World', *Studies in Comparative International Development* 35,4: 3–29.
- Gergen, K. (1991) *Saturated Self*, New York: Basic Books.
- Gertler, M. S. (2003) 'Tacit Knowledge and the Economic Geography of Context, or The Indefinable Tacitness of Being (There)', *Journal of Economic Geography* 3: 75–99.
- Gibney, M. J. (2001) *Outside the Protection of the Law: The Situation of Irregular Migrants in Europe*, Refugee Studies Centre Working Paper No. 6, www.rsc.ox.ac.uk/PDFs/workingpaper6.pdf, accessed 30 October 2006.
- Giddens, A. (1984) *The Constitution of Society*, Berkeley, CA: University of California Press.
- Giddens, A. (1990) *Consequences of Modernity*, Cambridge: Polity.
- Giddens, A. (1992) *The Transformation of Intimacy*, Cambridge: Polity.
- Giddens, A. (1994a) 'Living in a Post-Traditional Society', in Beck, U., Giddens, A. and Lash, S. *Reflexive Modernization: Politics, Tradition and Aesthetics in the Modern Social Order*, Oxford: Polity, pp. 56–109.
- Giddens, A. (1994b) 'Foreword', in Boden and Friedland (1994) *NowHere: Space, Time and Modernity*.
- Giddens, A. (1997) *Sociology*, Cambridge: Polity.
- Giddens, A. (1999) *Runaway World*, Cambridge: Polity.
- Giddens, A. (ed.) (2001) *The Global Third Way Debate*, Cambridge: Polity.
- Gilpin, R. (1987) *The Political Economy of International Relations*, Princeton, NJ: Princeton University Press.
- Gilpin, R. (2000) *The Challenge of Global Capitalism: The World Economy in the 21st Century*, Princeton: Princeton University Press.
- Giroux, H. A. (2005) 'The Terror of Neoliberalism: Rethinking the Significance of Cultural Politics', *College Literature* 32, 1, Winter.
- Glasius, M. and Kaldor M. (2002) 'The State of Global Civil Society', in Anheier, H., Glasius, M. and Kaldor, M. (eds) *Global Civil Society 2001*, Oxford: Oxford University Press.
- Glasser, J., Dixit, J. and Green, D. P. (2002) 'Studying Hate Crime with the Internet: What Makes Racists Advocate Racial Violence?', *Journal of Social Issues* 58, 1: 177–93.
- Glover S., Gott, C., Loizillon, A., Portes, J., Price, R., Spencer, S., Srinivasan, V. and Willis, C. (2001) *Migration: An Economic and Social Analysis*, RDS Occasional Paper No. 67, London: Home Office.

- Goff, P. M. (2000) 'Invisible Borders: Economic Liberalism and National Identity', *International Studies Quarterly* 44, 4: 533–62.
- Goffman, E. (1983) 'The Interaction Order', *American Sociological Review* 48: 1–17.
- Gordon, P. H. (2004) 'Globalization: Europe's Wary Balance', *Yale Global Online*, <http://yaleglobal.yale.edu/article.print?id=4790>, accessed 30 October 2006.
- Granovetter, M. (1992) 'Economic Action and Social Structure: The Problem of Embeddedness', in Granovetter, M. and Swedberg R. (eds) *The Sociology of Economic Life*. Boulder, CO: Westview Press, pp. 53–84.
- Gruen, D. and O'Brien, T. (2001–02) 'Introduction', in Gruen, D. and O'Brien, T. (eds) *Globalization, Living Standards and Inequality: Recent Progress and Continuing Challenges*, Royal Bank of Australia Annual Conference Volume, Canberra: Royal Bank of Australia, pp. 1–8, www.rba.gov.au/publications/andresearch/conferences/2002/introduction.pdf.
- Guéhenno, J.-M. (1996) *The End of the Nation-State*, translated by Victoria Elliott, Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.
- Guillén, M. F. (2001) 'Is Globalization Civilizing, Destructive or Feeble? A Critique of Five Key Debates in the Social-Science Literature', *Annual Review of Sociology* 27: 235–60.
- Haase, A. Q., Wellman, B., Witte, J. and Hampton, K. (2002) 'Capitalizing on the Internet – Social Contact, Civic Engagement, and Sense of Community', in Wellman, B. and Haythornwaite, C. (eds) *The Internet and Everyday Life*, Oxford: Blackwell.
- Habermas, J. (1989) *The Theory of Communicative Action, Lifeworld and System: A Critique of Functionalism: Reason*, Vol. 2, Cambridge: Polity.
- Habermas, J. (1994) *The Past as Future*, Cambridge: Polity.
- Habermas, J. (1996) *Between Facts and Norms Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy*, Cambridge: Polity.
- Habermas, J. (2001) *The Postnational Condition*, Cambridge: Polity.
- Hale, D. (2005) 'How Marginal is Africa?', *Resource Investor*, 25 February, www.resourceinvestor.com/pebble.asp?relid=8425, accessed 30 October 2006.
- Hampton, K. N. and Wellman, B. (2002) 'Neighboring in Netville: How the Internet Supports Community and Social Capital in a Wired Suburb', *City and Community* 1, 4: 277–311.
- Hannerz, U. (1990) 'Cosmopolitans and Locals in World Culture', in Featherstone, M. (ed.) *Global Culture*, issued as *Theory, Culture & Society* 7, 2–3.
- Hannerz, U. (1996) *Transnational Connections*, London: Routledge Comedia.
- Hardey, M. (2002) 'Life Beyond the Screen: Embodiment and Identity Through the Internet', *Sociological Review* 50, 4: 570–85.
- Hardey, M. (2004) 'Mediated Relationships: Authenticity and the possibility of romance', *Information, Communication and Society* 7, 2: 207–22.
- Hardt, M. and Negri, A. (2000) *Empire*, London: Harvard University Press.
- Harvey, D. (1994) *The Condition of Postmodernity*, Cambridge, MA: Blackwell.
- Hayles, N. K. (1999) *How We Became Posthuman: Virtual Bodies in Cybernetics, Literature and Informatics*, London: University of Chicago Press.

- Hayward, C. (2004) 'Constitutional Patriotism and Its Others', Paper to 2004 Annual Meeting of the American Political Science Association, Chicago, IL, 2–5 September, http://psweb.sbs.ohio-state.edu/intranet/poltheory/Constitutional_Patriotism.pdf, accessed 30 October 2006.
- Held, D. (2002) 'Violence, Law and Justice in a Global Age', OpenDemocracy.net www.ssrc.org/sept11/essays/held_text_only.htm.
- Held, D. and McGrew A. (eds) (2000) *The Global Transformation Reader: an Introduction to the Globalization Debate*, Cambridge: Polity.
- Held, D., McGrew, A., Goldblatt, D. and Perraton, J. (2000) *Global Transformation*, Cambridge: Polity.
- Hertz, N. (2001) *Silent Takeover*, London: Heinemann.
- Hertzberg, H. (2001), 'Tuesday, And After', *The New Yorker*, 24 September.
- Herrera-Lima, F. (2001) 'Transnational Families: Institutions of Transnational Social Spaces', in Pries, L. (ed.) *New Transnational Social Spaces: International Migration and Transnational Companies in the Early 21st Century*, New York: Routledge, pp. 77–92.
- Hess, M. (2004) 'Spatial Relationships? Towards a Reconceptualization of Embeddedness', *Progress in Human Geography* 28, 2: 165–86.
- Hewitt, C. (2002) *Understanding Terrorism in America*, London: Routledge.
- Hirst, P. and Thompson, G. (1996) *Globalization in Question*, Oxford: Blackwell.
- Ho, E. S. and Farmer, R. (2004) 'The Hong Kong Chinese in Auckland', in Skeldon, R. (ed.) *Reluctant Exiles: Migration from Hong Kong and the New Overseas Chinese*, London: Sharpe.
- Hobbes, T. (1994) *Leviathan*, London: Everyman (first published 1660).
- Holmes, S. (2001) 'Introduction to "From Postcommunism to Post-September 11"', *East European Constitutional Review*, Winter, pp. 78–81.
- Holmwood, J. (2000) 'Three Pillars of Welfare State Theory: T. H. Marshall, Karl Polanyi and Alva Myrdal in Defence of the National Welfare State', *European Journal of Social Theory* 3, 1: 23–50.
- Hooghe, L. (2003) 'Globalization and the European Union: Shared Governance on a Regional Scale', in Lazar, H. and Telford, H. (eds) *The Impact of Globalization on Federal Systems*, Montreal: McGill University Press.
- Hornsby, A. (1998) 'Surfing the Net for Community: A Durkheimian Analysis of Electronic Gatherings', in Kivisto, P. (ed.) *Illuminating Social Life*, London: Pine Forge Press, pp. 63–106.
- Houlton, R. (2005) *Making Globalization*, Basingstoke: Palgrave.
- Houston, D. A. (2003) 'Can the Internet Promote Open Global Societies?', *Independent Review* 7, 3: 353–69.
- Huber, E. and Stephens, J. D. (2001) *Political Choice in Global Markets: Development and Crisis of Advanced Welfare States*, Chicago, IL: Chicago University Press.
- Hudson, R. (1999) *Who Becomes a Terrorist and Why: the 1999 Government Report on Profiling Terrorists*, Guilford: Lyons Press.
- Human Rights Watch (2003) 'Dubai: Migrant Workers at Risk', <http://hrw.org/english/docs/2003/09/19/uae6388.htm>, accessed 30 October 2006.

- Huntington, S. (1999) *Clash of Civilizations and the Remaking of World Order*, London: Touchstone.
- ILO (International Labour Organization) (2003) *Global Employment Trends Model*, Geneva: ILO.
- International Telecommunications Union (2000) *Yearbook of Statistics*, Geneva: ITU.
- Ireland, D. (2005) 'A Political Revolt in France: What Rejection of the European Constitution Means', *Spectrezone*, www.spectrezone.org/europe/FrenchNo.htm, accessed 30 October 2006.
- Jacobs, D. (1998) 'Discourse, Politics and Policy: The Dutch Parliamentary Debate About Voting Rights for Foreign Residents', *International Migration Review* 32: 350–73.
- Jacoby, T. (1999) 'The African American Absence in High Tech', *New Republic*, 29 March.
- James, H. (2002) *The End of Globalization: Lessons from the Great Depression*, Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Jenson, J. (1998) *Mapping Social Cohesion: The State of Canadian Research*, Canadian Policy Research Networks Study No. F/03, Ottawa: Canadian Policy Network.
- Jessop, B. (2000) 'The Crisis of the National Spatio-Temporal Fix and the Ecological Dominance of Globalizing Capitalism', *International Journal of Urban and Regional Studies* 24: 273–310.
- Johnson, C. (2000) *Blowback: the Costs and Consequences of American Empire*, New York: Henry Holt and Company.
- Kapralski, S. (2001) 'Battlefields of Memory: Landscape and Identity in Polish-Jewish Relations', *History and Memory* 13: 35–58.
- Kariuki, J. (2000) 'Tobacco Cultivation Threatens Food Security in Kenya', *Panos Features*, <http://lists.essential.org/intl-tobacco/mesgoo111.html>, accessed 30 October 2006.
- Katz, J. E., Rice, R. E. and Aspden, P. (2001) 'The Internet, 1995–2000: Access, Civic Involvement, and Social Interaction', *American Behavioral Scientist* 45, 3: 405–19.
- Kellner, D. (2002) 'September 11, Social Theory and Democratic Politics', *Theory, Culture and Society* 19, 4: 147–59.
- Kellner, D. (2003) 'Theorizing September 11: Social Theory, History, and Globalization', www.gseis.ucla.edu/faculty/kellner/essays/theorizingsept11essay.pdf.
- Kennedy, P. (2002) 'Transnationalism in a Global Age', in Kennedy, P. and Roudometof, V. (eds) *Communities Across Borders: New Immigrants and Transnational Cultures*, London: Routledge, pp. 1–26.
- Kennedy, P. and Roudometof, V. (2001) 'Communities Across Borders under Globalising Conditions: New Immigrants and Transnational Cultures', Transnational Communities Programme WPTC-01–17, www.transcomm.ox.ac.uk/working%20papers/WPTC-01–17%20Kennedy.pdf.
- Keohane, R. O. and Nye, J. S. (2000) 'Globalization: What's New? What's Not? (And So What?)', *Foreign Policy* 118 (Spring issue): 104–19.

- Keser, C., Leyland J., Shachat, J. and Huang, H. (2002) *Trust, the Internet, and the Digital Divide*, IBM Res. Rep. RC22511, New York: Yorktown Heights.
- Klein, E. (2001) *The Battle for Auschwitz: Catholic-Jewish Relations under Strain*, London: Vallentine Mitchell.
- Kobrin, S. (1998) 'Back to the Future: Neomedievalism and the Postmodern Digital World Economy', *Journal of International Affairs* 51, 2: 362–86.
- Kobrin, S. (2003) 'Sovereignty@Bay: Globalization, Multinational Enterprise, and the International Political System', in Rugman, A. and Brewer, T. L. *The Oxford Handbook of International Business*, Oxford: Oxford University Press, Chapter 7.
- Kobrin, S. (2005) 'The End of Globalization?' *American Institute for Contemporary German Studies*, www.aicgs.org/analysis/911/kobrin/asp.
- Kodhek, G. A and Maina, W. (2000) 'Reassessing Kenya's Land Reform', *The Point*, Bulletin of the Institute of Economic Affairs, Nairobi 40: 1–8.
- Köhler, B. and Wissen, M. (2003) 'Glocalizing Protest: Urban Conflicts and Global Social Movements', *International Journal of Urban and Regional Research* 27, 4: 942–51.
- Konnander, V. (2006) 'Russkoe Bistro vs. McDonald's', <http://vilhelmkonnander.blogspot.com/2006/07/russkoe-bistro-vs-mcdonalds.html>.
- Krasner, S. D. (2001) 'Globalization, Power and Authority', paper to the American Political Science Association meeting, San Francisco 29 August to 2 September.
- Kraut, R., Patterson, M., Lundmark, V., Kiesler, S., Mukophadhyay, T. and Scherlis, W. (1998) 'Internet Paradox: A Social Technology that Reduces Social Involvement and Psychological Well-being', *American Psychologist* 53, 9: 1017–31.
- Kumm, M. (2005) 'Thick Constitutional Patriotism and Political Liberalism: On the Role and Structure of European Legal History', *German Law Journal* 6, 2: 319–54.
- Kusma, M. K. (2002) 'Negotiating Intimacies in a Globalized Space: Identity and Cohesion in Young Oromo Refugee Women', *Affilia* 17, 4: 471–96.
- Kweyuh, P. (1998) 'Does Tobacco Growing Pay? The Case of Kenya', in Abedian, I., van der Merwe, R., Wilkins N. and Jha, P. (eds) *The Economics of Tobacco Control: Towards an Optimal Policy Mix*, Rondebosch: University of Cape Town Press, pp. 245–50.
- Kymlicka, W. and Norman, W. (1995) 'Return of the Citizen: A Survey of Recent Work on Citizenship Theory', in Beiner, R. (ed.) *Theorizing Citizenship*, New York: SUNY Press, pp. 283–322.
- Landolt, P. and Da, W. W. (2005) 'The Spatially Ruptured Practices of Migrant Families: A Comparison of Immigrants from El Salvador and the People's Republic of China', *Current Sociology* 53, 4: 625–53.
- Law, J. (1994) *Organizing Modernity*, Oxford: Blackwell.
- Lawrence, F. (2004) 'The 19 Dead Cockle-Pickers were Victims of Modern Business Practices', *The Guardian*, 9 February.

- Lechner, F. (2000–2) 'The Globalization Website', www.sociology.emory.edu/globalization/theories03.html.
- Lee, H. (2005) 'Behavioral Strategies for Dealing with Flaming in an Online Forum', *The Sociological Quarterly* 46, 2: 385–403.
- Legrain, P. (2002) *Open World: The Truth About Globalization*, London: Abacus.
- Levy, D. and Sznajder, N. (2002) 'Memory Unbound – The Holocaust and the Formation of Cosmopolitan Memory', *European Journal of Social Theory* 5, 1: 87–106.
- Ley, D. (2004) 'Transnational Spaces and Everyday Lives', *Transactions of the Institute of British Geographers* 29, 2: 151–64.
- Leys, C. (2001) *Market-Driven Politics: Neoliberal Democracy and the Public Interest*, London: Verso.
- Leyshon, A., French, S., Thrift, N., Crew, L. and Webb, P. (2005) 'Accounting for E-commerce: Abstractions, Virtualism and the Cultural Circuit of Capital', *Economy and Society* 34, 3: 428–50.
- Lipietz, A. (2000) 'L'économie solidaire: "reminiscence" de l'économie sociale?', Presentation to an International Colloquium on Michel-Marie Derrion, 8 June 2000, <http://lipietz.net/spip.php?article191>.
- Luckmann, T. (1996) 'Some Problems of Pluralism in Modern Societies', <http://stud.unisg.ch/~cems/review/luckmann.html>.
- Luhmann, N. (1982) *The Differentiation of Society*, New York: Colombia University Press.
- Luhmann, N. (1992) *Risk: A Sociological Theory*, Berlin: de Gruyter.
- Luke, R. W. (2002) 'Bring Back Big Government', *International Journal of Urban and Regional Research* 26, 4: 815–22.
- Lukes, S. (1973) *Emile Durkheim: His Life and Work*, Harmondsworth: Penguin.
- Luo, Y. (1997) 'Guanxi: Principles, Philosophies and Implications', *Human Systems Management* 16, 1: 45–52.
- McGann, J. and Johnstone, M. (2005) 'The Power Shift and the NGO Credibility Crisis', *Brown Journal of World Affairs*, Winter/Spring, www.globalpolicy.org/ngos/credib/2006/01shift.htm.
- McGrew, A. (2004) 'Power Shift: From National Government to Global Governance?', in Held, D. (ed.) *A Globalizing World? Culture, Economics, Politics*, London: Routledge and Open University.
- McKenna, K. Y. A., Green, A. S. and Gleason, M. E. J. (2002) 'TI Relationship formation on the Internet: What's the Big Attraction?', *Journal of Social Issues* 58, 1: 9–31.
- McLuhan, M. (1992) *The Global Village: Transformations in World Life and Media in the 21st Century*, Oxford: Oxford University Press.
- Mandalios, J. (1996) 'Historical Sociology', in Turner, B. S. (ed.) *The Blackwell Companion to Social Theory*, Oxford: Blackwell, pp. 278–306.
- Marx, K. (1963–8) *Theories of Surplus Value II*, Moscow: Lawrence & Wishart.
- Marx, K. (1976) *Capital: A Critique of Political Economy*, vol. 1, Moscow: Progress Publishers.

- Marx, K. (1977) *Karl Marx: Selected Writings*, edited by David McLellan, Oxford: Oxford University Press.
- Marx, K. and Engels, F. (1967) *Manifesto of the Communist Party*, Moscow: Progress Publishers.
- Mattsson, H. (2003) 'Demystifying Tacit Knowledge: Fine-Tuning the Instruments of Economic Geography', paper to the DRUID Summer Conference on Creating, Sharing and Transferring Knowledge, 12–14 June 2003, Copenhagen, www.druid.dk/uploads/tx_pictured/ds2003-834.pdf.
- Melucci, A. (1984) *Nomads of the Present*, Philadelphia, PA: Temple University Press.
- Meinell, S. (1995) 'Civilisation and Decivilisation, Civil Society and Violence', *Irish Journal of Sociology* 5: 1–21.
- Merton, R. K. (1957) *Social Theory and Social Structure*, Glencoe, IL: Free Press.
- Meyrowitz, J. (1985) *No Sense of Place: The Impact of Electronic Media on Social Behavior*, Oxford: Oxford University Press.
- Michael, B. (2003) 'Theorising the Politics of Globalization: A Critique of Held et al.'s "Transformationalism"', *Journal of Economic and Social Research* 5, 1: 3–17.
- Mills, M. B. (2003) 'Gender Inequality in the Global Labor Force', *Annual Review of Sociology* 32: 41–62.
- Misztal, B. (2000) *Informality*, London: Routledge.
- Misztal, B. (2003) *Theories of Social Remembering*, Maidenhead: Open University Press.
- Mitchell, D. (2000) 'Globalization and Social Cohesion: Risks and Responsibilities', The Year 2000 International Research Conference on Social Security, Helsinki 25–27 September, www.issa.int/pdf/helsinki2000/topic/zmitchell.pdf.
- Moore, B. (1969) *Social Origins of Dictatorship and Democracy*, London: Penguin.
- Moore, G. E. (1965) 'Cramming more components onto integrated circuits', *Electronics* 38, 8.
- Morin, E. (2002) 'European Civilization: Properties and Challenges', in Mozaffari, M. (ed.) *Globalization and Civilizations*, London: Routledge, pp. 125–50.
- Morris, J. (2004) 'The Future of Work: Organizational and International Perspectives', *International Journal of Human Resource Management* 15, 2: 263–75.
- Morse, M. (1998) *Virtualities*, TV Media Art, Bloomington, IN: Indiana University Press.
- Nelson, B. (1973) 'Civilizational Complexes and Intercivilizational Encounters', *Sociological Analysis* 34, 2: 79–105.
- Nie, N. H. and Erbring, L. (2000) 'Internet and Society: A Preliminary Report', *IT & Society* 1, 1: 275–83.
- Norris, P. (2001) *Digital Divide: Civic Engagement, Information Poverty, and the Internet Worldwide*, Cambridge: Cambridge University Press.
- Obokata, T. (2001) '"Trafficking" and "Smuggling" of Human Beings in Europe: Protection of Individual Rights or States' Interests?', *Web Journal of Current Legal Issues* 5, <http://webjcli.ncl.ac.uk/2001/issue5/obok5.html>.
- OECD (Organisation for Economic Co-operation and Development) (1997) *Societal Cohesion and the Globalizing Economy* Paris: OECD.

- Ogara, E. A. A. and Ojode, L. A. (2003) *Framework on Tobacco Control Readiness: Kenyan Tobacco Farmers and Leaf Suppliers*, Bloomington, IN: University of Indiana.
- Ohmae, K. (1994) *The Borderless World: Power and Strategy in the Interlinked Economy*, London: HarperCollins.
- Ohmae, K. (2000) *The Invisible Continent: Four Strategic Imperatives of the New Economy*, London: Nicholas Brealey.
- Okin, A. (1991) *Prices and Qualities*, Washington, DC: Brookings Institution Press.
- Ong'wen, O. (2006) 'Externalization of Third World Resources' *The African Executive* <http://www.africanexecutive.com/modules/magazines/articles.php?articles864>.
- O'Rourke, K. and Williamson, J. (2001) *Globalization and History: The Evolution of a Nineteenth-Century Atlantic Economy*, Cambridge, MA: MIT Press.
- Outhwaite, W. and Ray, L. J. (2005) *Social Theory and Postcommunism*, Oxford: Blackwell.
- Oxfam (2002) *Rigged Rules and Double Standards: Trade, Globalisation and the Fight Against Poverty*, www.maketrade-fair.com/assets/english/report_english.pdf, accessed 30 October 2006.
- Oxfam (2004) *Stitched Up – How Rich Country Protectionism in Textiles and Clothing Prevents Poverty Alleviation* [www.oxfam.org.uk/what we do/issues/trades/downloads/bp60textiles.pdf](http://www.oxfam.org.uk/what%20we%20do/issues/trades/downloads/bp60textiles.pdf).
- Pahl, J. (1999) *Invisible Money*, Bristol: The Policy Press JRF.
- Papastergiadis, N. (2000) *The Turbulence of Migration*, Oxford: Polity.
- Parks, S. and Floyd, K. (1996) 'Making Friends in Cyberspace', *Journal of Communication* 46, 1: 80–97.
- Parsons, T. (1979) 'The American Societal Community', *Parsons Papers* Harvard University Archives HUG (FP) 42.45.2.
- Patai, R. (1976) *The Arab Mind*, New York: Charles Scribner's Sons.
- Patel P., Collin J. and Gilmore A. (2007) "'The Law was Actually Drafted by us but the Government is to be Congratulated on its Wise Actions': British American Tobacco and Public Policy in Kenya', *The Journal Tobacco Control*, in press.
- People's Daily Online (2005) 'China Shuts 50,000 Illegal Internet Cafes' 27 February, http://english.peopledaily.com.cn/200502/25/eng20050225_174750.html.
- Perrons, D. (2004) *Globalization and Social Change*, London: Routledge.
- Petrus J. and Veltmeyer H. (2001) *Globalization Unmasked: Imperialism in the 21st Century*, London: Zed Books.
- Pew/Internet (2004) *The Internet and Daily Life* by Fallows, D., Pew Internet and American Life Project, www.pewinternet.org/pdfs/PIP_Internet_and_Daily_Life.pdf, accessed 30 October 2006.
- Pierson, C. (1998) *Beyond the Welfare State?* Cambridge: Polity.
- Pieterse, N. (2004) *Globalization or Empire?* London: Routledge.
- Pinto, D. (1996) 'A New Jewish Identity for Post-1989 Europe', Jewish Policy Research paper, No. 1, www.jpr.org.uk/Reports/CS_Reports/PP_no_1_1996/index.htm, accessed 30 October 2006.

- Plan – Commissariat Général du Plan (1997) *Cohésion sociale et territoires*, Paris: La Documentation Française.
- Polanyi, M. (1967) *The Tacit Dimension*, London: Routledge Kegan Paul.
- Portes, A. (1997) 'Globalization from Below: The Rise of Transnational Communities', Transnational Communities Programme Working Paper 98-01, www.transcomm.ox.ac.uk/working%20papers/portes.pdf, accessed 30 October 2006.
- Poster, M. (1995) *The Second Media Age*, Oxford: Blackwell.
- Poster, M. (2001) *What's the Matter with the Internet?* Minneapolis, MN: Minnesota Press.
- Preece, J. (2004) 'Etiquette and Trust Drive Online Communities of Practice', *Journal of Universal Computer Science* 10, 3: 294-302.
- Quah, D. T. (1996) *The Invisible Hand and the Weightless Economy*, London: London School of Economics and Political Science, Centre for Economic Performance, Occasional papers No. 12.
- Quah, D. (2002) 'The Weightless Economy', <http://econ.lse.ac.uk/staff/dquah/tweir10.html>.
- Radice, H. (2000) 'Responses to Globalisation: A Critique of Progressive Nationalism', *New Political Economy* 5, 1.
- Rawls, A. W. (2002) 'Editor's Introduction', in Garfinkel, H. *Ethnomethodology's Program*, Oxford: Rowman & Littlefield, pp. 1-64.
- Ray, L. J. (1993) *Rethinking Critical Theory – Emancipation in an Age of Global Social Movements*, London: Sage.
- Ray, L. J. (1996) *Social Theory and the Crisis of State Socialism*, Cheltenham: Edward Elgar.
- Ray, L. J. (1999a) "'Fundamentalism", Modernity and the New Jacobins', *Economy and Society* 28, 2: 198-221.
- Ray, L. J. (1999b) *Theorizing Classical Sociology*, Buckingham: Open University Press.
- Ray, L. J. (2002) 'Crossing Borders? Sociology, Globalization and Immobility', *Sociological Research Online* 7, 3, www.socresonline.org.uk/7/3/ray.html, accessed 30 October 2006.
- Ray, L. J. (2003) 'Pragmatism and Critical Theory', *European Journal of Social Theory* 7, 3: 307-21.
- Ray, L. and Smith, D. (2004) 'Racist Offending, Policing and Community Conflict', *Sociology* 38, 4: 681-700.
- Reimer, S. (2006) 'Everyday Life Protects and Heals after Tragedies such as Sept. 11', *Baltimore Sun*, 12 September.
- Remmler, K. (1997) 'Memorial Spaces and Jewish Identities in Post-Wall Berlin', in Peck, J. (ed.) *German Cultures Foreign Cultures: The Politics of Belonging*, American Institute for Contemporary German Studies Research Report no. 8, Johns Hopkins University, pp. 41-54.
- Rheingold, H. (2000) *The Virtual Community*, Cambridge, MA: MIT Press.
- Rimmer, L. and Willmore, I. (2004) *BAT's Big Wheeze The Alternative British American Tobacco Social and Environmental Report*, www.foe.co.uk/resource/reports/bats_big_wheeze.pdf, accessed 30 October 2006.
- Ritzer, G. (2003) *Globalization of Nothing*, London: Pine Forge Press.

- Rivera-Batiz, F. (1999) 'Undocumented Workers in the Labor Market', *Journal of Population Economics* 1: 91–116.
- Robertson, R. (1992) *Globalization*, London: Sage.
- Rosenberg, J. (2000) *The Follies of Globalisation Theory: Polemical Essays*, London: Verso.
- Rosenberg, J. (2005) 'Globalization Theory: A Post Mortem', *International Politics* 42: 2–74.
- Rycroft, T. (2002) 'Technology-Based Globalization Indicators: the Centrality of Innovation Network Data', Occasional Paper, GW Center for the Study of Globalization www.gwu.edu/~cistp/research/Tech-BasedGlobIndic_RWR_10.7.02.pdf, accessed 30 October 2006.
- Sahlins, M. (2001) *Culture in Practice: Selected Essays*, New York: Zone Books.
- Said, E. (2001) 'The Clash of Ignorances', *The Nation*, 22 October.
- Salt, J. (2000) 'Trafficking and Human Smuggling: A European Perspective', in Appleyard, R. and Salt, J. (eds) *Perspectives on Trafficking of Migrants*, Geneva: IOM and OIM, pp. 31–55.
- Sandholtz, W. and Zysman, J. (1989) '1992: Recasting the European Bargain', *World Politics* 42: 95–128.
- San Francisco Chronicle* (Tom Abate) (2005) 'The Economy: Struggling to Recover from Dot-com Collapse', 6 May.
- Sassen, S. (1996a) 'Cities and Communities in the Global Economy – Rethinking our Concepts', *American Behavioral Scientist* 39, 5: 629–39.
- Sassen, S. (1996b) *Losing Control? Sovereignty in an Age of Globalization*, New York: Colombia University Press.
- Sassen, S. (1998) *Globalization and its Discontents*, New York: New Press.
- Saul, J. R. (2004) *The Collapse of Globalism: And the Reinvention of the World*, New York: Overlook Hardcover.
- Scharpf, F. (1993) 'The Viability of Advanced Welfare States in the International Economy: Vulnerabilities and Options', Max Planck Institut Paper 99/9.
- Scheff, T. J. and Retzinger, S. M. (1991) *Emotions and Violence: Shame-rage in Destructive Conflicts*, New York: Lexington.
- Schisla, R. and Berenstein, D. (2002) *Mapping Jewish Culture in Europe Today: A Pilot Project*, London: Jewish Policy Research Report no. 3, www.jpr.org.uk/reports/jc_reports/no_3_2002/main.htm.
- Scholte, J. A. (2002) 'What is Globalization? The Definitional Issue – Again', CSGR Working Paper No. 109/02, www2.warwick.ac.uk/fac/soc/csgr/research/workingpapers/2002/wp10902.pdf, accessed 30 October 2006.
- Scholte, J. A. (2005) *Globalization: A Critical Introduction*, second edition, Basingstoke: Palgrave Macmillan.
- Schutz, A. and Luckmann, T. (1974) *Structure of the Lifeworld*, London: Heinemann.
- Sciortino, G. (2000) 'State Policies Toward Sans-Papiers', in Ruspini, P. (ed.) *Easy Scapegoats: Sans-Papiers Immigrants in Italy*, report prepared for the European project 'Easy Scapegoats: Sans-Papiers Immigrants in Europe', Weinheim, Germany: Freudenberg Stiftung.
- Seabrook, J. (1997) *Deeper*, New York: Simon & Schuster.

- Seremetakis, C. N. (1996) 'In Search of the Barbarians', *American Anthropology* 98, 3: 489–91.
- Shane, S. (1995) *Dismantling Utopia – How Information Ended the Soviet Union*, Chicago, IL: Elephant Paperbacks.
- Shannon, U. (2002) 'Private Armies and the Decline of the State', in Worcester, K., Bermanzohn, S. A. and Unger, M. (eds) *Violence and Politics: Globalization's Paradox*, London: Routledge, pp. 32–47.
- Shaw, M. (2000) *Theory of the Global State Globality as Unfinished Revolution*, Cambridge: Cambridge University Press.
- Siebel, W. and Wehrheim, J. (2003) 'Security and the Urban Public Sphere', *Deutsche Zeitschrift für Kommunalwissenschaften* 42, 1.
- Simmel, G. (1971) *Georg Simmel on Individuality and Social Forms*, edited and translated by D. Levine, Chicago, IL: University of Chicago Press.
- Simmel, G. (1990) *The Philosophy of Money*, introduced and translated by T. Bottomore and D. Frisby, London: Routledge.
- Simmel, G. (1997) *Simmel on Culture*, edited by D. Frisby and M. Featherstone, London: Sage.
- Simon, B. (2005) 'The Return of Panopticism: Supervision, Subjection and the New Surveillance', *Surveillance and Society* 3, 1: 1–20.
- Singh, S. (2004) 'Impersonalisation of Electronic Money: Implications for Bank Marketing', *International Journal of Bank Marketing*, 22, 7: 504–21.
- Sklair, L. (2002) *Globalization: Capitalism and its Alternatives*, Oxford: University Press.
- Skocpol, T. (1985) 'Bringing the State Back In: Strategies of Analysis in Current Research', in Evans, P. B., Rueschmeyer, D. and Skocpol, T. (1985) *Bringing the State Back In*, New York: Cambridge University Press, pp. 3–43.
- Smart, B. (2003) *Economy, Culture and Society*, Buckingham: Open University Press.
- Smith, J. (1998) 'Global Civil Society? Transnational Social Movement Organizations and Social Capital', *American Behavioral Scientist* 42, 1: 93–107.
- Song, M. (2004) 'When the "Global Chain" does not Lead to Satisfaction All Round: Comments on the Morecambe Bay tragedy', *Feminist Review* 77: 137–40.
- Sontag, S. (1988) 'AIDS and its Metaphors', *New York Review of Books*, 27 October.
- Spence, K. (2005) 'World Risk Society and War Against Terror', *Political Studies* 53: 284–302.
- Spencer, R. (2004) 'Global Complexity' *The Sociological Review* 52, 2: 288–90.
- Spoonley, P. (2000) 'Reinventing Polynesia: The Cultural Politics of Transnational Pacific Communities', Transnational Communities Programme WPTC-2K-14, Oxford Transnational Communities Working Papers.
- Stiglitz, J. (2002) *Globalization and its Discontents*, New York: Norton.
- Strauss, M. (2003) 'Antiglobalism's Jewish Problem', *Foreign Policy*, 1 November.
- Tarrow, S. (2003) 'Rooted Cosmopolitans: Transnational Activists in a World of States', paper to Amsterdam School of Social Research Workshop on Contentious Politics: Identity, Mobilization and Transnational Politics, 6 May 2002, http://sociology.berkeley.edu/faculty/Evans/evans_pdf/Tarrowpercent20RootedCosmopspercent204–03percent20Soc190.pdf#search=rootedpercent20cosmopolitanism, accessed 30 October 2006.

- Technology News (2007) 'Microsoft's Vista Set to Sail' 29 January, www.technews.world.com/story/software/55439.html.
- Thomas, W. and Znaniecki, F. (1996) *The Polish Peasant in Europe and America: A Classic Work in Immigration History*, ed. Eli Zaretsky, Urbana, IL: University of Illinois.
- Thompson, G. (1999) 'Introduction: Situating Globalization' *International Social Science Journal* 51, 2: 139–52.
- Tiffin, M., Mortimore, M. and Gichuki, F. (1994) *More People, Less Erosion: Environmental Recovery in Kenya*, Chichester: John Wiley.
- The Times* (1951) 'Effects of Reduced Tourist Allowance', 8 November, London.
- The Times* (1966) 'Holiday Travel Limit £50', 21 July, London.
- The Times* (1969) 'Minister Condemns Unpatriotic Evasion of Exchange Control', 14 November, London.
- Todorov, T. (2003) *Hope and Memory*, London: Atlantic Books.
- Tönnies, F. (1971) 'On Gemeinschaft and Gesellschaft', in Truzzi, M. *Sociology: The Classic Statements*, New York: Oxford University Press, pp. 145–54.
- Turkle, S. (1999) 'Looking Toward Cyberspace: Beyond Grounded Sociology', *Contemporary Sociology* 28, 6: 643–8.
- Turner, B. S. (1981) *For Weber – Essays on the Sociology of Fate*, London: Routledge.
- Turner, B. S. (1990) 'Outline of a Theory of Citizenship', *Sociology* 24, 2: 189–217.
- Turner, B. S. (1992) *Max Weber – From History to Modernity*, London: Routledge.
- Turner, B. S. (ed.) (1993) *Citizenship and Social Theory*, London: Sage.
- Turner, B. S. (2006) 'Body', *Theory Culture Society* 23: 223–9.
- UK Home Office (2002) *Building Cohesive Communities: a report of the Ministerial Group on Public Order and Community Cohesion*, London: Home Office.
- UN (United Nations) (2001) *World Urbanization Prospects: The 2001 Revision*, Economic and Social Affairs Population Division, www.un.org/esa/population/publications/wup2001/WUP2001report.htm, accessed 30 October 2006.
- UNCTAD (2003) *Handbook of Statistics*, New York and Geneva: United Nations.
- UN Information Service (2005) 'United Nations Finds Large Reduction in Poverty in Latin America', <http://usunrome.usmission.gov/UNISSUES/sustdev/docs/a5112803.htm>, accessed 30 October 2006.
- United Nations Development Programme (1998) *Human Development Report*, New York: Oxford University Press.
- Urry, J. (2000) *Sociology Beyond Societies: Mobilities for the Twenty-First Century*, London: Routledge.
- Urry, J. (2002) 'The Global Complexities of September 11th', *Theory, Culture and Society* 19, 4: 57–69.
- Urry, J. (2003) *Global Complexity*, Cambridge: Polity.
- Veltz, P. (1996) *Mondialisation: villes et territoires: l'économie archipel*, Paris: Economica.
- Wade, R. (1996) 'Globalization and its Limits: Reports of the Death of the National Economy Are Greatly Exaggerated', in Berger, S. and Dore, R. (eds) (1996) *National Diversity and Global Capitalism*, London: Cornell University Press, pp. 60–87.

- Wagner, D. (2006) 'The Impact of Terrorism on Foreign Direct Investment', International Risk Management Institute, www.irmi.com/Expert/Articles/2006/Wagner02.aspx, accessed 30 October 2006.
- Waters, J. (2003) 'Flexible Citizens? Transnationalism and Citizenship amongst Economic Immigrants in Vancouver', *The Canadian Geographer* 47, 3: 219–34.
- Waters, M. (1996) *Globalization*, London: Routledge.
- Watts, M. W. (2001) 'Aggressive Youth Cultures and Hate Crime', *American Behavioral Scientist* 45, 4: 600–15.
- Weber, M. (1978) *Economy and Society*, translated and edited by Guenther Roth and Clauss Wittich, New York: Bedminster Press.
- Weber, M. (1984) *General Economic History*, New Brunswick, NJ: Transaction Books.
- Wei, S.-J. (2002) 'Is Globalization Good for the Poor in China?', *Finance and Development*, a quarterly magazine of the IMF, 39, 3, www.imf.org/external/pubs/ft/fandd/2002/09/wei.htm, accessed 30 October 2006.
- Weigert, A. (2003) 'Terrorism, Identity, and Public Order: A Perspective from Goffman', *Identity* 3, 2: 93–113.
- Weiss, L. (1998) *The Myth of the Powerless State: Governing the Economy in a Global Era*, Cambridge: Polity.
- Weilman, B. and Hampton, K. (1999) 'Living Networked On and Offline', *Contemporary Sociology* 28, 6: 648–54.
- WHO (World Health Organization) (2004a) *Tobacco and Poverty: A Vicious Circle*, www.who.int/tobacco/communications/events/wntd/2004/en/wntd2004_brochure_en.pdf, accessed 30 October 2006.
- WHO (World Health Organization) (2004b) *Poverty Reduction Strategy Papers: Their Significance for Health*, second synthesis report, Geneva: WHO, www.who.int/hdp/en/prsp.pdf, accessed 30 October 2006.
- World Bank (2000) *East Asia: Recovery and Beyond*, Washington, DC: World Bank.
- World Bank (2006) *World Development Indicators*, Washington, DC: The International Bank for Reconstruction and Development/The World Bank.
- World Development Movement (1999) 'Deadly Conditions? Examining the Relationship Between Debt Relief Policies and HIV/AIDS', www.wdm.org.uk/campaigns/cambriefs/debt/aids.htm, accessed 30 October 2006.
- Yar, M. (n.d.) 'The Other Global Drugs Crisis: Assessing the Scope, Impacts and Drivers of the Trade in Dangerous Counterfeit Pharmaceuticals', unpublished.
- Zelizer, V. (1994) *The Social Meaning of Money*, New York: Basic Books.
- Žižek, S. (1998) 'Hysteria and Cyberspace', *Telepolis*, www.heise.de/tp/r4/artikel/2/2492/1.html, accessed 30 October 2006.
- Žižek, S. (n.d.) 'No Sex, Please, We're Post-human!', <http://lacan.com/nosex.htm#top>, accessed 30 October 2006.
- Zolberg, A. R. (1999) 'The Politics of Immigration Policy: An Externalist Perspective', *American Behavioral Scientist* 42: 1276–9.

المؤلف فى سطور:

لارى راى

أستاذ علم الاجتماع فى جامعة كنت. يقوم بالتدريس على المستوى الجامعى والدراسات العليا وتشمل العولمة وعلم الاجتماع والعنف.

تركزت اهتماماته البحثية الرئيسية على مدى ٢٠ عامًا على النظرية الاجتماعية، والعولمة، وما بعد انهيار الشيوعية، وتحول مجتمعات ما بعد الشيوعية، وأثارها على النظرية الاجتماعية.

قام بالمشاركة مع ديفيد سميث - جامعة لانكستر - بدراسة موضوع (العنف بدوافع عنصرية فى مانشستر الكبرى) أدى إلى اهتمام واسع فى علم الاجتماع عن العنف، وشملت الدراسة أبحاثاً عن الكراهية، ودوائر المراقبة.

يقوم حالياً بإنجاز كتاب عن العنف والمجتمع ويشمل تحليلاً واسع النطاق عن العنف بما فى ذلك العنف ما قبل التاريخ، وما تلا ذلك من اتجاهات على المدى الطويل فى القتل ونوع الجنس والعنف والحدثة والمحرفة.

أعمال منشورة:

التنظير الكلاسيكى لعلم الاجتماع ١٩٩٩م.

العنصرية الإجرامية وسياسة جرائم الكراهية (بالمشاركة مع سميث دال) ٢٠٠١م.

العنف العنصرى من منظور الإدانة ٢٠٠٣م.

مفهوم العنف العنصرى (بالمشاركة مع دى سميث، إل واستل) ٢٠٠٣م.

العار والغضب والعنف العنصرى (بالمشاركة مع دى سميث،

إل دال) ٢٠٠٤م.

البراجماتية والنظرية النقدية ٢٠٠٤م.

العنصرية المسيئة، والسياسة والصراع الاجتماعي (بالمشاركة مع ديفيد سميث) ٢٠٠٤م.

الجريمة العنيفة، مقدمة في علم الإجرام والجريمة ٢٠٠٥م.

النظرية الاجتماعية وما بعد الشيوعية (بالمشاركة مع وليام أوثويت) ٢٠٠٥م.

الكتابة والعنف في ذاكرة دنكان بل إد ٢٠٠٦م.

فيما بعد الحداثة إلى الحداثة المائعة ٢٠٠٧م.

القضايا الراهنة والتنمية في سياق الكراهية ٢٠٠٧م.

العولمة والحياة اليومية ٢٠٠٧م.

عند نهاية تحول ما بعد الشيوعية؟ تحول طبيعي أم رؤية ليوتوبيا ٢٠٠٩م.

الهجرة والذكريات ٢٠١٠م.

- عضو رابطة علم الاجتماع البريطانية، الجمعية البريطانية للدراسات اليهودية، والعضو التنفيذي والرئيس المنتخب.

- ضمن أعضاء تحرير سلسلة تنظير المجتمع.

المترجم فى سطور:

الشريف خاطر

ترجم أكثر من سبعين عملاً مسرحياً نشرت فى سلسلة المسرح العالمى فى الكويت ومجلة المسرح والفنون والقاهرة وجريدة مسرحنا، كما ترجم وأخرج العديد من الأعمال المسرحية التى لم تنشر لإذاعة البرنامج الثانى (التقافى حالياً). كذلك عدة روايات عالمية نشرت فى الهيئة العامة للكتاب ولبنان، إضافة إلى العديد من القصص نشرت فى جريدة المساء ومجلة سنابل ومجلة الكويت. شارك فى ترجمة الموسوعة العربية العالمية الصادرة فى السعودية. وموسوعة الطفل الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب.

أيضاً وعدة كتب متنوعة سياسية واجتماعية وفنية.

حصل على عدة جوائز:

- الجائزة الأولى فى الإخراج الإذاعى فى مهرجان اتحاد الإذاعات الإفريقية الذى عقد فى الرباط عام ١٩٧١م.
- شهادتى تقدير من اتحاد الإذاعات الأوروبية الذى عقد فى برلين عام ١٩٨١م.
- جائزة الترجمة والإخراج من الإذاعة المصرية عام ١٩٨٥م.
- جائزة الدولة التشجيعية فى الترجمة الإبداعية عام ١٩٩٣م.
- عضو اتحاد الكتاب.
- عضو لجان التحكيم فى مهرجان الإذاعة والتلفزيون (الإعلام العربى حالياً).

- عضو لجان التحكيم المسرحى وقراءة النصوص المسرحية فى الهيئة العامة لقصور الثقافة.

- عضو اللجنة العليا لقراءة النصوص فى البيت الفنى للمسرح.

- محاضر فى أقسام المسرح والإعلام فى الجامعات والمعاهد العليا الفنية لمواد فنون الدراما المسرحية والإذاعية، والترجمة المسرحية والأدبية، وفى معهد الدارسين الأفارقة الناطقين بالإنجليزية باتحاد الإذاعة والتليفزيون.

- مدير عام إذاعة البرنامج الثقافى الأسبق (البرنامج الثانى سابقاً).

التصحيح اللغوي : جمال عبد الحى

الإشراف الفني : حسن كامل

